موسوعة

الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى

أ.د.أحمد شوقى إبراهيم

الجزء السادس

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

موسوعة الإعجاز العلمى في الحديث النبوى

«الجزء السادس»

الحشرات. الطفيليات. العنكبوتيات. الميكروبات

تأليف

أ.د. أحمد شوقى إبراهيم

زميل كلية الأطباء الملكية بلندن

رئيس مجلس إدارة المجمع العلمى لبحوث القرآن والسنة

رئيس مجلس أمناء مؤسسة (الدكتور أحمد شوقى إبراهيم للإعجاز العلمى)

عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

عضو اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو»



اسـم الكتـاب: موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء السادس.
(الحشرات. الطفيليات. العنكبوتيات. الميكروبات).
المؤلف: أ. د. أحمد شوقى إبراهيم.
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم.
تاريخ النشر: الطبعة الثانية ـ يناير 2008م.
رقم الإيداع: 2006 / 8963
الترقيم الدولى: ISBN 977-14-3420-9

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابى ـ المهندسين ـ الجيزة
ت: 33466434(02)-33472864(02) فاكس: 33462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكترونى للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة ـ مدينة السادس من أكتوبر
ت: 38330287 (02) - 38330289 (02) ـ فاكس: 38330296 (02)
البريد الإلكترونى للمطابع: press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسى: 18 ش كامل صدقى ـ الفجالة ـ القاهرة ـ ص. ب: 96 الفجالة ـ القاهرة.
ت: 25909827 (02) - 25908895 (02) ـ فاكس: 25903395 (02)

مركز خدمة العملاء: (02) 25909827
البريد الإلكترونى لخدمة العملاء:
customerservice@nahdetmisr.com
البريد الإلكترونى لإدارة البيع: sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدى)
ت: (03) 5462090
مركز التوزيع بالمنصورة: 13 شارع المستشفى الدولى التخصصى ـ متفرع من شارع عبد السلام عارف ـ مدينة السلام
ت: (050) 2221866

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

تقـــديـــــم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد،

فهذا هو الجزء السادس من (موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى). ويتضمن الأحاديث النبوية المشرفة التى ذكرت الحشرات، والعنكبوتيات، والطفيليات، والميكروبات، ويتجلى الإعجاز العلمى فى هذه الأحاديث النبوية فى صدورها عن رسول الله ﷺ، فى زمن كان العلماء فى العالم بأسره، لا يعلمون شيئًا فيه عن أسرارها العلمية.. ولم يكتشف بعضها إلا فى عصر العلم الحالى، وإذا بنا نجد أن ما اكتشفه العلماء حديثًا مذكور فى الحديث النبوى الصحيح.

إن الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى حقيقة لا شك فيها، ولا ينكرها إلا إنسان جاهل أو معاند أو ضال. والإعجاز العلمى فى الحديث النبوى يتجلى فى الشرعيات والعبادات والمعاملات، ويتجلى بوضوح أكبر، فى تناوله لمختلف العلوم الإنسانية، وأمور الإنسان وأحواله اليومية.

وأى إنسان يقرأ هذا الكتاب، والأجزاء السابقة من هذه الموسوعة، يتأكد تمامًا أن الحديث النبوى معجز، كما أن القرآن معجز؛ لأن كلاًّ من القرآن والحديث النبوى من قبس واحد، هو الوحى الإلهى لرسول الله ﷺ.

ولقد خصصنا هذا الجزء من الموسوعة لبحث موضوعات علمية ذكرها الحديث النبوى، ولم يتناولها العلماء من قبل بتفصيل علمى، إلا أن بعض الباحثين، جزاهم الله خيرًا، بحثوا بحوثًا قيمة فى بعض الأحاديث النبوية، ولكنهم لم يجمعوها جميعًا فى كتاب واحد فرأينا أن نفعل ذلك، وقسمنا البحث إلى عشرة أبواب رئيسية، وينقسم كل باب إلى موضوعات كالآتى:

- **الباب الأول: حشرات الأرض.**
- **الباب الثانى: النحل.**
- **الباب الثالث: النمل.**
- **الباب الرابع: الذباب.**
- **الباب الخامس: الطفيليات من الحشرات:** ويحتوى هذا الباب على أربعة موضوعات:

البعوض، والقمل، وعثة الفراش، والجرب.

- **الباب السادس: الطفيليات من الديدان:** ويحتوى هذا الباب على موضوعين رئيسيين:

البلهارسيا والإنكلستوما، والديدان الخيطية.

- **الباب السابع: العنكبوتيات:** ويحتوى هذا الباب على ثلاثة موضوعات:

ما هى العنكبوتيات، العنكبوت، العقارب.

- **الباب الثامن: الفراش ودودة الحرير:** ويحتوى على موضوعين رئيسيين:

الفراش، ودودة الحرير.

- **الباب التاسع: الحشرات الضارة بالاقتصاد:** ويحتوى على ثلاثة موضوعات:

الجراد، والسوس، والخنافس.

- **الباب العاشر: الميكروبات:** ويحتوى على ثلاثة موضوعات رئيسية:

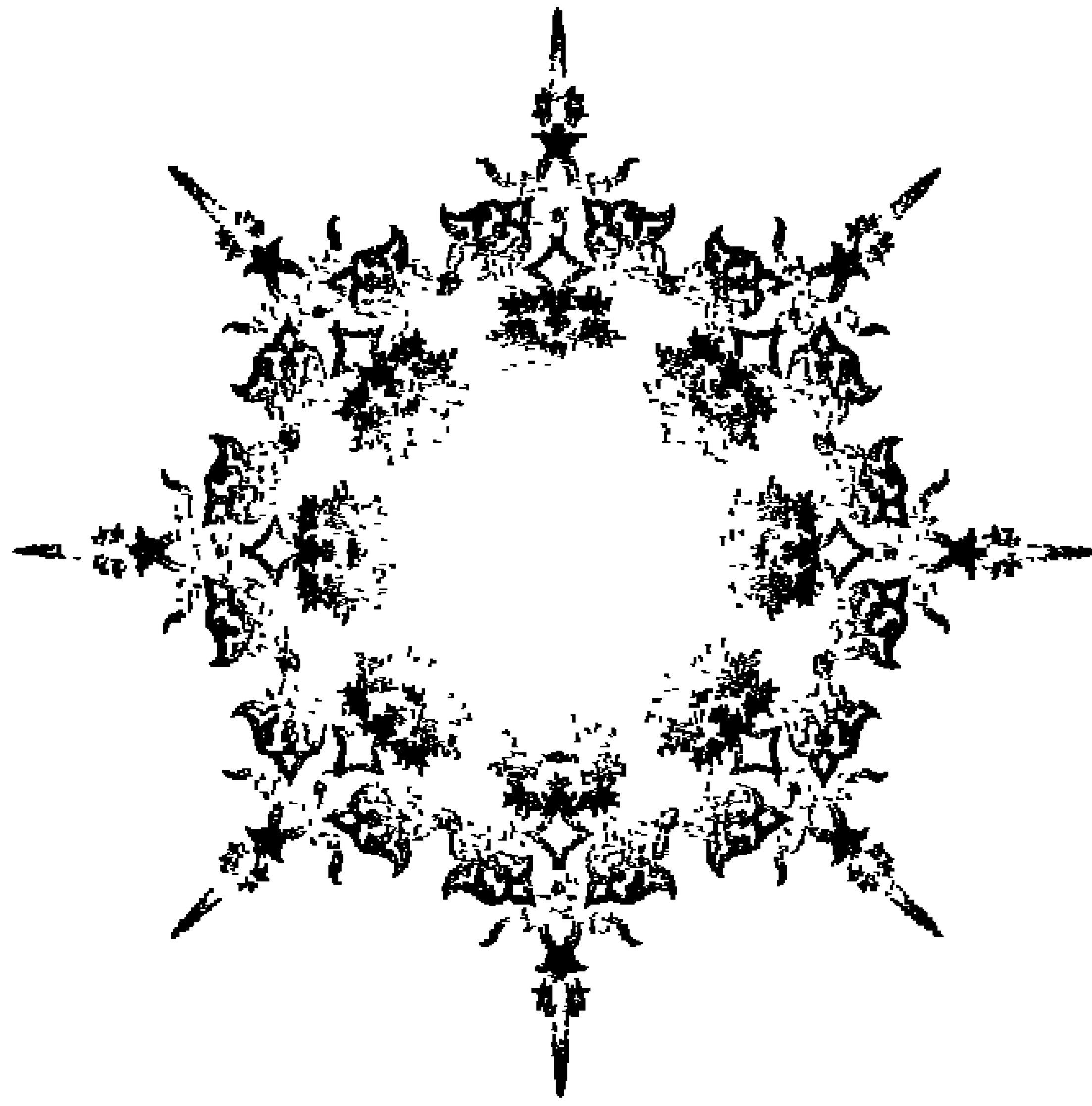
الإيدز (طاعون العصر)، انتشار الأوبئة، وأذى المحيض.

ولما كان الكثير من الحشرات والطفيليات صغير الحجم جدًا، فقد رأينا أن نستعين بكثير من الصور التوضيحية. وتناولنا الشرح بأسلوب سهل، يفهمه الناس جميعًا على اختلاف مستوياتهم العلمية، وأدعو الله عز وجل أن يهيئ الأسباب التى تساعدنا على مواصلة كتابة الأجزاء الباقية من هذه الموسوعة.

وما توفيقى إلا بالله...

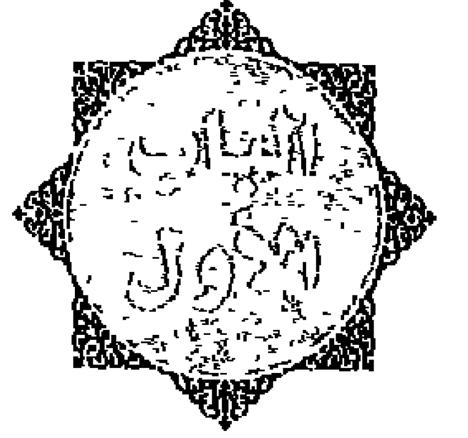
المؤلف

أ.د. أحمد شوقى إبراهيم





حشـــــرات الأرض



حشـــــــــرات الأرض

كلمة عن الحشـــرات

■ روى الإمام أبو داود عن موسى بن إسماعيل، عن غالب بن حجرة، عن ملقام بن تَلِب، عن أبيه، قال: (صحبت النبى ﷺ فلم أسمع لحشرة الأرض تحريمًا).

ـ (حشرة الأرض) أى الحشرات التى تعيش على الأرض، مثل النحل والبعوض والنمل والجراد وغيرها.

ـ (لم أسمع لها تحريمًا) أى لم أسمع من النبى ﷺ تحريمًا لقتلها أو أكلها. وقيل: إن النبى ﷺ لم ينهَ عن أكل الحشرات التى كان يأكلها بعض الناس. واختلف الناس فقالوا: إن الأشياء أصلها على الإباحة أو على الحظر، لذلك ذهب بعضهم إلى أنها مباحة، وذهب آخرون إلى أنها محظورة.

■ روى الإمام أحمد فى المسند عن عبد الله، عن أبيه، عن حماد بن أسامة، عن هشام عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن امرأة عُذّبت فى هرّةٍ أمسكتها حتى ماتت من الجوع، لم تكن تطعمها، ولم ترسلها فتأكل من حشرات الأرض**».

■ وروى الإمام أحمد فى رواية أبى معاوية، عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُذّبت امرأة فى هرّةٍ ربطتها فلم تطعمها، ولم ترسلها فتأكل من حشرات الأرض**».

■ وفى رواية الإمام مسلم عن أبى كريب، عن عبْدة، عن هشام، عن أبيه، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**عذبت امرأة فى هرة لم تطعمها ولم تسقها، ولم تتركها تأكل من خَشَاش الأرض**».

■ وفى رواية أخرى للإمام مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء الضُّبيعى، عن جويرية بن أسماء، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، أن النبى ﷺ قال: «**عذبت امرأة فى هِرَّة سجنتها حتى ماتت؛ فدخلت فيها النار؛ لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هى تركتها تأكل من خَشَاش الأرض**».

ـ (خشاش الأرض): هى هوام الأرض وحشراتها.

■ وفى رواية الإمام البخارى بنفس الإسناد: «**عذبت امرأة فى هرة ربطتها حتى ماتت. فدخلت فيها النار؛ لا هى أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض**».

والحشرات من فرائس القطة إذا لم تجد ما تأكله.

الحشرات أكثر المخلوقات الحية عددًا، فهى نحو ٩٥٪ من الأحياء على ظهر الأرض ويقول العلماء: إن عدد الحشرات فى الميل المربع الواحد مثل عدد سكان العالم من البشر، وتنقسم الحشرات إلى أكثر من ثلاثين مجموعة، وأكبرها مجموعة الخنفسيات التى تضم أكثر من مائة وعشرين عائلة مختلفة، ونحو خمسمائة ألف نوع.

ويأتى النمل بعد الخنافس فى العدد، فهو نحو ١٠٪ من عدد الأحياء على ظهر الأرض، والنمل الأبيض بنفس العدد. وتعيش الحشرات على النباتات، والمواد الحيوانية والنباتية المتحللة.

والحشرات مصدر غذائى لكثير من الحيوانات ـ كما جاء فى الحديث النبوى الشريف ـ.

والنحل من الحشرات، وكل ما يفعله خير للإنسان، فهو سبب رئيسى فى تلقيح النباتات وبالتالى إنتاج الغذاء العالمى، كما أنه ينتج العسل الذى هو مصدر هام لغذاء الإنسان. والحشرات كائنات حية

صغيرة جدًّا، تعيش فى كل البيئات، حتى فى أعالى الجبال، وحتى تحت الجليد! وهى مصدر لغذاء الحيوانات فى تلك المناطق التى تقل فيها مصادر الغذاء.

الصفات التشريحية للحشرات:

تعتبر الحشرات من شعبة المفصليات، ويتكون جسدها من ثلاثة أجزاء:

الرأس والصدر والبطن.

١ـ الأرجل لا مفصلية ـ لها ست أرجل ـ.

٢ـ الغطاء الخارجى للجسم صلب.

وفى رأس الحشرة أعضاء الحس والمخ والفم. والبطن طويل، وفيه الجهاز الهضمى، والجهاز التناسلى. (والعنكبوتيات ليست من الحشرات لأن لها ثمانى سيقان، وجسمها ليس مكونًا من ثلاثة أجزاء).

وتتركز حاسة اللمس والشم فى قرون الاستشعار.

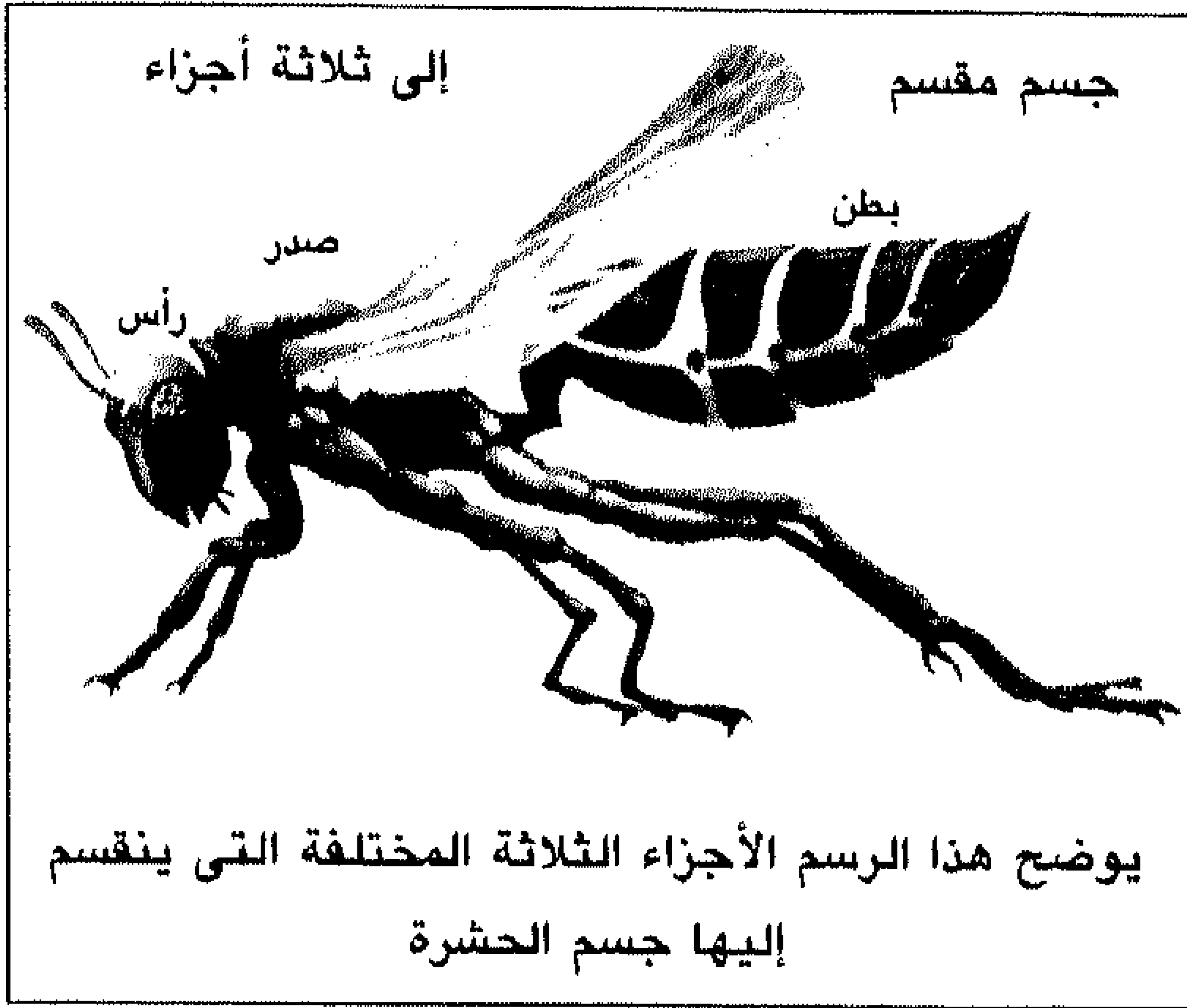
ومعظم الحشرات البالغة لها عيون مركبة. وكل عين تتكون من آلاف العدسات.

وتوجد فى رأس الحشرة عينان مركبتان، تتكون كل عين من آلاف العدسات، ومعظم الحشرات الطائرة لها ثلاث عيون بسيطة إضافية فى مقدم الرأس.

أجزاء الفم: تختلف فى الحشرات باختلاف طرق تناول غذائها. فالحشرات آكلة أوراق الشجر، لها فكوك حادة كالمنشار تقطّع الأوراق، أما الحشرات التى تمتص رحيق الزهور فلها لسان طويل كالخرطوم، أما أنثى البعوض، فإن أجزاء الفم تناسب وظيفة وخز الجلد، ومص الدم. أما فم الذبابة فمختلف، فله وسادة صغيرة، تدفع لعابها فوق الطعام لتذويبه، وبعد ذلك تمتصه بخرطومها الطويل الرفيع.

الصدر: خلف الرأس، وتتصل به الأجنحة والسيقان. كل زوج من السيقان له شكله المختلف قليلاً. والأرجل الخلفية فى الجراد والبراغيث ترتبط بها عضلات قوية تساعدها على القفز إلى مسافات بعيدة نسبيًّا.

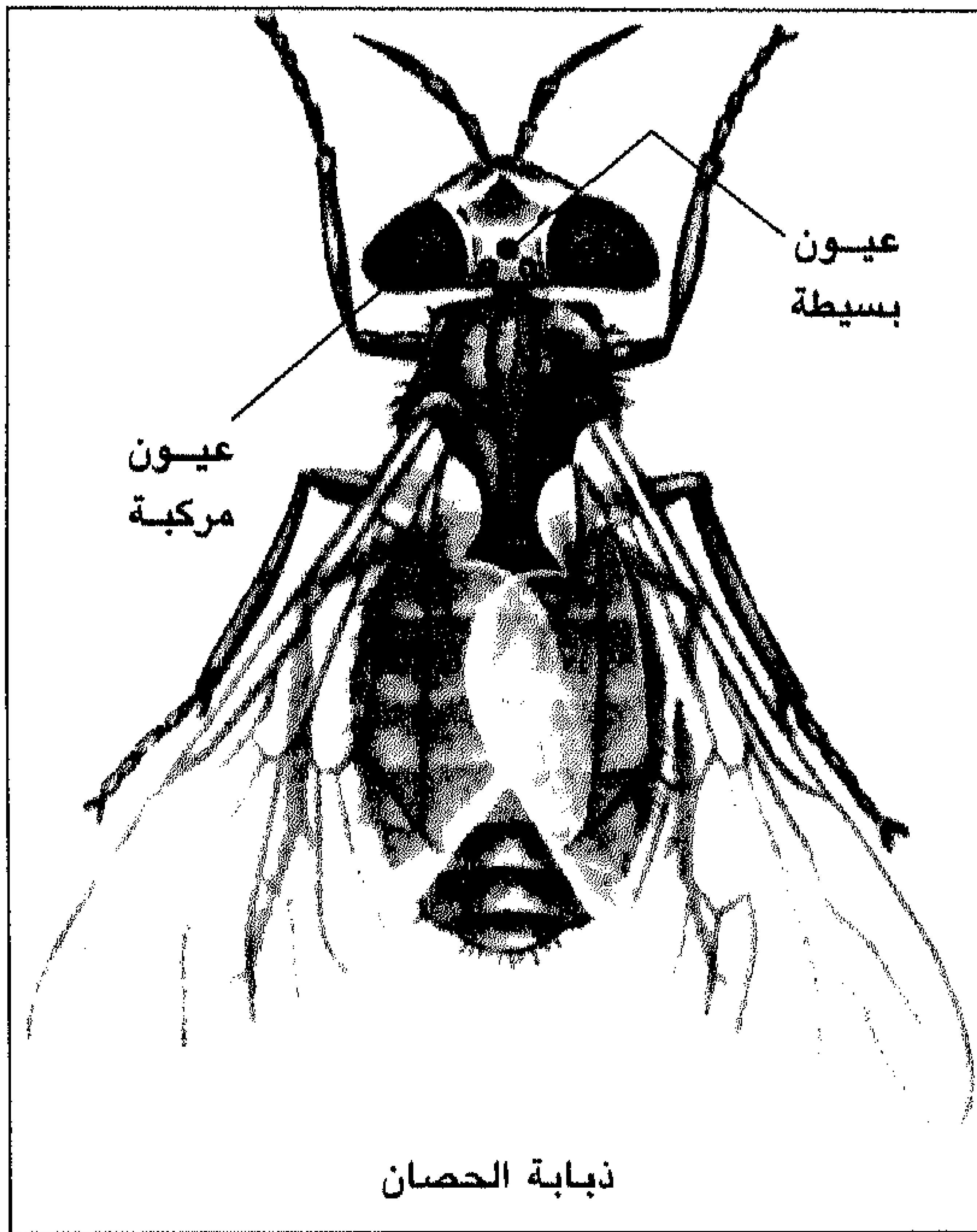
الأجنحة: تطير بها الحشرات، وتضرب بها بسرعة، والعضلات التى تحرك الأجنحة موجودة بالصدر، ولا توجد العضلات بالأجنحة ـ على عكس أجنحة الطيور ـ وبعض الحشرات بلا أجنحة، مثل القمل والبراغيث.



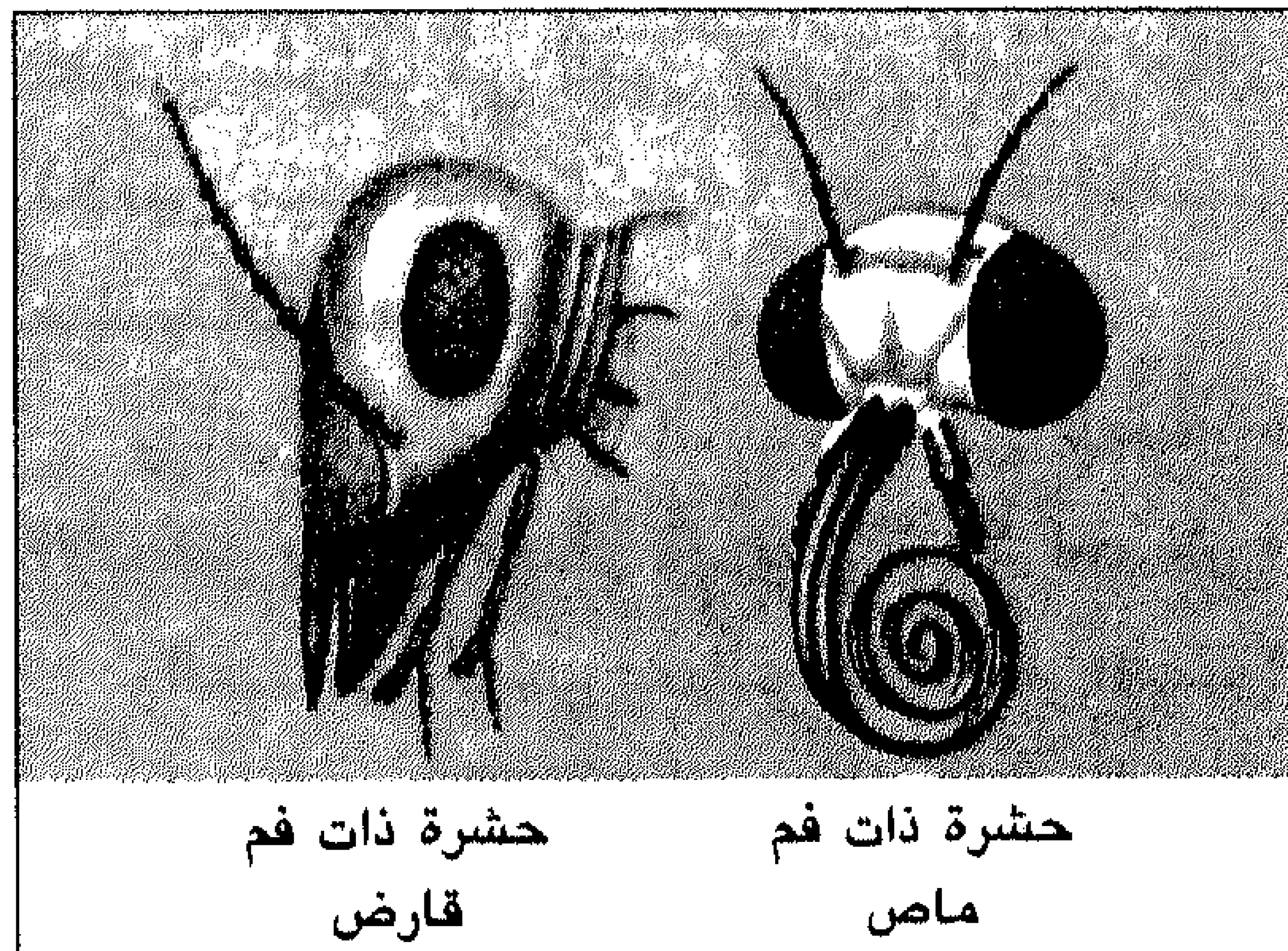
يوضح هذا الرسم الأجزاء الثلاثة المختلفة التى ينقسم إليها جسم الحشرة



الأنواع المختلفة لقرون الاستشعار



ذبابة الحصان



حشرة ذات فم ماص — حشرة ذات فم قارض

البطن: به الجهاز الهضمى، والجهاز التناسلى، ومقسم إلى عشرة أقسام أو أكثر، والبطن متصل بعضلات تعمل على حركة البطن، وفى آخر البطن توجد فى بعض الحشرات آلة اللسع.

دم الحشرة: على عكس دم الحيوانات لا يحمل الأكسجين، ودم الحشرات لا لون له. ويجرى دم الحشرة فى وعاء دموى يمتد بطول الجسم، وبه ما يشبه مضخة القلب.

الجهاز الهضمى: الجزء الأمامى فى الرأس يفتت الطعام، والأمعاء الوسطى تهضم الطعام وتمتصه، والأمعاء الخلفية تخرج النفايات من الجسم.

الجهاز العصبى: هو جهاز متطور بالحشرات، يتكون من: المخ وحبلين من الأعصاب، يمتدان بطول الجسم، ويتحكم الجهاز العصبى المركزى فى سلوك الحشرة وحركتها، ومعظم الحشرات تعيش على الفطرة التى فطرها الله عليها، فتعيش وكأنها مبرمجة على برنامج معين، لا تخرج عنه أبدًا فى نشاطها اليومى.

والحشرات تفترسها الحيوانات مثل القطط، وقد تفترسها حشرات أكبر، وبعض الناس يتناولون الحشرات طعامًا، وما زال الجراد طعامًا معتادًا للناس فى بعض البلدان الإفريقية والأسيوية، وفى مناطق كثيرة فى أمريكا اللاتينية.

ويشكل الجراد لبعض القبائل الصحراوية مادة استهلاكية معتادة، تؤكل فى إفريقيا نيئة أو مشوية. أما فى كارولينا الجنوبية فيفضلون من الحشرات أكل النحل، فهو يؤكل مشويًا وممزوجًا بالسكر.

وبعض الحشرات مفيد وبعضها الآخر مضر:

الحشرات المفيدة: كالنحل ـ نحل العسل ـ والحشرات التى تلقح النباتات. ولولاها ما استمرت حياة النباتات.

الحشرات الضارة: التى تلدغ الإنسان وتنقل إليه الأمراض والحشرات التى تنافس الإنسان فى الحصول على غذائها من النباتات وتسبب المجاعات مثل حشرة الجراد، وتتكلف آلاف الملايين من الدولارات لمكافحتها سنويًا.

ولقد سخر الله تعالى الأنعام لنا، فالجمل يقوده طفل صغير، فيطيعه، ولكن الله تعالى لم يسخر الحشرات الضئيلة للإنسان كالذباب والبعوض والقمل وغيرها.

الحشرات التى تقرص أو تلدغ

■ أخرج البخارى ومسلم وأحمد وأصحاب السنن عن سعيد بن المسيب، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قرصت نملة نبيًا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأُحرقت. فأوحى الله تعالى إليه: أفى أن قرصتك نملة، أهلكت أمة تُسبِّح؟!**».

ففى جسم النملة آلة تلدغ، وكذلك الأمر فى النَحل.

■ وفى رواية مسلم عن المغيرة، عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**نزل نبى من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة....**» إلخ الحديث الشريف.

وجاء فى لسان العرب: اللدغ بالفم، واللسع بالذنب. وقيل: اللدغة جامعة لكل هامة تلدغ لدغًا.

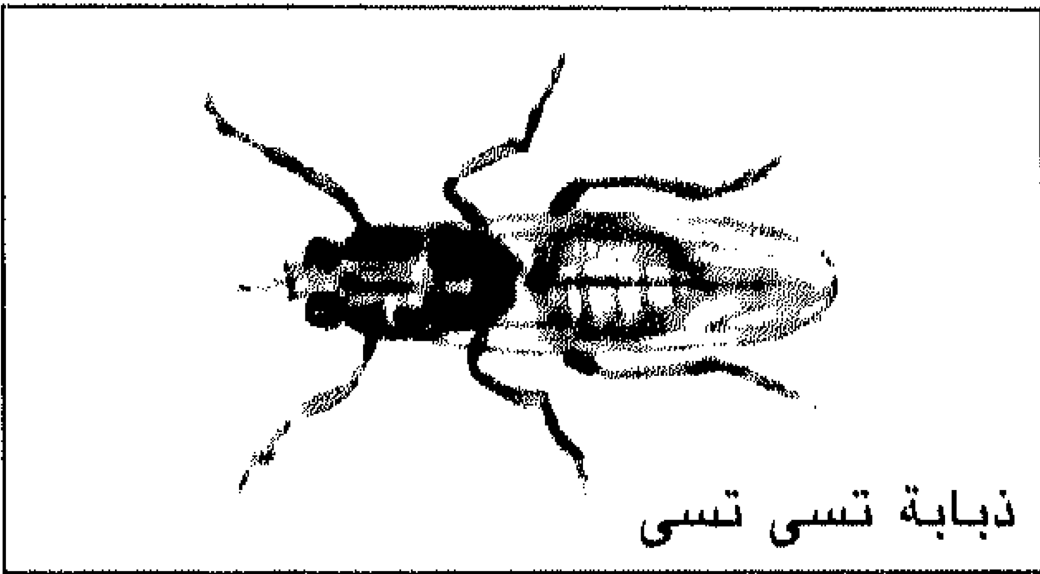
■ أخرج الإمام أبو داود عن بقية بن الوليد، عن ابن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عن عبد الرحمن بن غَنْم الأشعرى، أن أبا مالك الأشعرى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من فصد فى سبيل الله فمات، أو قُتل، فهو شهيد، أو وقصه فرسه أو بعيره، أو لدغته هامّةٌ أو مات على فراشه بأى حتف شاء الله، فإنه شهيد، وإن له الجنة** ».

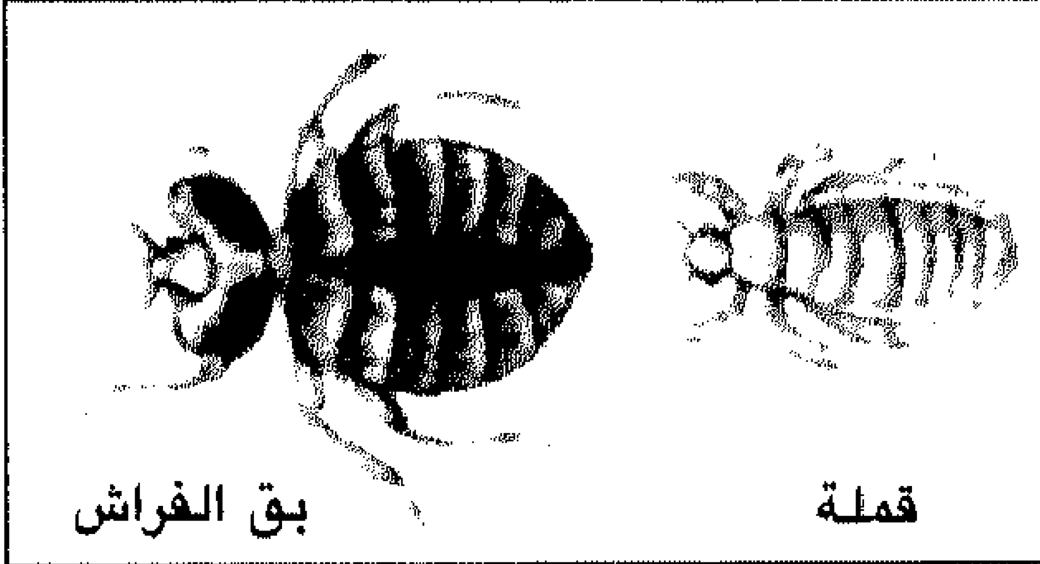
(وقصه فرسه أو بعيره): أى صرعه فدقّ عنقه.

الوقص: الدق والكسر.

الهامة: إحدى الهوام ذوات السموم القاتلة كالعقرب والنحلة والنملة والبعوضة.

بعض الحشرات تقرص أو تلدغ، وتسبب الكثير من الأذى للإنسان، ففضلاً عن الألم الذى تسببه اللدغة، فإن الكثير من الحشرات تنقل العديد من الأمراض للإنسان، وبعضها أمراض وبيلة. فالحشرة الناقلة للعدوى، تلدغ الإنسان أولاً، ثم تحقن بعض لعابها فى جسده وبذلك تُنقل جرثومة المرض إلى الإنسان. ومن أمثلة ذلك حشرة البعوض الناقلة للعديد من الأمراض كالملاريا والفيلاريا. وذبابة تسى تسى الناقلة لطفيل مرض النوم والقمل الذى ينقل مرض التيفوس، وبرغوث الفئران الذى ينقل ميكروب الطاعون الدملى، أما البراغيث المنزلية فلا تلدغ الفئران، ولذلك لا تنقل المرض.


ذبابة تسى تسى



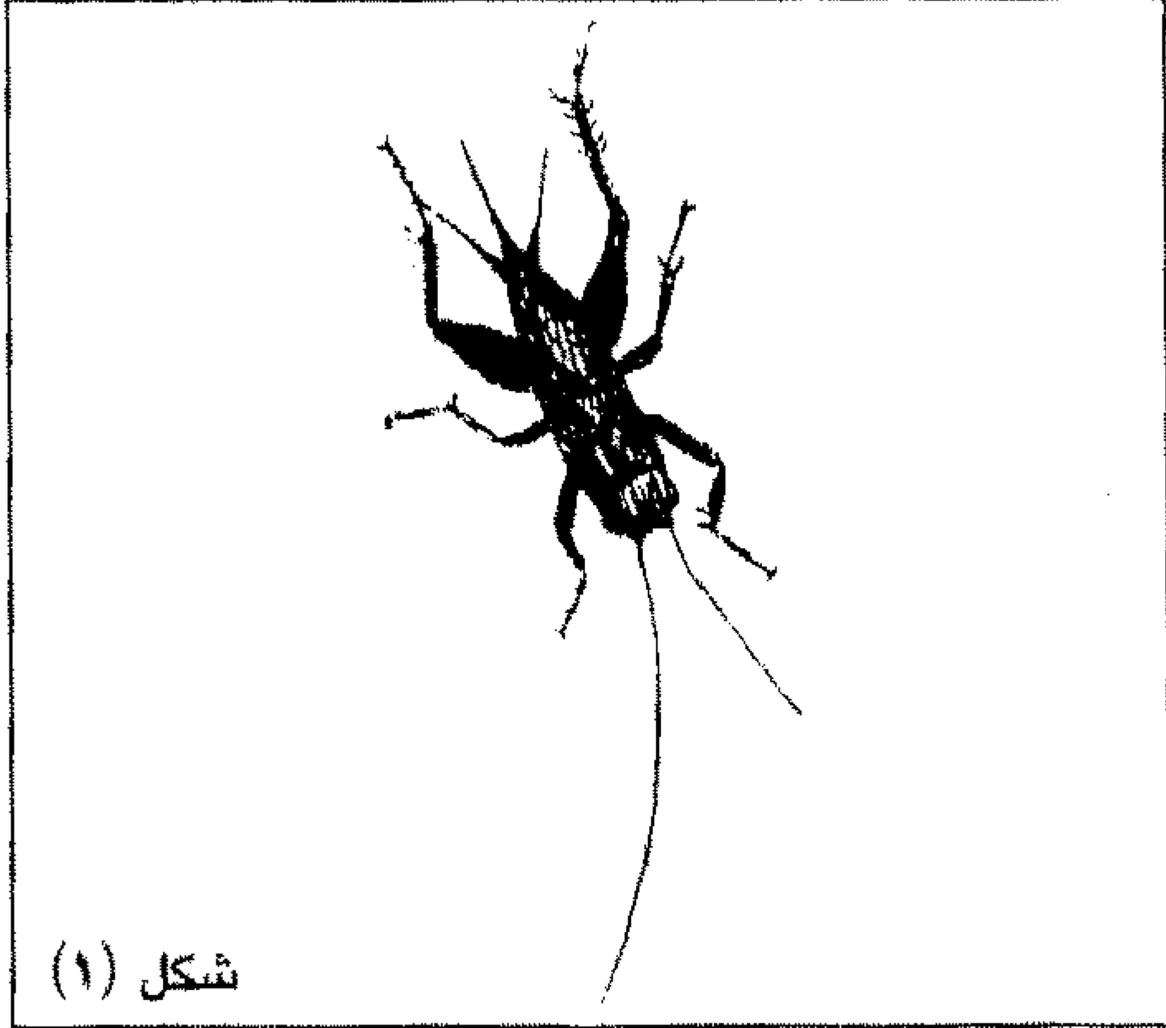
كيف تلدغ الحشـــرة وتعض


خرطوم البعوضة المستخدم فى الامتصاص


الزبان الذى يستخدم كسلاح للنحلة

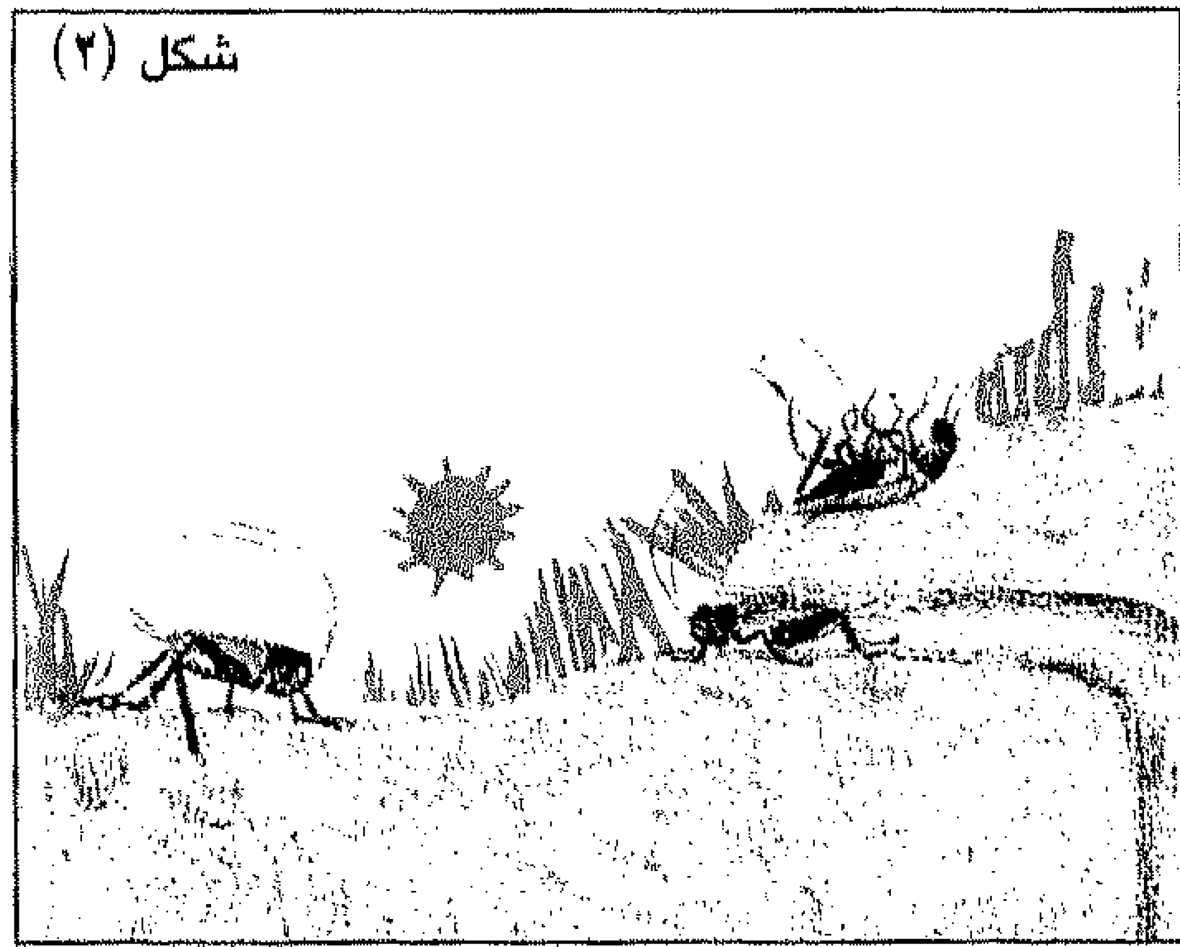
ومن الأشياء التى قد تتغذى عليها القطط وبعض الدواب الأخرى إذا لم تجد طعامًا آخر، حشرات الأرض، ومنها العناكب والصراصير والخنافس والجراد وغير ذلك من الحشرات.

وفى أى مكان نكون فيه، نجد حشرات الأرض حولنا، كما نجد أنواعًا من العناكب، فى الأماكن التى لا يُعتنى بتنظيفها، كما نقابل فى بعض الأماكن المكشوفة قرب الحقول الكثير من أنواع الحشرات، على اختلاف أحجامها وأشكالها وصفاتها، فمن الحشرات ما يرى بالعين المجردة، ومنها ما لا يرى إلا بعدسة مكبرة أو بمجهر!


شكل (١)

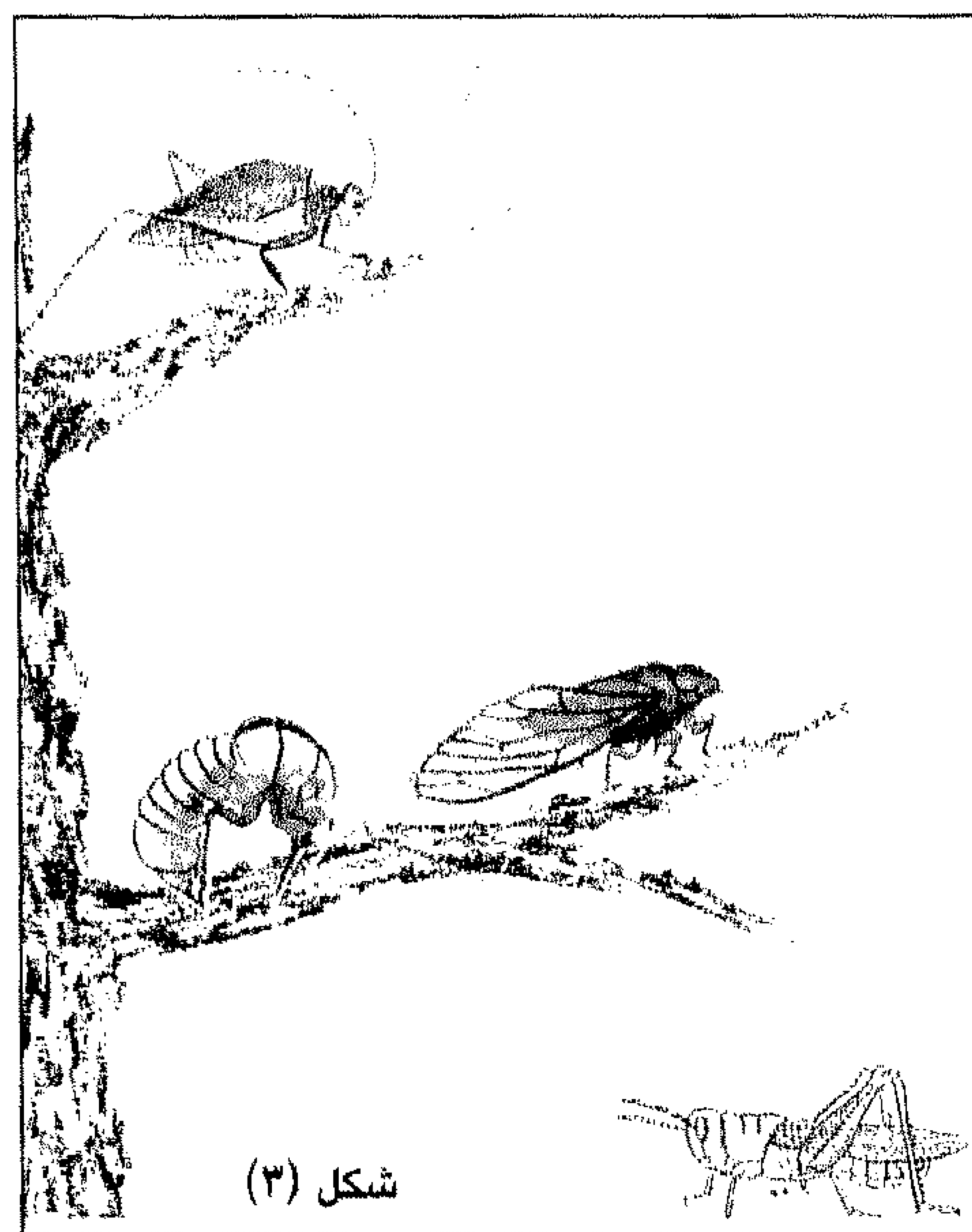
ويمكننا أن نتعرف على الحشرات من أرجلها الستة وأجنحتها وقرون الاستشعار، وكيف تعمل هذه الأعضاء. ولو استطعنا الانتظار وقتًا كافيًا، فسوف نشاهد الحشرة وهى تنسلخ من جلدها القديم، وتخرج وقد اكتست بجلد جديد كان ينمو تحت الجلد القديم.

ومن الحشرات ما يمشى على الأرض ومنها ما يختبئ فى أعشاشها أو بيوتها، أو تطير فى الهواء أو تجرى أو تقفز. وكل هذه الحشرات آكلة ومأكولة، فتفترس غيرها من الحشرات والهوام، وهى نفسها فريسة لأعدائها من الحشرات والدواب (انظر شكل ٣).


شكل (٢)

ويوجد فى عالمنا حشرات أضعاف عدد الناس والدواب جميعًا، لأن الحشرات تتوالد وتتكاثر بسرعة، تزيد على سرعة افتراس أعدائها لها، وسرعة موتها، ومن الحشرات ما يضر الإنسان كعثة الملابس والصراصير والنمل الأبيض والجراد، ومن الحشرات ما ينقل الأمراض للإنسان كالقمل والبعوض. ومن الحشرات ما هو نافع للإنسان كنحل العسل، ودودة الحرير.

وإذا ذهبت القطط إلى الحدائق، فستجد طعامها فى حشرات الحقول و(صراصير الغيط) وغيرها وغيرها. وصرصور الغيط (صرصور الحقل) (انظر شكل ١)، يستطيع أن يعزف صفيرًا حادًّا أو موسيقى حادة، وإذا حدث ما يزعجه توقف عن العزف فجأة، والجناحان هما أداة العزف لهذا الصرصور. ويستطيع أن يخدع الإنسان الذى يسمعه، فعندما يصرصر بصوت عال، تظنه يقف قريبًا منك!


شكل (٣)

ويعيش صرصور الحقل فى جحور يحفرها لنفسه فى التربة (انظر شكل ٢).

والجراد مثل صرصور الحقل يصدر أنغامًا بواسطة حك أرجله الخلفية على أجنحته.

والخنافس من فرائس القطط أيضًا، وتوجد فى كل مكان، على الأرض؛ وفى الحقول؛ وفى الماء، ومنها ما يطير فى الهواء أيضًا.

ويوجد نوع من الخنافس تسمى (الخنافس المفترسة) تضع بيضها فى حفرة فى التربة، وعندما تفقس تخرج منها يرقة تشبه الدودة، ولكنها دودة مفترسة، تستقر فى الحفرة، وتخرج رأسها منها، وتنتظر الحشرات الصغيرة لتفترسها، فهى تفعل ما تفعله أنثى العنكبوت!

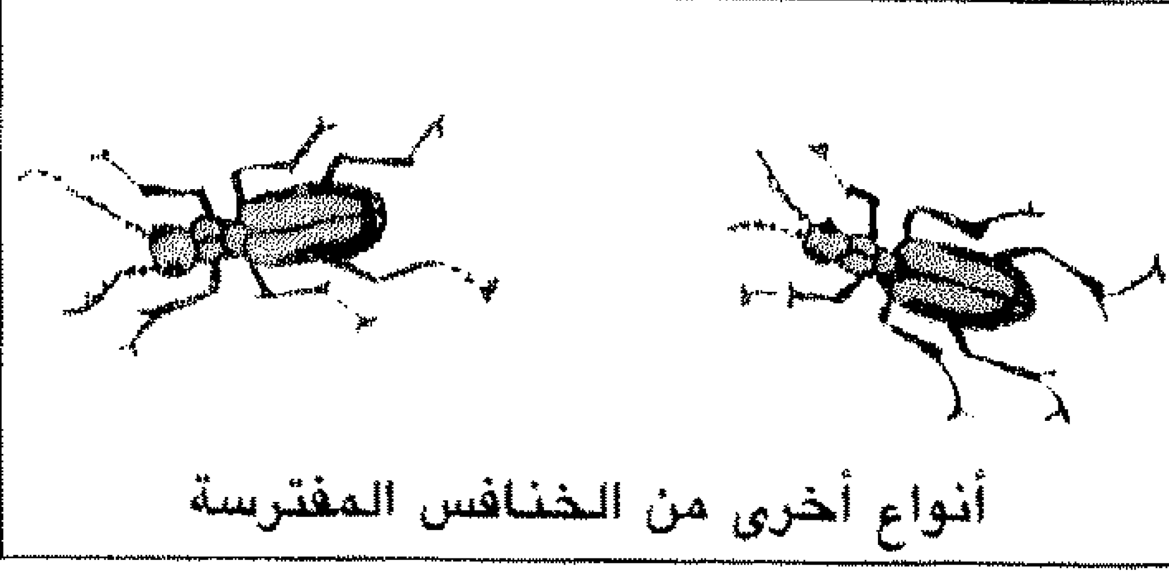
والجعران من الخنافس. ويسمى خنفساء الروث، فهو يجمع الروث

أو فضلات الإنسان، ويجعل منها كرات، هى غذاؤه المفضل، وهناك الكثير من الخنافس التى قد تكون صيدًا سهلاً للقطط أثناء الليل.

أما العناكب فهى ليست من الحشرات فلها أربعة أزواج من الأرجل. وكل أنواع العناكب تنسج الحرير، والإناث هى التى تفعل ذلك، وهى أكبر من الذكور حجمًا وقوة. وعادة تفترس زوجها وصغارها عندما لا تجد غذاء آخر.

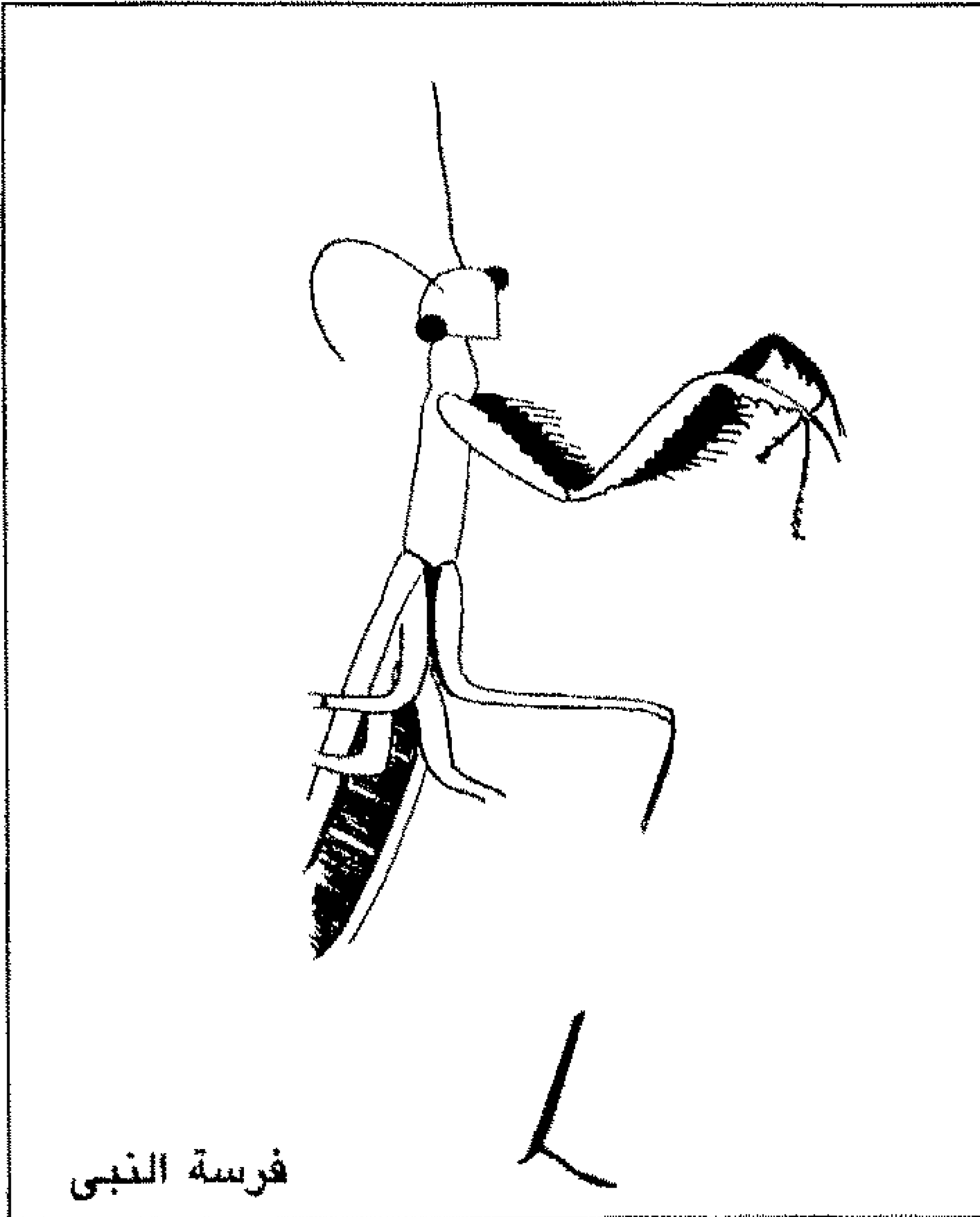
وتطير الفراشات ليلاً.. وقد تكون فريسة للقطط وبعض الدواب الأخرى.

وهناك الكثير من الحشرات الأخرى المثيرة للدهشة: مثل عنكبوت يسمى (أبو أرجل طويلة) وله ثمانى أرجل طويلة جدًّا. وهناك حشرة أخرى عجيبة هى حشرة (فرسة النبى)، تفترس الخنافس والنحل والذباب وحشرات أخرى كثيرة، تفترسها القطط ليلاً. إنها حشرات الأرض أو من خشاش الأرض كما ذكر الحديث النبوى الشريف.


أنواع أخرى من الخنافس المفترسة


خنفساء التربة


الجعران


فرسة النبى



النحل



النحل

خلق الله تعالى النحل فى هذه الأرض قبل خلق الإنسان بمئات الملايين من السنين وما إن خُلق الإنسان حتى وجد العسل أمامه وفيرًا، فى بيوت النحل فى كهوف الجبال، وعلى أغصان الأشجار. كما جاء فى القرآن الكريم: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].. ووجد الإنسان فى العسل غذاء مهمًا يقيم أَوَده، ويحفظ صحته، ويشفيه من كثير من الأمراض.

وأين كان يذهب العسل قبل خلق الإنسان فى هذه الأرض؟

كان غذاء للنحل نفسه وللحشرات الأخرى، ولكن لما ظهر الإنسان على هذه الأرض كان له النصيب الأكبر منه، فقد كان الإنسان البدائى فى عصور ما قبل التاريخ يسطو على خلايا العسل البرى، ويأخذ ما بها من عسل، وشيئًا فشيئًا تعلم الإنسان البدائى - فى العصر الحجرى - استئناس طوائف النحل وترويضها على الحياة فى الجبال أو الأشجار القريبة منه أو الأوعية الطينية.

وقد شوهد النحل منقوشًا على جدران معابد المصريين القدماء التى يرجع تاريخها إلى عام ٣٥٠٠ق.م. ومن الطبيعى أن يكون الإنسان البدائى قد تعلم الكثير من نظام خلية النحل التعاونى وكيف أنها تعيش فى جماعات منظمة، كل فرد له دور وله وظيفة، وأن الملكة هى التى تدير أعمال الخلية كلها.. والنحل كله يتعلق بالملكة، ويأتمر بأمرها.

ولم يتخذه الإنسان القديم - العسل - فى الطعام فقط، ولكن اتخذه فى العلاج، وصناعة بعض أنواع الدواء، وفى تقديم القرابين للمعابد، وحدث ذلك فى مصر القديمة وبابل وآشور.

وذكرت مصر فى العهد القديم (التوراة) بأنها بلاد العسل واللبن، وعُثر فى بعض قبور الفراعنة على أوعية محكمة الإغلاق، ووجدوها ممتلئة بالعسل، ومن العجيب أنه ظل محتفظًا ببعض خواصه بعد مرور آلاف السنين. وكان وضع العسل فى تلك القدور فى المقابر على اعتقاد أن الميت سيبعث بعد موته فى قبره، وسيجد العسل أمامه فيتغذى عليه.

وكان الشاب الذى يقدم على الزواج فى مصر القديمة يقدم هدايا لخطيبته ومن ضمنها قِدْر ممتلئة بالعسل؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن العسل رمز للخلود.. ولعل هدية العسل فى أول الزواج كانت السبب فى إطلاق اسم (شهر العسل) على أول شهر من الزواج.

وقد كان المصريون القدماء - وشعوب الشرق الأوسط - يخزنون العسل فى أوعية من الفخار محكمة الإغلاق. وقد كانوا يعتقدون أن العسل له اتصال بالروح، لذلك كان العسل على كل مائدة فى الاحتفالات الدينية (انظر شكل ١). وكان الصينيون القدامى يستعملون العسل على أمل جلب السعادة، وكانوا يدهنون ثدى العروس وأعضاءها التناسلية الخارجية، وبطنها، بالعسل، على اعتقاد أن ذلك يزيد من قدرتها على الحمل.



شكل (١)

وكان الهنود القدامى يدهنون شفتى العروس بالعسل ليلة زفافها على اعتقاد أن ذلك يزيد المودة بين الزوجين. وكانت الشعوب فى العصور القديمة يصنعون من العسل خمرًا.

وفى صحيح البخارى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ عن نبيذ العسل وكان أهل العسل يصنعونه ويشربونه. فقال ﷺ: «كل شراب أسكر فهو حرام».

وكان العبرانيون يستعملون العسل فى طعامهم، وفى كل أعيادهم. ولا يزال اليهود حتى يومنا هذا يصنعون الأطعمة فى أعيادهم من العسل.

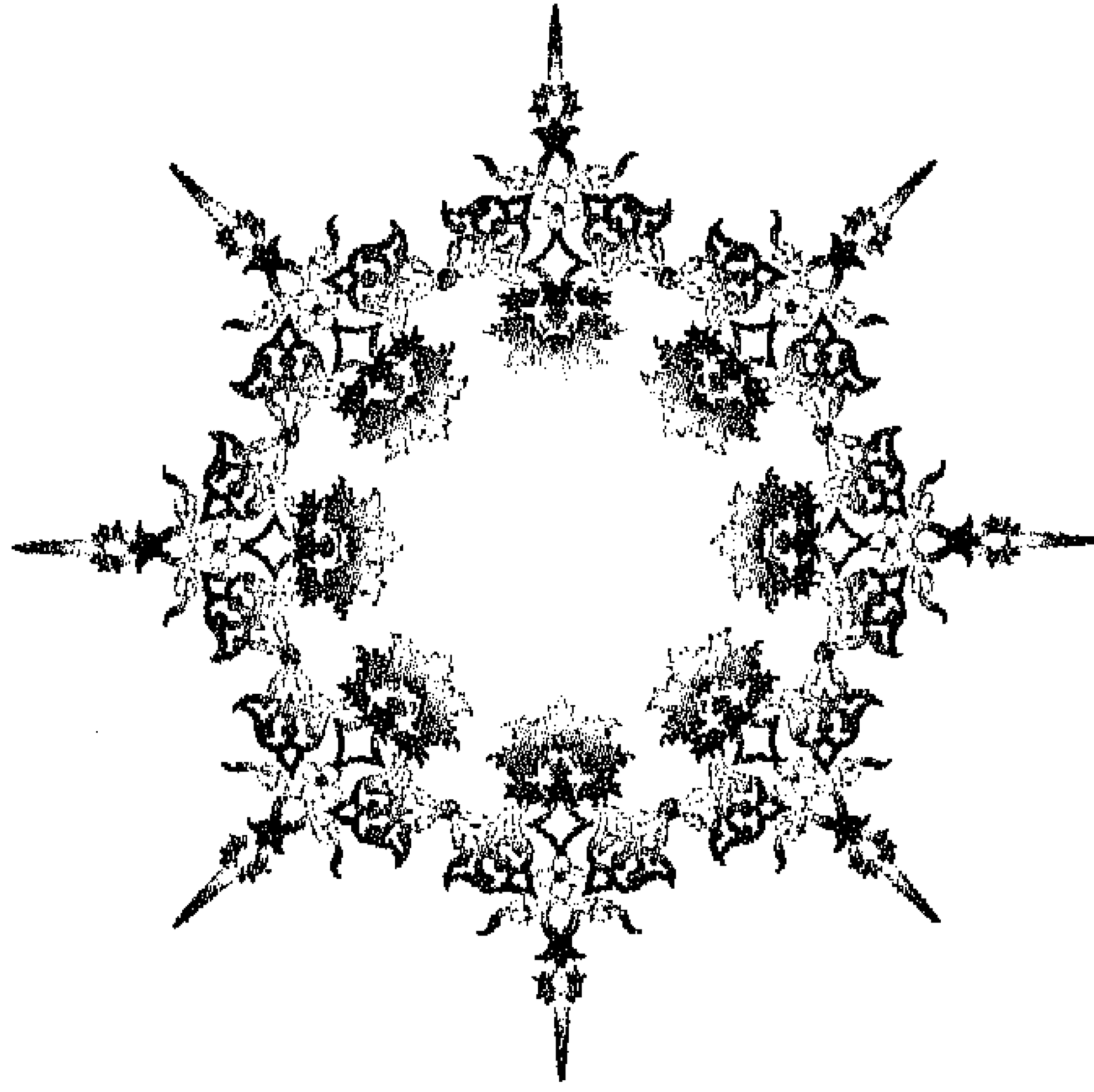
وفى العصر الرومانى كان العسل موجودًا على كل مائدة طعام، وفى كل معبد من معابدهم، وكان تقديم العسل من ضمن طقوس أعيادهم.

وكان نبلاء الرومان يربون خلايا النحل، وكان كلٌّ منهم يفتخر بكثرة عدد خلايا النحل التى يمتلكها. وكانوا يستعملون العسل فى المقايضة على شراء بضائع أخرى، وكان العسل يستعمل بكثرة فى مختلف أطعمتهم.

وذكرت دراسات إحصائية عام ١٩٥٠ فى الاتحاد السوفيتى حينئذ أن معظم المعمرين كان معظم طعامهم من العسل، فاستقر فى اعتقادهم أن تناول العسل يطيل العمر.

وتدل الآثار القديمة لكثير من الشعوب القديمة، أنهم كانوا يستعملون العسل كغذاء وعلاج. وعثر فى وثائق الملك بانيبال ملك آشور (٦٦٩ ـ ٦٣٣ ق.م) على أن العسل كان يستعمل فى معظم الأدوية، وفى معظم المعابد أيضًا.

كما أن القرآن الكريم ذكر، وهو الحق، أن فى الجنة أنهارًا من العسل.



مجتمـــع النحـــــل

■ روى الإمـام أحمد والإمـام أبو داود، عن معمر، عن الزهرى، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

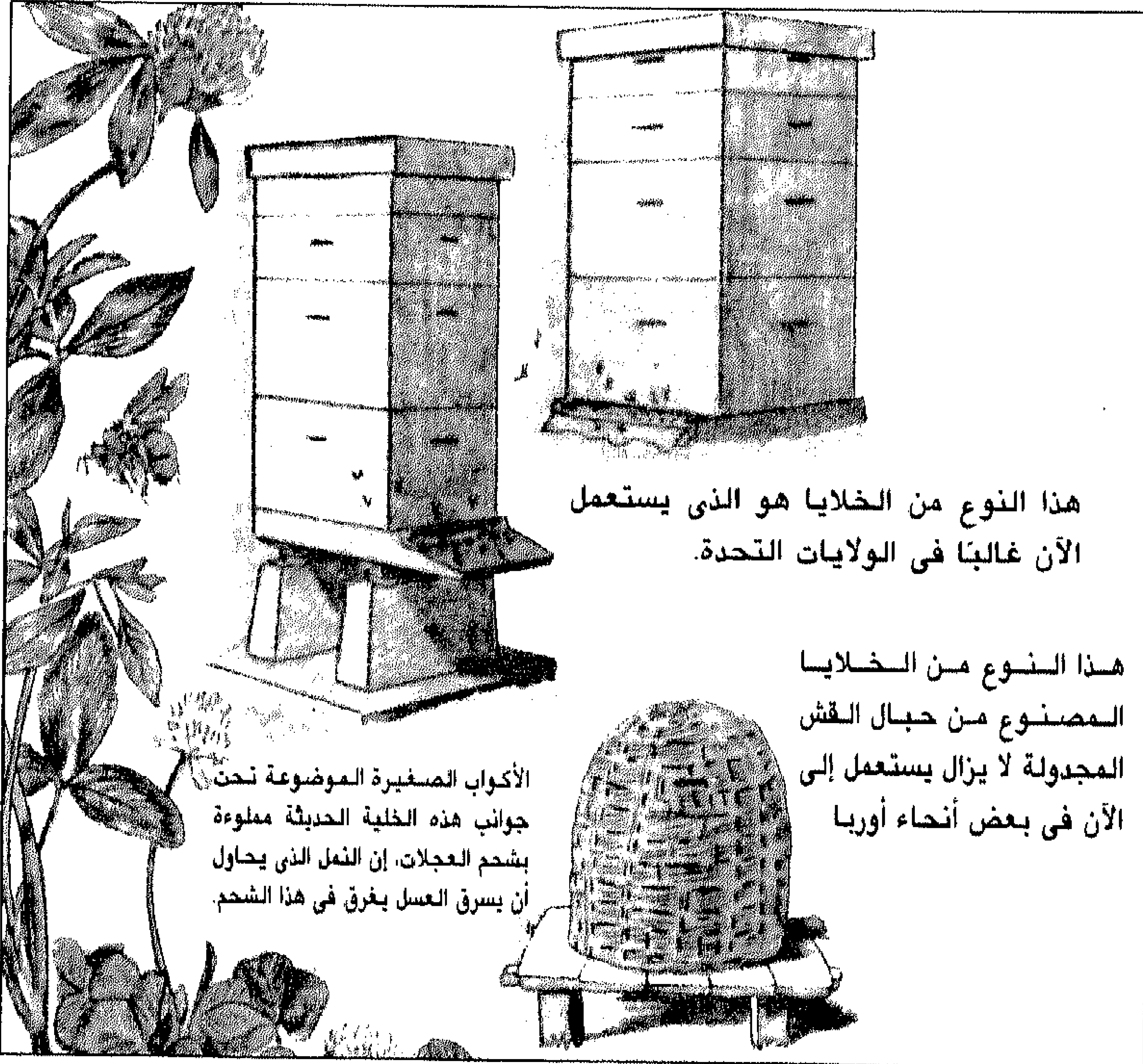
(نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربع دواب: النملة والنحلة والهدهد والصُرد).

وقيل نهى عن قتل النملة؛ لأن النمل أمة تُسبح الله تعالى، ونهى عن قتل النمل الذى لا يضر الإنسان، أما النوع الذى يضر فيحل قتله، كما تقول القاعدة الشرعية: (لا ضرر ولا ضرار).

ونهى عن قتل النحلة؛ لأنها تخرج عسلاً فيه الغذاء والشفاء للناس.

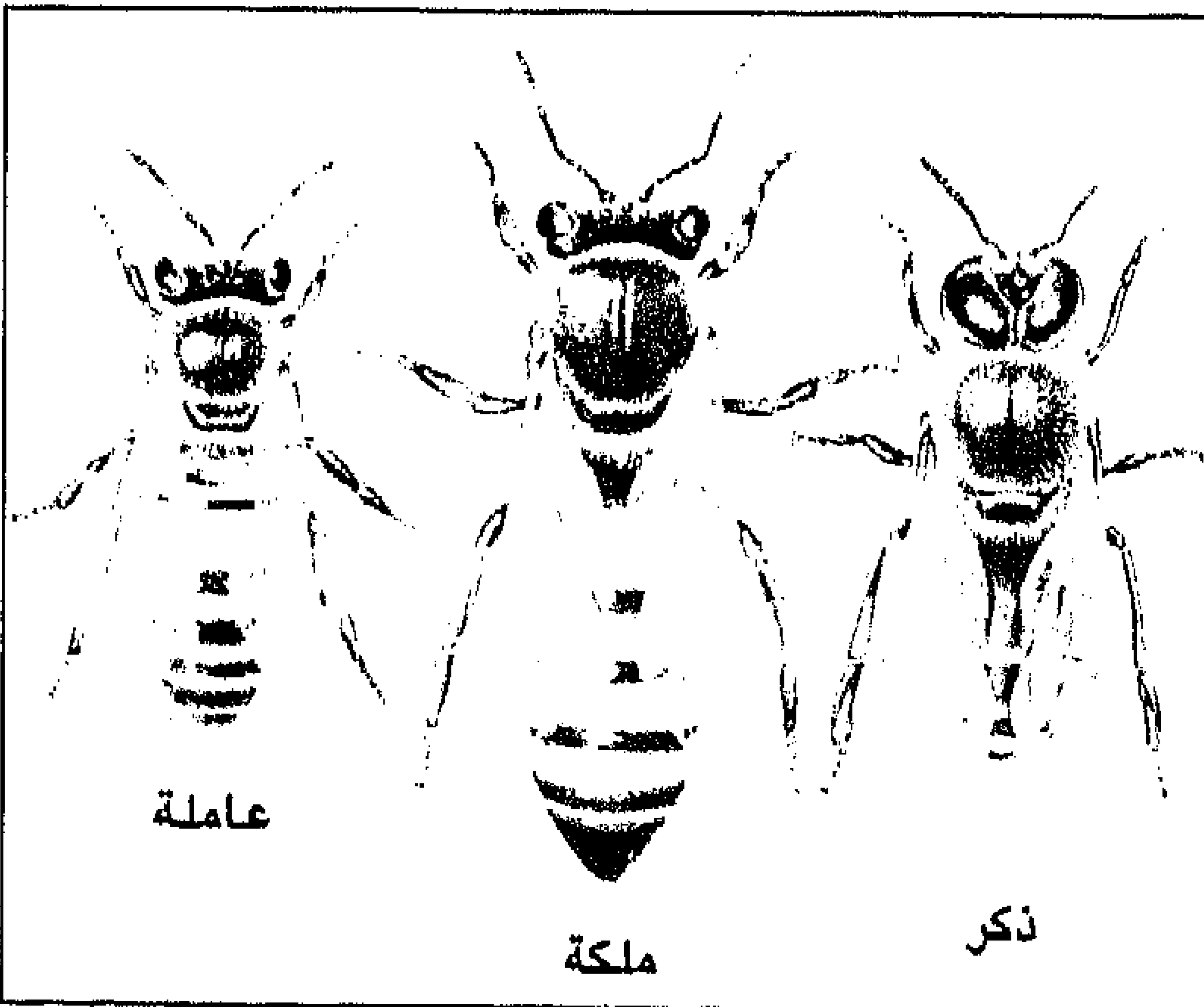
ونهى عن قتل الهدهد؛ لأنه كان من جنود النبى سليمان عليه السلام، وأطاعه وأعانه؛ ولأن الهدهد يلتقط الديدان من الأرض، ويفيد الزرع، وبذلك يفيد الإنسان ولا يضره.

ونهى عن قتل الصُّرَد، والصرد طائر فوق العصفور، نصفه أبيض ونصفه أسود ضخم المنقار، وكانت العرب تتطير منه، ونهى رسول الله ﷺ عن قتله ردًّا للطيرة.



■ روى الإمام أحمد عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عبدالرحمن بن عبدٍ القارىِّ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: (كان النبى ﷺ إذا نزل عليه الوحى يُسمع عند وجهه دوىٌّ كدوى النحل... إلخ).

■ وأخرج الإمام مالك فى الموطأ عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر الصديق بعث جيوشًا إلى الشام فخرج يمشى مع يزيد بن أبى سفيان، وكان أمير ربع من تلك الأرباع. فقال له: (إنى أوصيك بعشر: لا تقتلن امرأة ولا صبيًّا، ولا كبيرًا ولا هرمًا، ولا تقطعن شجرًا مثمرًا، ولا تخربن عامرًا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا إلا لمأكله، ولا تحرقن نحلاً ولا تُفرِّقَنَّه... إلخ).



وفى رواية: (ولا تحرقن نخلاً). إلا أن الرواية الأولى أرجح وأصح (ولا تحرقن نحلاً ولا تفرقنه)؛ لأن النخل لا يُفرّق. ولأنه نهى عن الشجر المثمر قال: (ولا تقطعن شجرًا مثمرًا)؛ لأن النخل من الشجر المثمر، فلم يكن هناك مبرر لتكرار النهى عن إحراق النخل.

وفى معجم لسان العرب قال: يؤنّث النحل ويذكّر. وقد أنثها الله تعالى فى قوله: ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾، ويُذكّر النحل لأن لفظه مذكر، ويؤنث لأنه جمع نحلة. والحديث الشريف: «**مثل المؤمن كمثل النحلة**».

إلا أننا نرى أن النحل إذا خوطب كما فى آية سورة النحل، فإنما يكون الخطاب لملكة النحل وهى الأنثى الوحيدة فى الخلية، وليس هناك غيرها أنثى. أما الشغالات فهى إناث عقيمة، أى خنثى. والذكر ليس له شأن داخل الخلية.

النحل حشرات اجتماعية تعيش فى مجتمع فى قمة النظام؛ نظام إدارى وتعاونى عجيب تديره الملكة بكل اقتدار. ويتكون النحل من ثلاثة أفراد: الملكة. الذكور. الشغالات.

وفى بيت النحل عشرات الآلاف من النحل، ويتضاعف العدد أثناء الربيع، ويقل أثناء الشتاء.

النحلة حشرة مسالمة لا تعتدى على أحد، ولكنها لا تستسلم إذا اعتدى عليها. فإذا تعرضت الخلية لهجوم الزُّنبور الأحمر وهو من أكبر أعداء النحل، وأراد قتل النحل أو أخذ يرقاته لتكون غذاء يرقاته الصغيرة، فإن النحل المسالم ينقلب إلى محارب شجاع لا يتراجع عن قتال المعتدى. فالزنابير الحمراء أقوى من النحل، فالواحد منها يستطيع قتل ألف نحلة.. إلا أن الملكة لا تستسلم ولا تستسلم الشغالات، وتصدر الملكة أمرًا بالتعبئة العامة، وتقوم معركة ضارية بين جميع أفراد الشغالات، ومجموعة الزنابير الحمراء. وهى معركة غير متكافئة، فالنحل أضعف كثيرًا من الحشرات المعتدية.

ولا يتوقف القتال أبدًا حتى آخر نحلة فى الخلية.. والنحل لا يتراجع ولا يستسلم وتنتهى المعركة بانتصار أحد الطرفين، والنصر فى أكثر الأحيان يكون للنحل.. وتفر الزنابير الحمراء بعد أن تصاب بخسائر جسيمة.

١ـ الملكــة الأم:

هى الأنثى الوحيدة فى بيت النحل، ولا توجد ملكتان فى بيت واحد.. وإذا حدث أن خرجت ملكة عذراء جديدة، فستقوم معركة ضارية بين الملكتين، وتستمر المعركة حتى تموت إحدى الملكتين وتبقى ملكة واحدة تقود مجتمع النحل بالخلية.. فهناك وحدة فى القيادة فى بيت النحل، وكذلك الأمر فى بيوت معظم الحشرات.


ملكة النحل مع خادماتها العديدات

والملكة هى أم أفراد النحل جميعًا، وتُعرف من وسط النحل كله بشكلها المميز، ولونها الزاهى وطول بطنها، وقصر أجنحتها. وتضع الملكة البيض فى حجرات الخلية (ويسميها البعض العيون)، بيضة فى كل عين، وذلك بنظام معين وبترتيب محكم. فتبدأ بوضع بيضة فى عين فى وسط القرص، ثم تضع بيضة فى كل عين بعد ذلك. وهى تتبع طريقًا دائريًا، وبذلك لا تضيع وقتها فى البحث عن عيون خالية من البيض أو اليرقات، ولا تضع بيضتين فى عين واحدة.

وتبدأ الملكة فى وضع البيض فى شهر مارس وتتوقف عن وضع البيض فى شهر سبتمبر وتضع فى اليوم الواحد من ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ بيضة. وهذا العدد الوفير من البيض يفوق الحد الضرورى من أجل تعويض موت الشغالات، التى لا يتعدى عمر النحلة الواحدة منها الشهر أو الشهر ونصف الشهر، بينما يتعدى عمر الملكة السنوات الثلاث.

وبحسب حاجة الخلية إلى النحل تضع الملكة البيض، فمن علّم النحلة الملكة كل هذا النظام المحكم العجيب؟! ومن علّم باقى النحل الشغالات القيام بعملها بكل دقة وإتقان؟! نجد ذلك فى أول كلمةٍ فى الآية الكريمة: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾، ومادام وحيًا من الله لها، فلا عجب أن يبلغ حد الكمال.

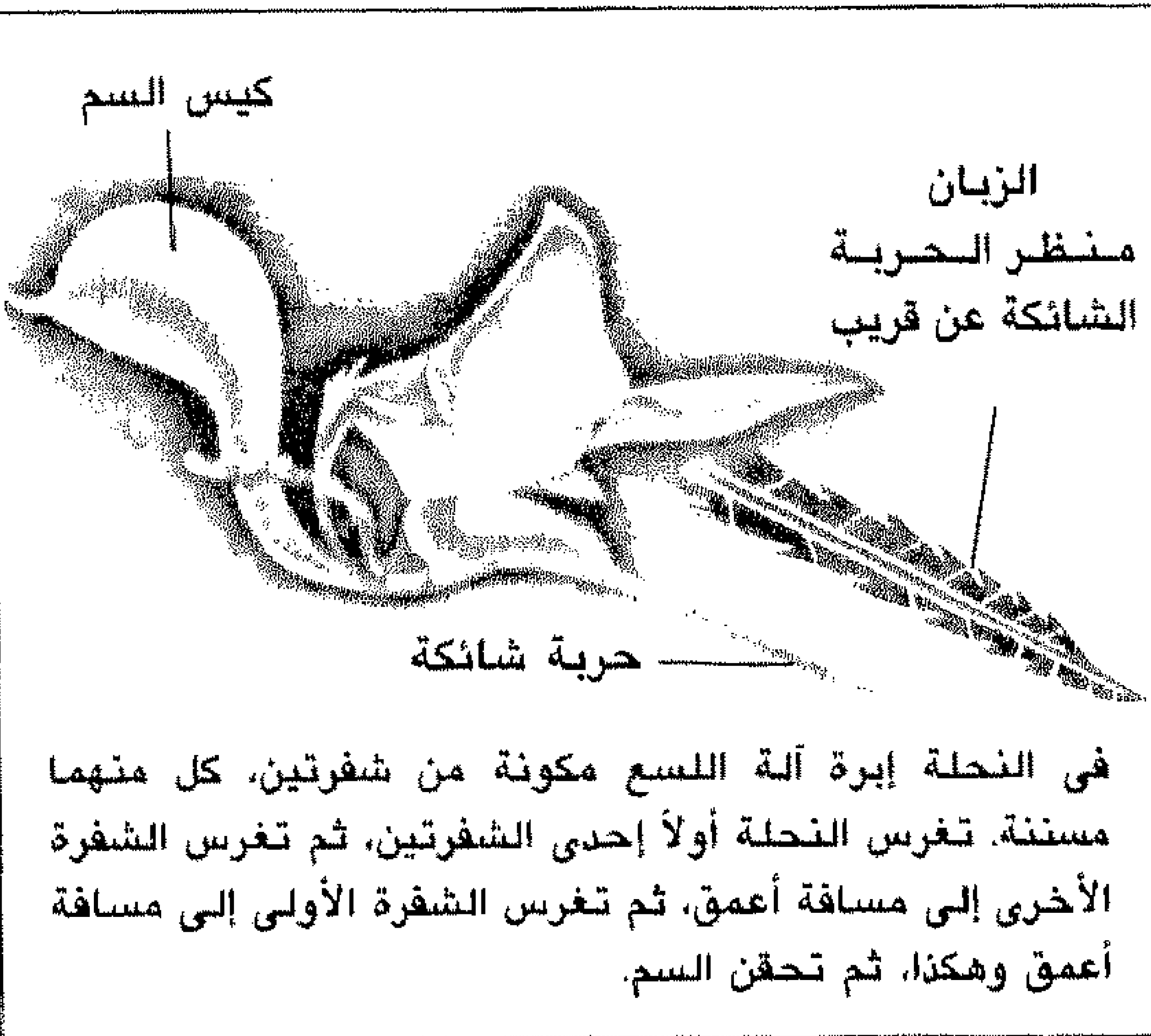
وتحمل الملكة آلة لسع مقوسة فى مؤخرة بطنها، ويمكنها أن تستعملها فى لسع ملكات أخريات أكثر من مرة ولا يتأتى ذلك للشغالات التى لا تستعمل آلة اللسع إلا مرة واحدة وتموت بعدها.

وتتحكم الملكة فى عمل وسلوك الشغالات، وذلك بواسطة أوامر تصدرها لها، وبواسطة خمائر خاصة على سطح بطنها (مادة الملكة) تمنع الشغالات من إنتاج ملكات جديدة كما تمنع الجهاز التناسلى للشغالة من أن ينشط، ويظل فى حالة ضمور.

٢ـ النحلة الشغالة:

هى أصغر أفراد النحل حجمًا وأكثرها عددًا، فلا يزيد طولها على سنتيمتر ونصف السنتيمتر، وفى مؤخرة بطنها آلة اللسع. وتتكون من إبرة مجوفة تتصل بغدة تفرز سم النحل وتعرف آلة اللسع بالزبان Sting. وزبان النحلة مسنن؛ لذلك لا يمكنها استخلاصه من جلد الضحية بعد انغراسه فيه؛ لذلك ينفصل الزبان عن بطن النحلة بعد عملية اللسع، ونتيجة ذلك تموت النحلة. إذا لسعت النحلة إنسانًا، فأفضل طريقة للتخلص من أثر اللسعة أن تنتزع الزبان بأسرع وقت، لأنه لو لم ينتزع ستظل غدة السم تنبض وتحقن السم، مع أنها قد فصلت عن جسم النحلة! وانتزاع الزبان بعكس الطريق الذى غرست فيه إبرة الزبان وإلا كسرت داخل الجلد. وتختلف آلة لسع «الزنبور»، فالإبرة ليست مسننة؛ لذلك يستطيع «الزنبور» أن يلسع ضحيته ويخرج زبانه سليمًا.


الزبان الذى يستخدم كسلاح للنحلة



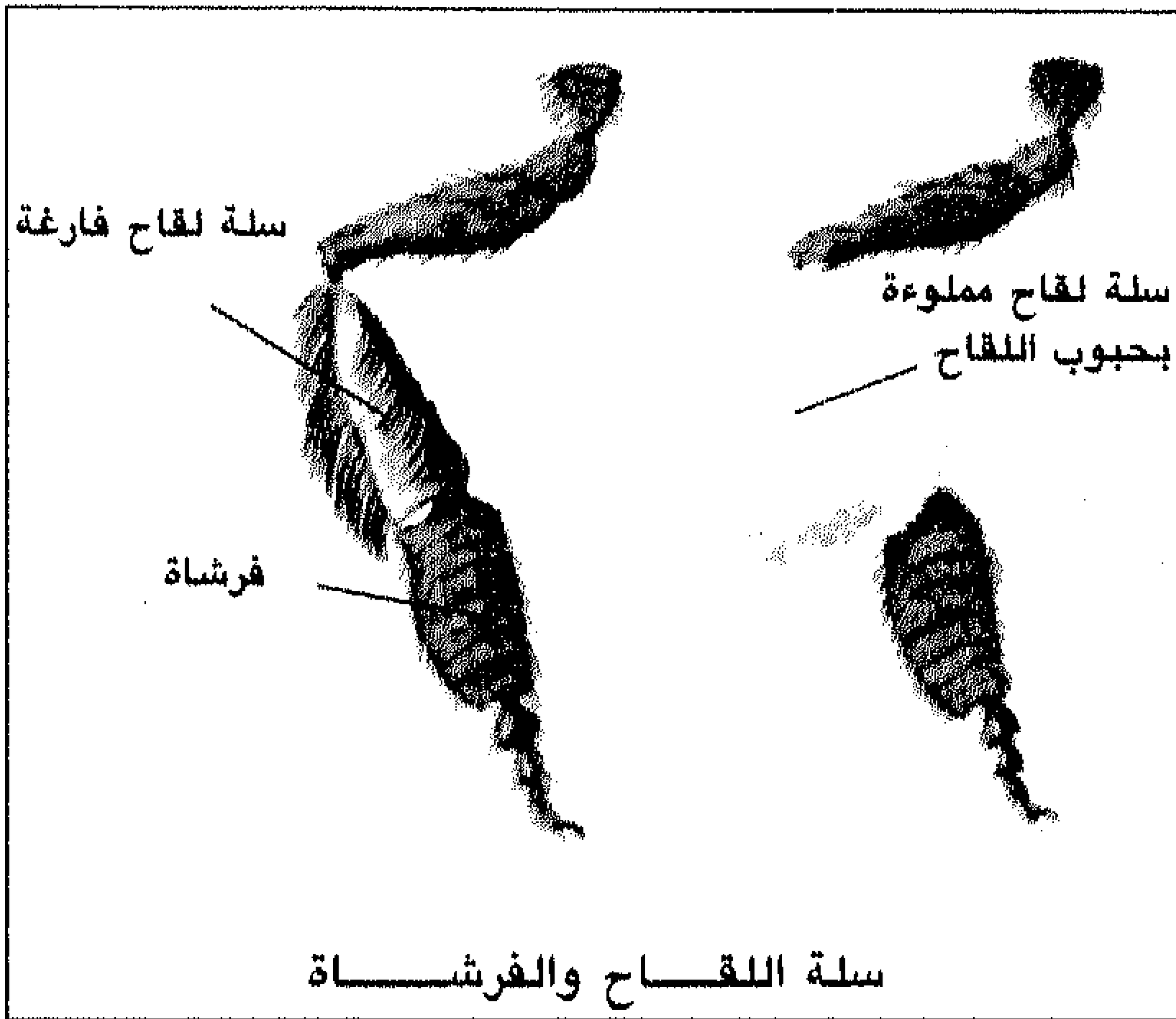
فى النحلة إبرة آلة اللسع مكونة من شفرتين، كل منهما مسننة. تغرس النحلة أولاً إحدى الشفرتين، ثم تغرس الشفرة الأخرى إلى مسافة أعمق، ثم تغرس الشفرة الأولى إلى مسافة أعمق وهكذا، ثم تحقن السم.

وللنحلة الشغالة جهاز تناسلى غير كامل التكوين، وفى أرجلها الخلفية سلة لنقل حبوب اللقاح تسمى (سلة حبوب اللقاح). لا تستطيع وضع البيض بسبب خمائر تفرزها الملكة على ظهرها، وتلحسها النحلة الشغالة، وتعيش الشغالة نحو ستة أسابيع، إلا أنها فى فصل الشتاء تعيش عددًا من الشهور. وتتميز النحلة الشغالة بصفات خِلْقية لا توجد فى النحلة الذكر، ولا فى الملكة، تمكِّنها من القيام بأعمالها المختلفة وهى:

١ـ أجزاء الفم مصممة بحيث تستطيع جمع رحيق الزهور.
٢ـ الفكوك العلوية تمكنها من جمع الشمع وتشكيله لبناء العيون السداسية.
٣ـ لها آلة لسع، وهذه الآلة غير موجودة فى الذكور.
٤ـ جسمها مغطى بشعر كثيف تلتصق به حبوب اللقاح.. وبذلك تلقح الزهور.
٥ـ لها حويصلة (المعدة) لتخزين السوائل.
٦ـ لها غدد خاصة تفرز الغذاء الملكى، وغدد أخرى لإفراز الشمع.
٧ـ تقوم بكل الأعمال فى الخلية وخارجها.

٣ـ بناء البيت:

يتكون القرص الواحد من عدة آلاف من الغرف أو العيون الشمعية التى تبنيها الشغالة؛ لتربى فيها صغار النحل، وتخزن العسل فيها، وتخزن حبوب اللقاح، والغرف ذات شكل سداسى منتظم، تبنيها الشغالة حول محور وسطى، تتفرع منه باقى العيون على الجانبين، وقاعدة كل عين مجوفة تجويفًا بسيطًا، بحيث تنطبق تمامًا مع قواعد العيون المقابلة، وتميل كل عين ميلاً بسيطًا ناحية الجدار الأوسط؛ حتى لا ينسكب العسل منها.



سلة اللقاح والفرشاة

ولقد بنت النحلة العيون على الشكل السداسى؛ لأنه أقرب الأشكال إلى المستدير من غير أن يترك فراغات بين العيون. وتفرز الشغالة الشمع من الغدد الشمعية الموجودة فى أسفل بطنها، تخرجه على شكل قشور تزيلها الشغالة بأرجلها، وتخلطها بقليل من لعابها لتحولها إلى كتلة شمعية لزجة، تستطيع أن تشكلها بواسطة فكوكها إلى الشكل الذى تريده. وتحتوى خلية النحل على ثلاثة أنواع من العيون: عيون سداسية كبيرة الحجم تضع فيها الملكة بيضًا غير مخصب، فينتج ذكورًا، وأخرى تضع فيها بيضًا مخصبًا ينتج شغالات، والنوع الثالث عيونٌ أسطوانية مستطيلة قليلة العدد، تضع بداخلها بيضًا مخصبًا ينتج ملكات.

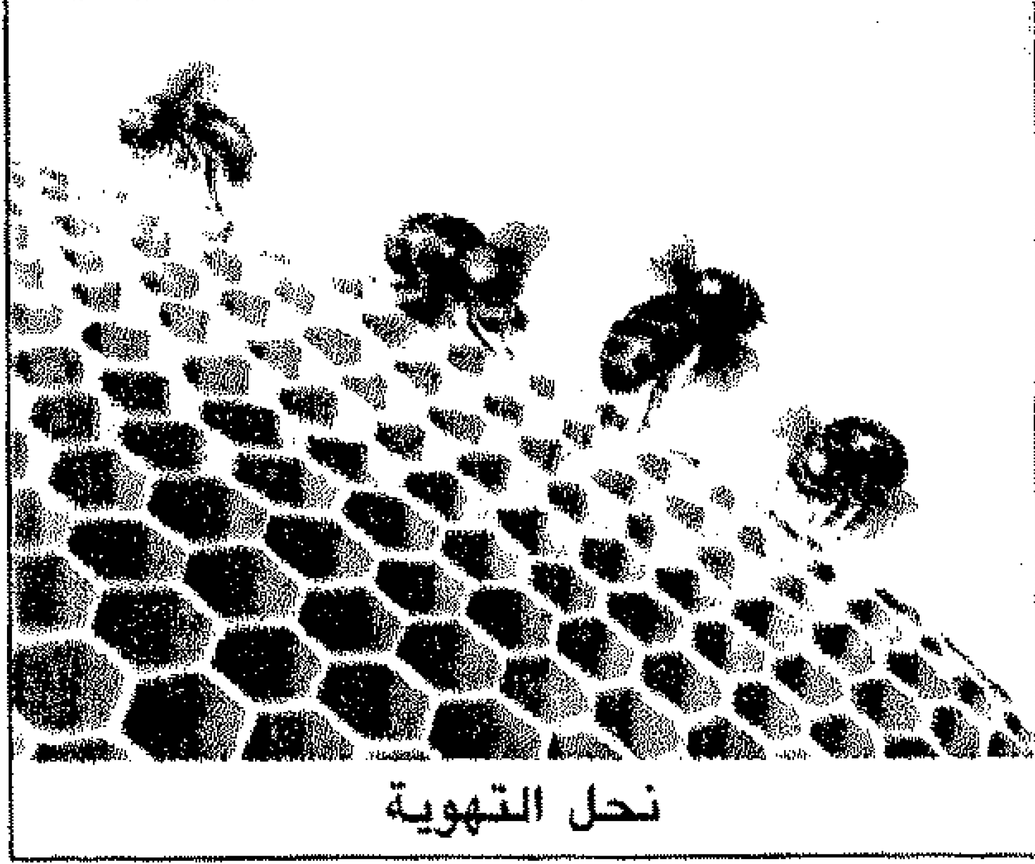


بعد أن تخرج الشغالة من العين، تبدأ فى العمل بمنتهى الدقة والإتقان!! فمن علمها ذلك؟! إنه الله الذى خلقها والذى قال: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

فى الأيام الثلاثة الأولى: تنظف الحجرات (العيون) فى البيت.

فى الأيام ٤ ـ ١٠: تقوم بمهمة تأمين الغذاء لليرقات، وابتداءً من اليوم السادس من عمرها تغذى بعض اليرقات بالغذاء الملكى Royal jelly؛ لتتكون ملكات جديدة.

من اليوم ١١ ـ ١٧: تقوم النحلة الشغالة بمهمة تخزين الغذاء والعسل فى عيون الخلية. وتنتقى النحلة أنسب العيون لتخزين العسل فيها. وعندما تجد عينًا خالية، تزحف داخلها وتخرج العسل من جوفها. ولكى تتمكن النحلة من ذلك، تجمع جناحيها معًا، كل جناح فوق الآخر حتى يشغلا حيزًا ضيقًا جدًّا.


نحل التهوية

وعندما تمتلئ العيون بالعسل قليل الكثافة، يجب أن يُستخرج منه قدر من الماء ليزداد تركيزه، وهذا هو العمل الذى تقوم به الشغالات التى تعمل على تكييف جو الخلية ليل نهار!


قتل النحل خنفساء كبيرة، وينقلها لتنظيف البيت منها

وبعد أن يصير العسل داخل العيون فى تركيز متوسط، تحكم الشغالة تغطيته بالشمع، وبذلك يظل العسل زمنًا طويلاً محتفظًا بخواصه وطعمه.

من اليوم ١٨ ـ ٢١: يقف النحل على باب الخلية ويقوم بعملية التهوية بواسطة خفق أجنحته بسرعة هائلة تُحدث طنينًا ودويًّا، ويسبب ذلك تحرك تيار من الهواء البارد إلى داخل الخلية.

ويقف نحل آخر على الجانب المقابل لمدخل الخلية متجهًا بوجهه إلى خارج الخلية. وتحرك أجنحته بسرعة هائلة، فيتحرك تيار الهواء إلى داخل الخلية، فيبرد الخلية فى فصل الصيف، كما يعمل على تجفيف العسل وزيادة تركيزه.

ويظل النحل الذى يعمل على تكييف هواء الخلية يحرك جناحيه بسرعة تزيد على مائة حركة كل ثانية من الثوانى ولا يهدأ ولا يستريح!

كما تقوم النحل الشغالات بمهمة قتل الحشرات المهاجمة، وإخراج جثثها من البيت وتنظيفه منها. ولولا عملية التنظيف الدائمة ما صلحت الخلية مكانًا لحياة النحل فيه.

وتقوم بالحراسة أيضًا فتقف عند مدخل الخلية، وتحاول قتل أى حشرة غريبة تحاول أن تقترب من الخلية أو تحاول الدخول فيها.

من اليوم ٢١ حتى موتها: تذهب النحلة الشغالة خارج الخلية لتقوم بمهمة أخرى هى جمع الرحيق من الزهور.. وهناك أمر عجيب، فهى تجمع الرحيق من نوع واحد من الزهور، كما تجمع حبوب اللقاح من نفس ذلك النوع. وتضع الخبز ـ خبز النحل ـ الذى تتغذى عليه اليرقات التى ستصير بعد ذلك شغالات وذكورًا.

كل أفراد النحل فى عمل بوحى الله عز وجل، فى نظام متقن وعجيب، لا خطأ فيه ولا تفاوت ولا اختلاف!!

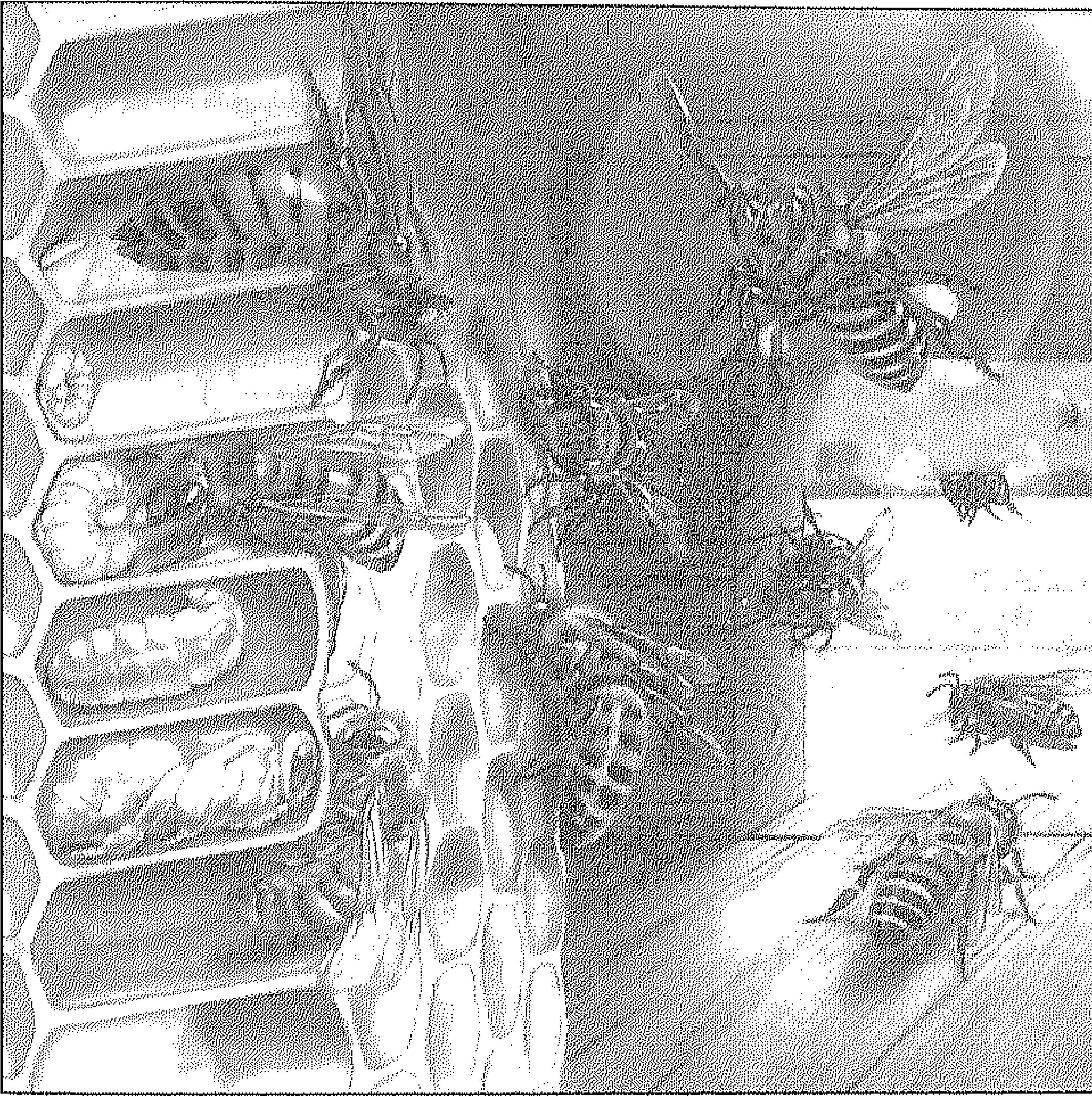
يتغذى النحل من العسل الذى يصنعه، بالإضافة إلى رحيق الزهور والمادة الثالثة من غذاء النحل هى خبز النحل الذى يصنعه من حبوب اللقاح والرحيق وقليل من العسل، وتعجن هذه المواد الثلاث، ويصنع من هذه العجينة خبز النحل، ويخزن فى عيون الخلية، وبعد أن تمتلئ العين بالخبز يختمها النحل بالشمع لحين الحاجة إلى الخبز؛ لإطعام يرقات النحل. والنحل الكبير لا يستسيغ الخبز ولا يتناوله طعامًا له.



هذا قطاع عرضى فى إحدى عيون الخلية، تخزن النحلة الشغالة خبز النحل فيها

٤ـ النحل الذكور:

يوجد منها فى بيت النحل الذى يحوى من ٤٠,٠٠٠ إلى ٦٠,٠٠٠ نحلة، بضع مئات من الذكور فقط، وهى أكبر فى الحجم قليلاً من النحلة الشغالة، وليس لها زبان. ووظيفة النحل الذكر تلقيح الملكة، وليس له عمل آخر فى بيت النحل، وأجنحة الذكور أقوى من أجنحة الملكة، وبذلك تستطيع اللحاق بالملكة، ويلقحها أقوى الذكور. وعيون الذكور أكبر حجمًا من عيون الملكة والشغالة.



وعندما تبدأ الملكة فى وضع البيض فى عيون البيت، وتستقر الأوضاع فى البيت؛ تبدأ الشغالات فى طرد الذكور خارج البيت، لأنه لا عمل لها، فضلاً عن أنها كثيرة الضوضاء، ومثيرة للمتاعب وعديمة الفائدة، وبذلك تصير عبئًا على باقى النحل، وتقاوم الذكور عملية طردها، إلا أن الشغالات تستعمل آلة لسعها، وتنجح أخيرًا فى طردها خارج البيت وتركها فى العراء لتموت جوعًا، فلا مكان فى بيت النحل لأى شخص عاطل عن العمل، ولا توجد عاطفة فى عالم الحشرات، فهى تعيش على الفطرة.

النحل يقع على الزهور:

■ روى الإمام أحمد فى المسند، عن معمر، عن مطر، عن عبد الله بن بريدة، عن عبيد الله بن زياد، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذى نفس محمد بيده إن مثل المؤمن لكمثل النحلة أكلت طيبًا، ووضعت طيبًا، ووقعت فلم تكسر ولم تفسد**».

تخرج النحل الشغالات فى مهمتها الأخيرة (الأسبوع الأخير من حياتها) لجمع الرحيق وحبوب اللقاح، وتذهب الشغالة من زهرة إلى أخرى. وتقف على بتلات الزهرة وتمد فمها الطويل إلى قاع كأس الزهرة.. وهذه منطقة حساسة جدًا فى الزهرة ففيها الأعضاء التناسلية للزهرة.. وتقع النحلة عليها ولا تفسد شيئًا فى الزهرة ولا تكسر أى جزء منها. وهكذا الإنسان المؤمن أينما ذهب، يفيد ولا يفسد شيئًا.



تميز النحلة ألوان الزهور جيدًا:

الألوان لغة تحدّث الناظر إليها بكثير من المعانى، وهذه حقائق يعرفها المتخصصون فى فن الرسم والزخرفة. واختلاف الألوان له أبعاد كبيرة فى جمال المخلوقات، ونضرب الزهور مثلاً:

إنها مختلفة الألوان، وبالتالى فهى متنوعة الجمال، وجمال الزهرة مرتبط بوظيفتها، وبوظائف المخلوقات الأخرى المتصلة بها، وبسلوكها، وكذلك اختلاف الرائحة لغة أيضًا. والزهرة تجمع كل هذه اللغات؛ لغة اللون ولغة الرائحة.

والألوان والرائحة تجذب الحشرات إلى الزهور، وفى ذلك تبادل منفعة؛ ضرورى لكل من الزهرة والحشرة، فالحشرة تتغذى من رحيق الزهرة، والزهرة تتلقح بواسطة الحشرة.

والنحل يميز الألوان جيدًا، وثبت ذلك فى دراسة للعالم كريستيان سبرنجل سنة ١٧٩٣ التى ذكرت أن تعدد ألوان الزهور يجذب اهتمام الحشرات فتقبل عليها، وتمتص رحيقها وتأخذ حبوب اللقاح، وهى إذ تفعل ذلك تسبب عملية تلقيح النباتات؛ بانتقالها من زهرة إلى أخرى من نفس النوع، دون أن تتعمد هى ذلك.

وألوان الزهور آية تنطق بقدرة الله تعالى المطلقة، وفيها من الأسرار ما لا نعلم عنها إلا القليل.

فالزهرة التى نراها حمراء، هل هى حمراء حقًا، أم أن الله خلقها بلون آخر، وجعل حاسة بصرنا تراها باللون الأحمر؟

وفى عام ١٩٧٣ قام العالم الألمانى كارل فون فريش بدراسة عميقة عن حاسة بصر النحل، ونال بها جائزة نوبل للعلوم، واستخدم فى دراسته عينات من العسل بألوان مختلفة، ودرس ردود أفعال النحل. وبعد دراسة استغرقت عشر سنوات، توصل إلى أن النحل يميز الألوان جيدًا، وأنه يرى ألوانًا لا تراها عين الإنسان. فالزهرة الحمراء، أو التى تراها عين الإنسان حمراء، لا تراها عين النحل حمراء اللون، بل تراها بلون بنفسجى، والعشب تراه عين الإنسان أخضر اللون، بينما تراه عين النحلة بلون رمادى! أما اللون الأصفر فتراه حاسة البصر فى الإنسان والنحل بنفس اللون.

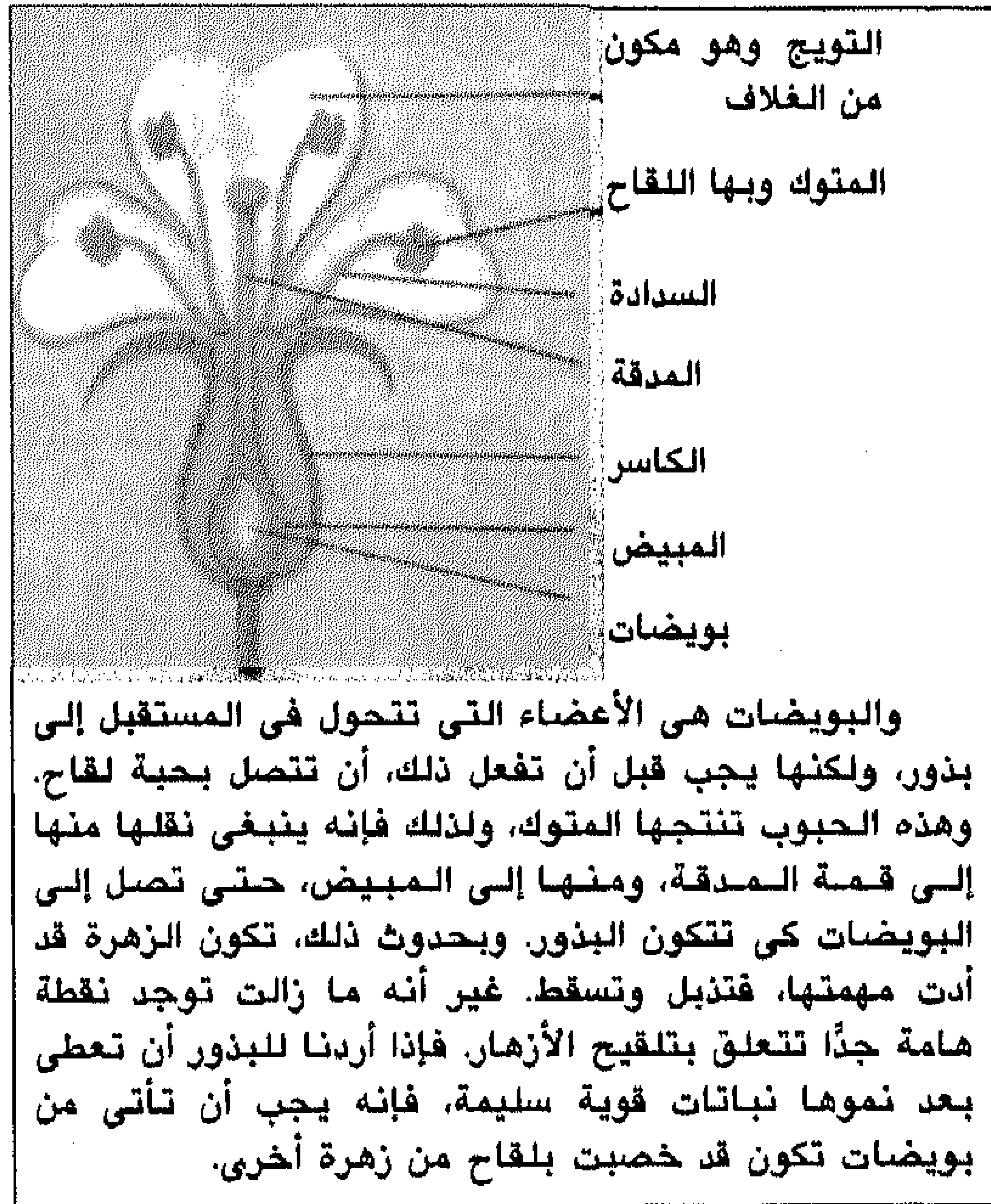
تجارب أخرى تثبت أن النحل يميز الألوان جيدًا:

وضع الباحثون شرابًا محلى بالسكر على بعد عشرة أمتار من بيت النحل، ولاحظوا أول نحلة ذهبت إلى هناك ووضعوا على ظهرها علامة، ولاحظوا أنها لما عادت بدأت ترقص رقصًا اهتزازيًّا عجيبًا، والتف النحل حولها وسرعان ما انطلق النحل إلى حيث يوجد طبق ذلك الشراب! وبعد ذلك أبعدوا الطبق إلى بعد نصف كيلو متر فوجدوا أن النحل عرف طريقه، وعاد وصار يرقص رقصًا دائريًّا.. وعلم باقى النحل مكان الشراب أيضًا، فانطلق إليه.. ثم أبعدوا الطبق إلى بعد كيلو متر، فحدث نفس الشيء.

ووضع الباحثون ورقًا أزرق على طبق الشراب.. وذهب النحل إليه، وكرروا التجربة ولكن على أطباق فارغة من الشراب، ووضعوا فيها أوراقًا ذات ألوان مختلفة، فلاحظوا أن النحل اتجه إلى الطبق الذى فيه الورق الأزرق! فدل هذا على أن النحل يميز الألوان جيدًا.

وأنت إذا راقبت النحل عن قرب فى حديقة فستجد أنه يقف عند بعض الأزهار ويترك بعضها الآخر، وذلك لأن الأزهار تختلف فى أشكالها، فبعضها لا يستطيع النحل أن يصل إلى رحيقه، وبعضها ـ مثل أزهار البرسيم والتفاح ـ يستطيع النحل أن يمتص رحيقه بسهولة.

وقد أجرى العلماء تجارب تثبت أن لون الأزهار ورائحتها هما اللذان يرشدان النحل إليها، وعندما تقوم النحلة برقصتها يحتمل أن يشم سائر النحل رائحة الرحيق التى حملتها النحلة معها إلى الخلية، وقد يتخذ النحل من هذه الرائحة مرشدًا إلى الحقل نفسه، أو الحديقة أو البستان الذى جاءت النحلة بالرحيق منه.



والبويضات هى الأعضاء التى تتحول فى المستقبل إلى بذور، ولكنها يجب قبل أن تفعل ذلك، أن تتصل بحبة لقاح. وهذه الحبوب تنتجها المتوك، ولذلك فإنه ينبغى نقلها منها إلى قمة المدقة، ومنها إلى المبيض، حتى تصل إلى البويضات كي تتكون البذور. وبحدوث ذلك، تكون الزهرة قد أدت مهمتها، فتذبل وتسقط. غير أنه ما زالت توجد نقطة هامة جدًّا تتعلق بتلقيح الأزهار. فإذا أردنا للبذور أن تعطى بعد نموها نباتات قوية سليمة، فإنه يجب أن تأتى من بويضات تكون قد خصبت بلقاح من زهرة أخرى.

وتوجد أنواع كثيرة من الزهور، وأكثر ظهورها فى فصل الربيع، وبالرغم من اختلاف أنواع الزهور، فإن الهندسة الإنشائية فيها جميعًا متشابهة، وتناسب وظيفتها تمامًا وهى تلقيح أعضاء التأنيث، ونمو الجنين ـ جنين الثمرة ـ وإنتاج الحبوب والثمرات. وتُنقل حبوب اللقاح من رأس أعضاء التذكير فى الزهرة، عن طريق الحشرات، ومن أهمها النحل ـ إلى عقد التأنيث فى زهرة أخرى من نفس النوع.

وتوجد خلايا فى قاعدة كأس الزهرة تفرز الرحيق. وكأن الزهرة تفرز رحيقها لجذب الحشرات إليها، مكافأة لها، لحملها حبوب اللقاح من زهرة إلى أخرى؛ لتتم عملية التلقيح وهذا مَثَل من أمثلة الإحكام فى نظام الخلق، والتكامل والشمول فيه، الذى ينطق بقدرة الله تعالى.

ونجد فى كثير من الزهور تصميمًا إنشائيًّا مدهشًا؛ لاستقبال النحلة لها، واستخدام جسم النحلة فى عملية نقل حبوب اللقاح من زهرة إلى أخرى. ففى بعض الزهور، تقف النحلة بأرجلها على الورقة السفلى من الزهرة، وتمد فمها لتمتص الرحيق المجتمع فى كأس الزهرة. وما إن تفعل ذلك حتى تبرز أعضاء التذكير، فتلامس حبوبُ اللقاح جسمَ الزهرة وتلتصق بها، وما إن تصل نفس النحلة إلى زهرة أخرى من نفس النوع، حتى تنقل حبوب اللقاح إلى عضو التأنيث بها وبذلك يتم التلقيح. وتستطيع

النحلة أن تطير بسرعة ستين كيلو مترًا فى الساعة، وقد تزيد على ذلك أو تقل، وذلك إذا طارت فى اتجاه حركة الرياح، أو فى عكس اتجاهها. وتقل سرعتها إلى النصف إذا كانت سلة اللقاح مملوءة باللقاح. وجمع كيلو جرام من حبوب اللقاح، يكلف النحلة نحو مائة ألف حمولة فى سلة اللقاح، خلال مائة ألف رحلة إلى الزهور. ومن الطبيعى ألا تستطيع نحلة واحدة جمع كيلو جرام من حبوب اللقاح، ولا واحد من مائة من هذا القدر أثناء حياتها.

والنباتات المزهرة أنواع عديدة، وأصناف شتى، تبلغ نحو ربع مليون صنف من النباتات (أنواع النباتات تبلغ ٣٥٠ ألف نوع). ولا علاقة للنحل بالنباتات غير المزهرة. ولم يحدث قط أن أفسدت نحلة زهرة من الزهور التى تصل إليها وتأخذ منها حبوب اللقاح، وتمتص منها الرحيق.

أما الزهور الصغيرة مثل زهور نبات الأرز، فلا تجذب النحل أو الحشرات إليها، إلا أن الرياح تقوم بمهمة التلقيح، فتحمل حبوب اللقاح من زهرة إلى أخرى. وقد يكون ذلك من بعض المعانى فى قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢].

■ فى حديث طويل لرسول الله ﷺ يتحدث عن المسيخ الدجال، وأنه سيظهر فى آخر الزمان وأنه عندما يظهر يتبعه ناس كثيرون. قال رسول الله ﷺ: «... **ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه**» إلى قوله ﷺ: «**ثم يمر بالخَرِبَةِ فيقول لها: أخرجى كنوزك، فينطلق فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل.. إلخ**».

(الخَرِبَة): أى الأرض الخراب.

(يعاسيب النحل): هى جماعة النحل. وكنى عن الجماعة باليعسوب، وهى ملكة النحل لأنها متى طارت تبعها كل ذكور النحل الموجود فى الخلية.

تبدأ رحلة تلقيح الملكة بعد الفترة ما بين أربعة أيام وعشرة أيام من خروجها من طور اليرقة إلى الحشرة الملكة العذراء، وتطير الملكة بكل ما تطيق من سرعة، والنحل ـ الذكور ـ يتبعها فى الجو، وأقوى الذكور يلحق بها ويلقحها.. وبعد التلقيح يعود السرب كله إلى الخلية.. وعندما تعود الذكور إلى الخلية تطردها الشغالات خارج الخلية؛ لأنه لم يعد لها عمل فى الخلية.

وبعد تلقيح الملكة، تبقى السفاد (عضو الذكورة فى الذكر) فى مهبل الملكة، وهذه علامة التلقيح التى يستدل بها النحل (الشغالات) على أن الملكة قد تم تلقيحها. وعندما تعود الملكة تستقبلها النحل (الشغالات) وتحيط بها الشغالات الوصيفات، وتبدأ الملكة فى وضع البيض فى الفترة ما بين يومين وثلاثة أيام من التلقيح.. وإذا لم تلقح الملكة فإنها تبيض بويضات غير مخصبة. وفى هذه الحالة يبحث النحل عن تخليق ملكة جديدة من يرقة يغذونها بالماء الملكى.

بعض أسرار النحل التى لاحظها العلماء:

لتعرُّفِ بعض أسرار النحل، قام فريق من المتخصصين بدراسة على إحدى مستعمرات النحل تعتمد على الاستدلال والملاحظة وخرجوا من هذه الدراسة بالآتى:

فى الخلية توجد ملكة واحدة، وهى التى تضع البيض، وعندما يفقس البيض، تظهر اليرقات التى تغذيها الشغالات، ويمكن للملكة أن تضع ألفى بيضة فى اليوم الواحد، وإذ تضع الملكة البيض يلتف حولها فريق من الوصيفات (الشغالات) يقوم بخدمتها. وتفقس اليرقة بعد ثلاثة أيام من وضع البيضة، وترضع الشغالات اليرقات بلبنها لمدة ثلاثة أيام، وبعد ذلك تُوقف الرضاع، وتتغذى اليرقات على خبز النحل المكون من العسل وحبوب اللقاح.

وبعد أسبوع واحد، تكون اليرقة قد كبرت وملأت العين، حينئذ تغطى الشغالات تلك العيون بالشمع، وتتحول اليرقات التى فيها إلى عذراوات. وبعد اثنى عشر يومًا، تتحول العذراء إلى حشرة كاملة؛ أى أنه بعد عشرين يومًا من وضع البيضة فى عين الخلية تخرج منها حشرة كاملة، بعد أن تكسر غطاء الشمع برأسها.

ولدراسة طباع النحل وسلوكه وطرق معيشته، يضع العلماء علامات ملونة على ظهر نحلة أو عدد من النحلات، وبذلك أمكن للعلماء التعرف على طرق معيشة النحل، وطرق حياته، وتوصلوا إلى المعلومات الآتية:

١- عندما تخرج شغالة من العين، فإن أول ما تفعله هو أن تزيل عن جسمها بقايا جلد العذراء العالق به، وتنظف جسمها جيدًا.

٢- تنظف الشغالات عيون الخلية الخالية فى بيت النحل؛ لتكون مناسبة تمامًا لاستقبال البيض الجديد الذى ستضعه الملكة.

٣- فى اليوم الثالث تبدأ الشغالات فى عمل خبز النحل من العسل وحبوب اللقاح، ثم تلقمه لليرقات فى الطور الثانى من نموها.

٤- عندما يصير عمر الشغالة خمسة أيام، تبدأ فى إرضاع اليرقات من لبنها الذى تفرزه من غدد لبنية فى بلعومها، وهكذا. فاليرقات ترضع من لبن الشغالات كما ترضع الأطفال من لبن مرضعاتها، وبذلك يكبر حجم اليرقة ثلاثمائة ضعف حجمها الأول فى ثلاثة أيام!!

وتستمر الرضاعة ثلاثة أيام لليرقات التى ستصير شغالات، أما اليرقات التى ستصير ملكات، فتستمر فى الرضاعة باللبن والتغذية بالغذاء الملكى طوال فترة حياة اليرقة، وهى نحو أسبوع.

٥- بعد عشرة أيام عندما تجف الغدد اللبنية فى النحلة، تنطلق النحلة مع الشغالات الأخرى؛ للبحث عن الرحيق وحبوب اللقاح من الزهور، وتخزن العسل وحبوب اللقاح عند عودتها إلى الخلية.

٦- بعد أسبوعين تبدأ الشغالة فى التعاون مع البناءات من الشغالات فى بناء عيون الخلية بالشمع المصنوع فى غدد خاصة فى بطنها، وبواسطة أرجلها الخلفية تسحب الشغالة قطعًا من الشمع وتضعها فى فمها، وتستعمل فكيها فى بناء جدران الخلية ولصق الشمع ببعضه بمواد حمضية خاصة.

النحل أمة من الأمم

روى الإمام مسلم عن سعيد بن المسيب، عن أبى سلمة بن عبدالرحمن، عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**قرصت نملة نبيًا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمّة تسبح!**».

نفهم من الحديث الشريف أن النمل أمة من الأمم، ونستدل منه على أن النحل أيضًا أمة من الأمم التى تُسبّح الله تعالى.

والأمة فى اللغة: كل جيل من الناس أمة. وكل جنس من الحيوان من غير بنى آدم أمة على حدة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾.

وأمة النحل مكونة من ثلاثة أصناف: الملكة، والشغالة، والذكر.

كيف يتصل النحل بعضه بالبعض (لغة النحل)؟:

للنحل لغة يتصل بها بعضه ببعض، ومن هذه اللغات:

١ـ حركة قرون الاستشعار.

٢ـ الروائح التى تفرزها النحلة.

٣ـ حركات الرقص.

بعد كثير من البحوث والدراسات، توصل العلماء المتخصصون إلى اكتشاف بعض لغات النحل، ففى عام ١٧٨٨م لاحظ «سبتزنر» Spitzner أن النحلة الشغالة عندما تعود إلى الخلية، وقد أحضرت رحيق الزهور وحبوب اللقاح، يجتمع حولها أفراد النحل، وكأنها تسأل النحلة عما أحضرت من الغذاء، وأين مصدر ذلك الغذاء، فتخبر النحلة عن مكان مصدر الغذاء، وذلك بلغة الرقص (رقص النحل)، ويزدحم النحل حولها أثناء الرقص، ويفهم ما تريد النحلة أن تخبرهم عنه!

ودلت الدراسات على أن الرقصة الدائرية تدل على مصدر قريب للزهور، أما حركات الذنب، فإنها تدل على أن مصدر الغذاء بعيد.

وبالإضافة إلى لغة الرقص، فهناك لغة الرائحة التى تنبعث من غدة خاصة فى نهاية بطن النحلة، وذكروا أن لكل خلية من النحل رائحة خاصة بها؛ لذلك فإن أى نحل غريب يحاول أن يدخل الخلية يُعرف من رائحته، ويطرده النحل الذى يقوم بالحراسة.

سلالات نحل العسل:

هى ثلاث مجموعات:

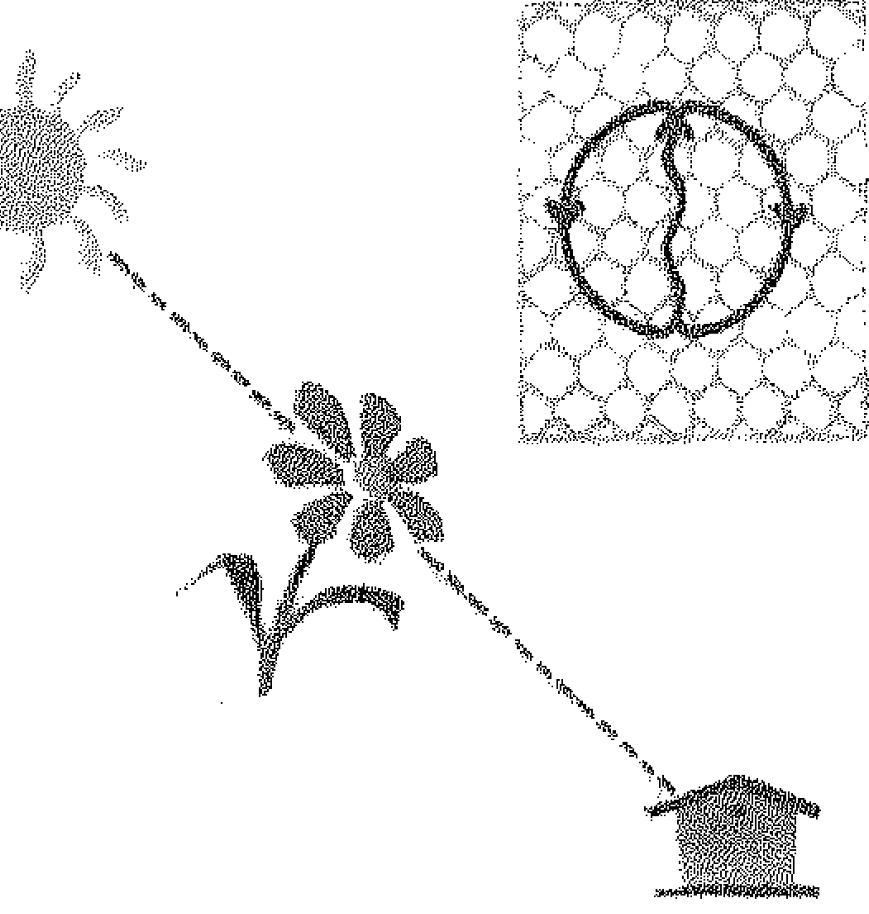
١ـ **مجموعة النحل السنجابى**: تستوطن المناطق الباردة (مثل النحل القوقازى).

٢ـ **مجموعة النحل الأصفر**: تستوطن المناطق الحارة والمدارية (مثل النحل الإيطالى والقبرصى والنحل المصرى).

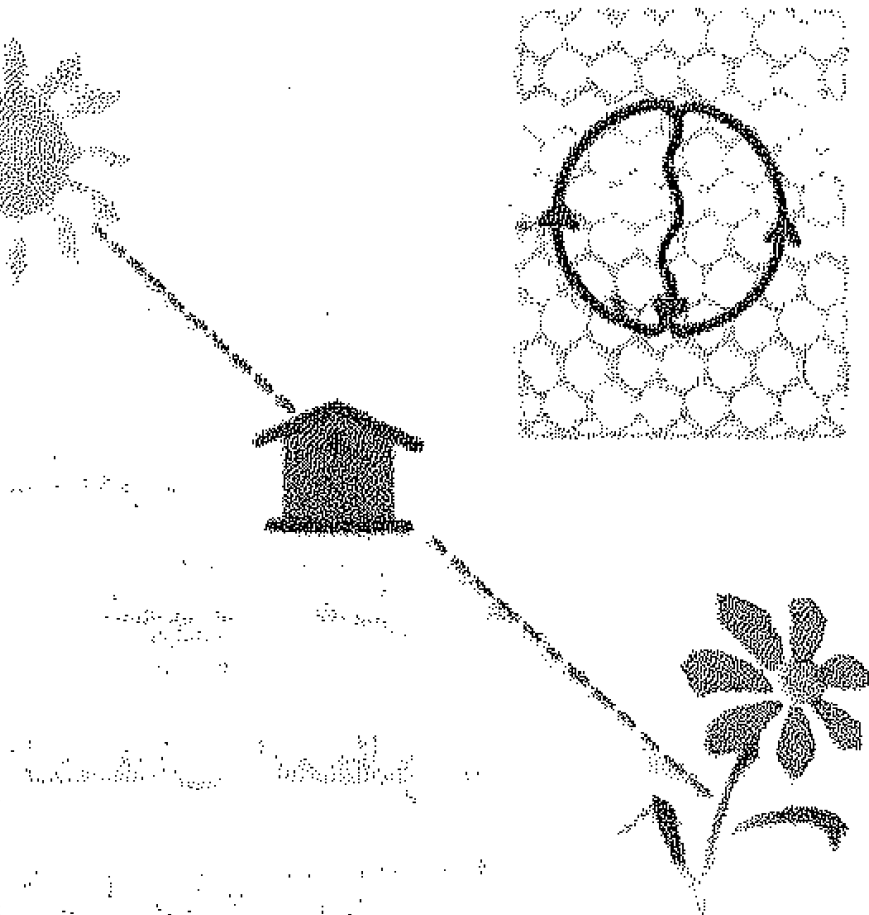
٣ـ **مجموعة النحل الأسود**: تستوطن شمال إفريقيا وأوروبا (مثل الألمانى والنحل الإنجليزى ونحل شمال إفريقيا).

لغة النحل:
يمكن أن يحدث الاتصال بين النحل، فيخاطب بعضه بعضًا عن أماكن وجود الطعام، أو يعطى إنذارًا بخطر على وشك الحدوث، و«لغة النحل» تعبر عنها أشكال تبدو عند الطيران، أو يتم التعبير عنها بنوع من الرقص.

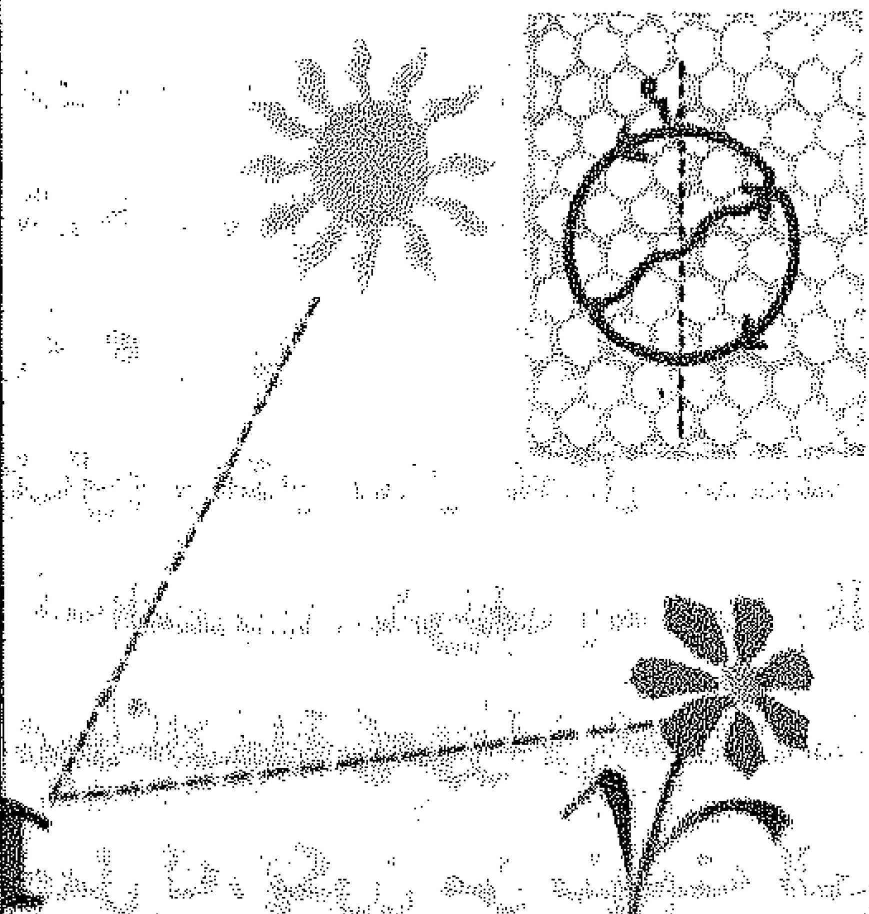
إذا كررت النحلة رقصها فوق قرص العسل تبعًا للطريق المبين بالأسهم، فإن ذلك يعنى أن الطعام قد يكون موجودًا فى اتجاه الشمس.



هنا شكل الرقص مماثل، ولكن فى اتجاه مضاد، وهذا يعنى أن الطعام يوجد فى اتجاه بعيد عن الشمس.



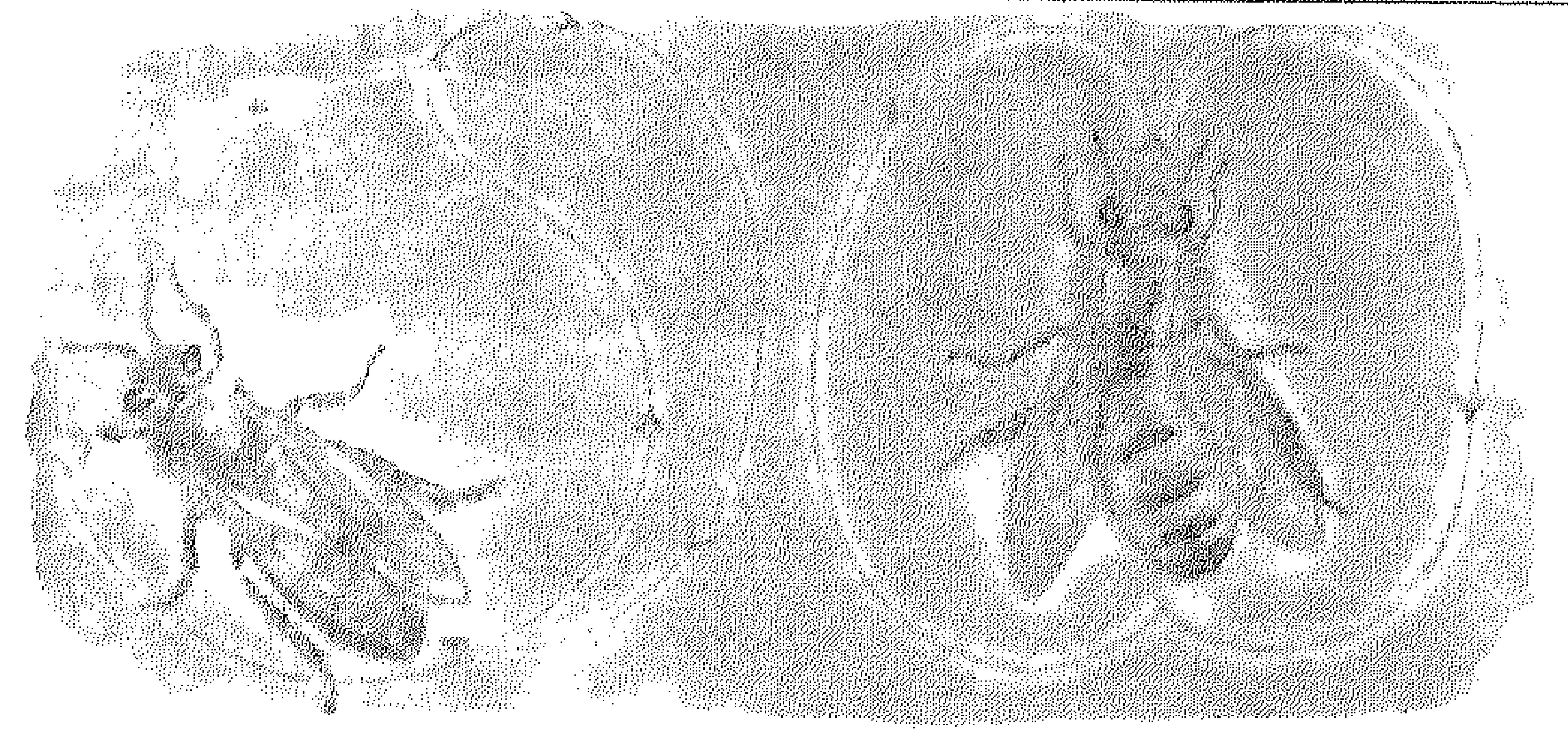
الميل عن خط الرقص المستقيم الخيالى، يدل النحل الآخر على الزاوية بين خط من الزهرة إلى الخلية، وخط آخر ممتد من الشمس إلى الخلية.



صفات نحل المجموعة الأولى:

مميزاته: هادئ ووديع، قليل الميل للتطريد، ويقاوم أمراض النحل ودودة الشمع، وينتج محصولاً كبيرًا من العسل.

ومن عيوبه: لا تقفل العيون جيدًا بالشمع. تستهلك كمية كبيرة من العسل فى الخريف والشتاء. قليلة التحمل لبرد الشتاء.



رقصة هز الذيل — رقصة دائرية

فى رقصة هز الذيل:

الرقصة فى حركة نصف دائرية. ثم ترجع إلى النقطة التى بدأت منه الرقصة، وتعود وترقص فى حركة نصف دائرية فى الجانب الآخر.

ويفهم باقى النحل من هذه الرقصة تحديد مكان مصدر غذاء النحلة حتى يسرع النحل إليه ويتغذى هو الآخر.

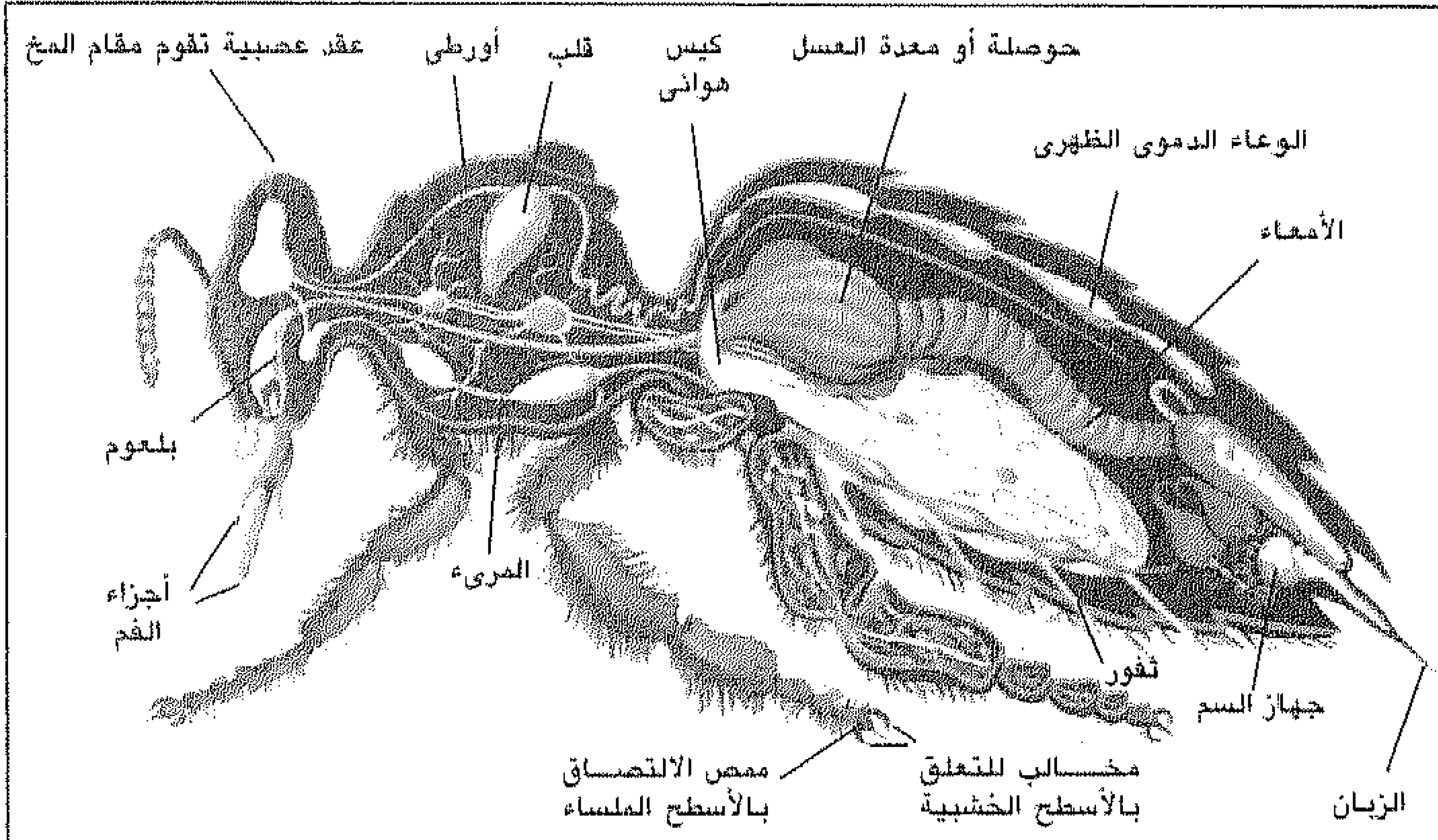
فى الرقصة الدائرية:

تدل على أن مكان رحيق الزهور قريب.

صفات نحل المجموعة الثانية:

مميزاته: الملكة نشيطة، وهادئة ووديعة، وبياضة، والنحل هادئ أيضًا ويغطى عيون العسل بالشمع جيدًا. ولديه قوة تحمل لبرد الشتاء.

عيوبه: ميال للتطريد. لديه استعداد للعدوى بأمراض النحل.



صفات نحل المجموعة الثالثة:

مميزاته: هادئ قليل اللسع، وتكون الملكة نشيطة فى وضع البيض. قليل الميل للتطريد.

عيوبه: مثل نحل المجموعة الأولى.

الصفات المطلوبة من سلالات نحل العسل:

١ـ إنتاج الملكة لكمية كبيرة من البيض.

٢ـ قدرة الشغالة على جمع محصول جيد من الرحيق وحبوب اللقاح.

٣ـ مقاومة الشغالة لأمراض النحل.

٤ـ تحمل الشغالة للحرارة والبرودة.

٥ـ عدم ميل النحل للتطريد.

٦ـ قدرة النحل على بناء أقراص شمعية صحيحة، وتغطية عيون العسل جيدًا بطبقة من الشمع.

■ روى الإمامان الترمذى والطبرانى بسند صحيح، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مثل بلال كمثل النحلة غدت تأكل الحلو والمر ثم هو حلو كله**».

الحديث الشريف يضرب بالنحلة مثلاً لبلال رضى الله عنه، فالنحلة تتغذى على رحيق الزهور وإذا لم تجد النحلة زهورًا فى الشتاء، فإنها تقع على أى مادة حلوة أو مرّة، وتحولها إلى عسل، وكذلك بلال كل عمل له، يكون من نتيجته الخير دائمًا.

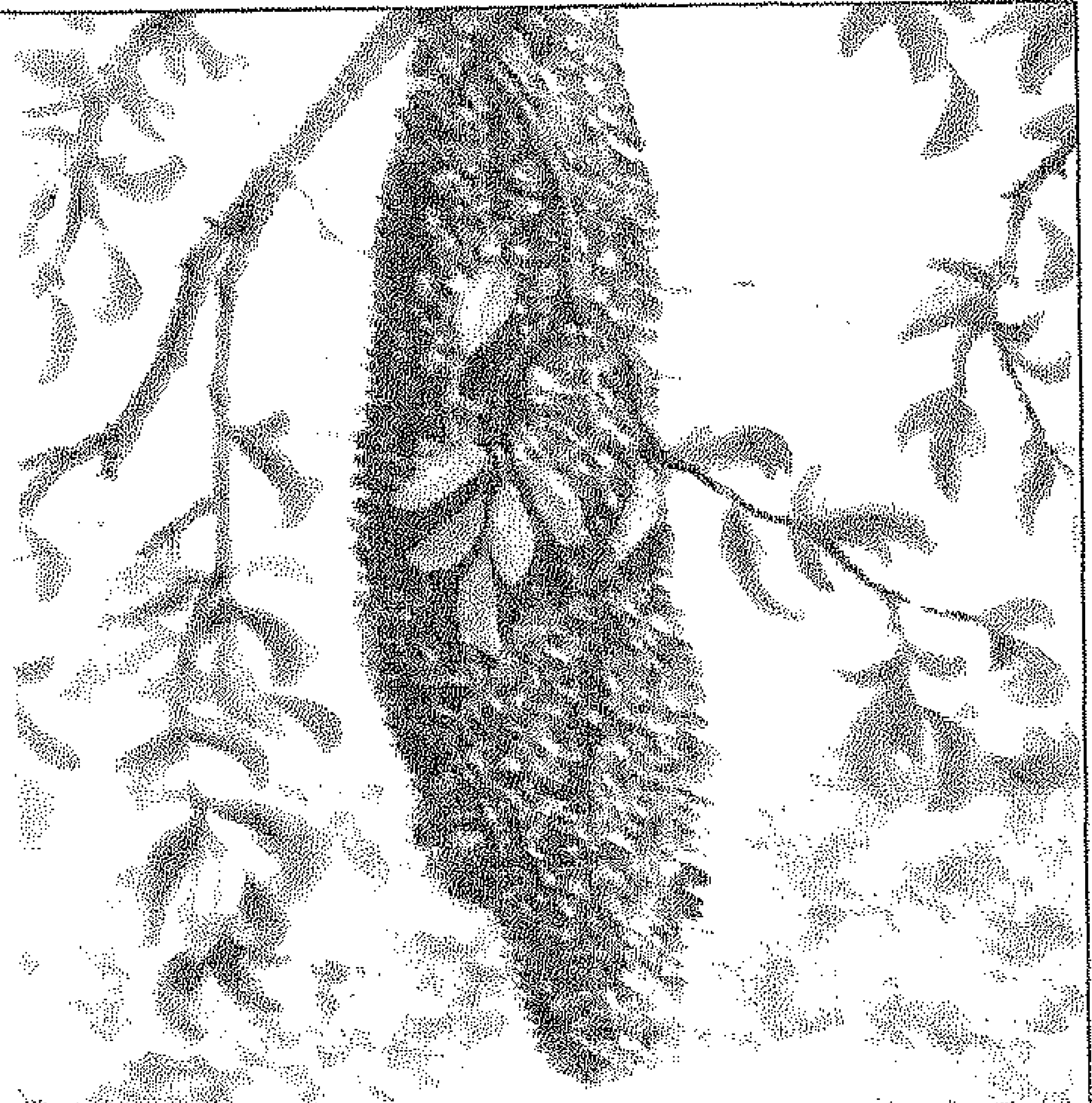
وفى هذا الحديث الشريف إعجاز علمى مبين، فالنحلة تتغذى عادة على رحيق الزهور، وتُصنّع منه العسل فى أجهزة داخل جسمها. وتجمع حبوب اللقاح من الزهور وتصنع منه خبز النحل. وهو خبز مصنوع من حبوب اللقاح المعجون بالعسل، تتغذى عليه النحل الشغالات والنحل الذكور.

وإن لم يجد النحل زهورًا كما يحدث فى الخريف والشتاء، فإنه يبحث عن أى ثمرة، ولو كانت ثمرة ملقاة على الأرض، أو أى مادة غير سكرية، ويتم تحويله فى جسد النحلة إلى عسل!

قال ابن عباس رضى الله عنهما: ««إن الله تعالى أوحى إلى النحل أن تأكل من كل الثمرات، وأن تسلك سبل ربها التى ذللها لها، وتحوله فى بطنها إلى عسل».

فذلك حديث رسول الله ﷺ: «**مثل بلال كمثل النحلة غدت تأكل الحلو والمر، فإذا هو حلو كله**».

ورحيق الزهور، وأى مادة أخرى يقع عليها النحل هى المادة الخام، التى منها يصنع النحل العسل، والمواد الأخرى التى يُخرجها النحل مثل الغذاء الملكى. وفى كل من العسل والغذاء الملكى شفاء للناس. والنحلة تذهب إلى الزهرة بهدف الحصول على ما يهمها هى، وهو الرحيق وحبوب اللقاح، إلا أنها وهى تفعل ذلك، تفيد المملكة النباتية كلها، فهى تسبب تلقيح الزهور وتكوين الثمرات والحبوب والبذور. قال تعالى: ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾ أى طرقًا مذللة للنحل. والذلول هو الذى يُقاد حيث يريد صاحبه.



سرب جاهز لمربى النحل(*)

فى الربيع غالبًا، عندما يزداد عدد النحل الحديث الفقس فى الخلية بسرعة، ويصبح الازدحام شديدًا، فى جماعة تبلغ أكثر من ثلاثة أو أربعة أضعاف ما يمكن أن تستوعبه، يتكون سرب Swarm عند وجود ملكة جديدة من بين النحل الصغير. وهنا قد تترك الملكة القديمة مملكتها طواعية، يصحبها آلاف من شغالة النحل، قد يصل عددها أحيانًا إلى نصف عدد أفراد الجماعة الموجودة فى الخلية، ويطير السرب مسافة قصيرة، ثم تحط الملكة على غصن شجرة، وتتجمع شغالة النحل حولها، مكونة كتلة حية من النحل.

وقد يبقى السرب، فى الظروف الطبيعية، على الغصن لعدة أيام، يبحث فى غضونها النحل «المستشكف»، المنطقة المجاورة، لإيجاد مكان مناسب لعش جديد، وغالبًا ما يأخذ مربى النحل، السرب مبتهجًا ويهئ له خلية كمسكن جديد.

هجـــرة النحـــل

والنحل مَثلهُ مَثَلُ أمم أخرى تهاجر من مكان إلى مكان.

ويحدث فى شهور الربيع وأوائل الصيف أن يزداد عدد النحل فى الخلية إلى درجة الانفجار السكانى. فقد يصل عدد النحل إلى خمسين ألف نحلة، حينئذ يفشل كثير من النحل فى الوصول إلى الملكة والحصول على الخمائر التى تفرزها الملكة على جسدها، والملكة أيضًا تجد فى هذه الحالة صعوبة فى التحرك فى وسط ذلك الزحام الشديد. وبالتالى لا تستطيع أن تؤدى مهمتها؛ لذلك تسمح الملكة بإنتاج ملكة أخرى فى أقرب وقت، وما إن تظهر الملكة الجديدة حتى تغادر الملكة القديمة الخلية ومعها نصف عدد النحل، وبذلك ينتهى الزحام من الخلية. وتطير الملكة والنحل الذى يتبعها حتى تجد شجرة مناسبة

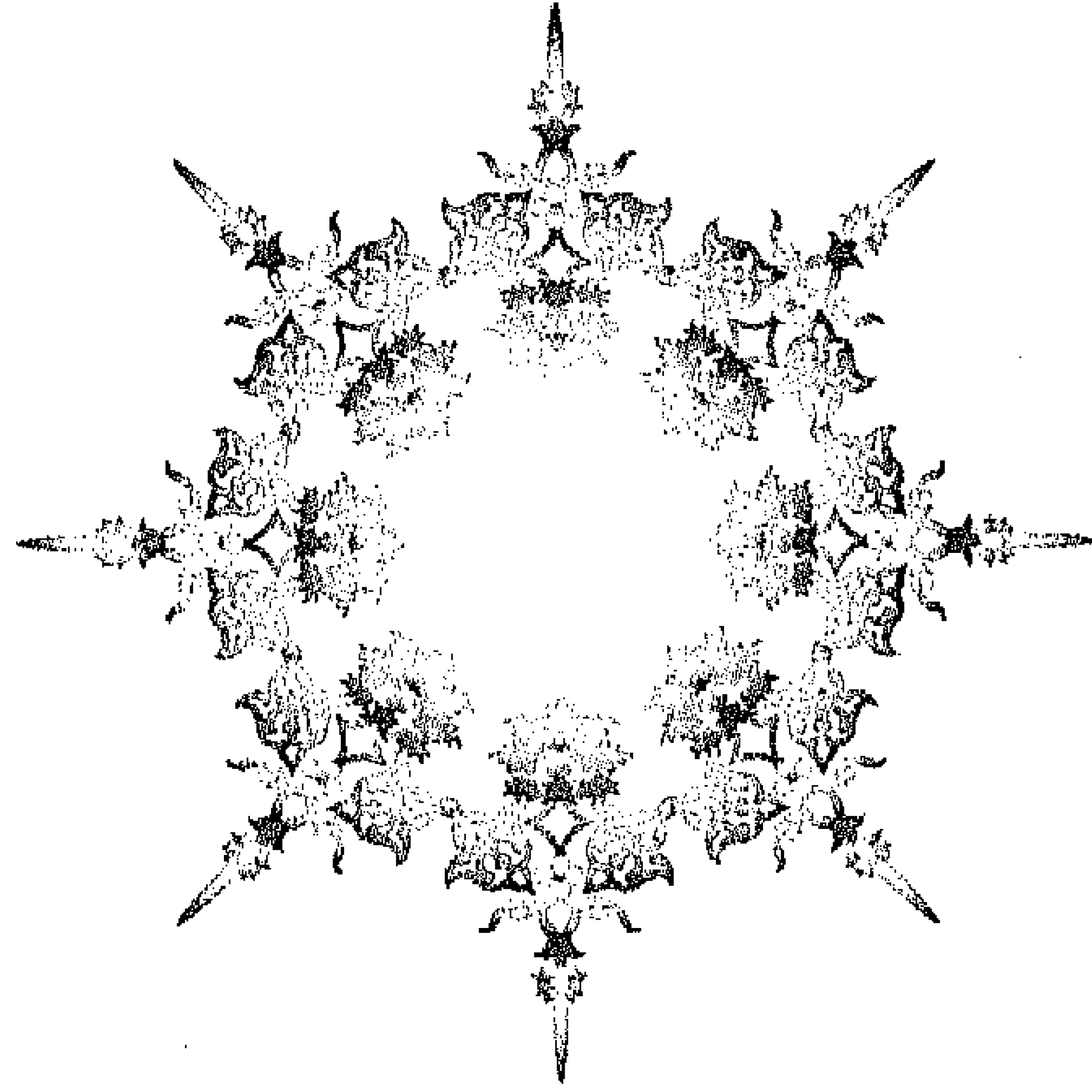
(*) من موسوعة المعرفة الجزء التاسع.

فتحط عليها وتبنى عليها بيتًا. كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾. فحيث لا تجد جبالاً، ولا تجد أحدًا يأخذ طائفةً منها ليُسْكِنَها خليةً خشبيةً أو بيتًا من الطين يصلح لها، فليس أمامها إلا الشجر تتخذ منه بيتًا.

النحل فى فصل الشتاء:

يكون النحل فى قمة نشاطه أثناء فصل الربيع، ويقل قليلاً أثناء شهور الصيف شديدة الحرارة، أما فى فصل الشتاء، فيقل نشاط النحل كثيرًا وتستعد الملكة لتدبير عمل النحل فى الخلية بما يتناسب مع برودة الجو، واختفاء الزهور، وقلة موارد الغذاء، وتقوم الشغالات بسد أى شروخ بالخلية، أو شقوق بالعيون، وتقوم الملكة بالتفتيش على النحل؛ لتتأكد من خلو الخلية من نحل عاطل لا فائدة منه، ولا جدوى من وراء وجوده بالخلية وإطعامه؛ لذلك تطرد معظم الذكور من الخلية لتموت فى العراء خارجها، كما تخرج الشغالات يرقات الذكور من عيون الخلية وتلقى بها خارجها.

وأثناء الشتاء يمكن للشغالات والملكة العيش على القليل من الغذاء المتوافر فى الخلية. وعلى عكس التهوية فى فصل الصيف، يعمل النحل على خلق جو تتحقق فيه التدفئة، وذلك بأن يقترن النحل ويلتصق بعضه ببعض، ويتغذى النحل فى فصل الشتاء على المخزون من العسل فى العيون.



العســــــل

■ روى الإمام أحمد عن عثمان بن محمد، عن جرير، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى حديث له مما سمعه من رسول الله ﷺ: (... فلما دخل النبى ﷺ المسجد الأقصى، قام يصلى، فالتفت ثم التفت، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه. فلما انصرف جئ بقدحين أحدهما عن اليمين، والآخر عن الشمال، فى أحدهما لبن، وفى الآخر عسل. فأخذ النبى ﷺ قدح اللبن فشرب منه فقال له الذى كان معه القدح: أصبت الفطرة).

الذى كان معه القدح جبريل عليه السلام.

■ وفى رواية الإمام البخارى، برواية أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثم أتيت بإناءٍ من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل**». قال: «**فأخذت اللبن**». فقال له جبريل عليه السلام: (هذه الفطرة. أنت عليها وأمتك).

■ روى الأئمة البخارى ومسلم وأحمد وابن ماجه، عن أحمد بن منيع، عن مروان بن شجاع، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «**الشفاء فى ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية بنار، وأنهى أمتى عن الكى**».

■ روى الإمام ابن ماجه، عن سعيد بن زكرياء القرشى، عن الزبير بن سعيد الهاشمى عن عبدالحميد ابن سالم، عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: «**من لَعِق العسل ثلاث غدوات كل شهر، لم يصبه عظيم البلاء**».

فى الحديث الشريف إشارة علمية إلى التأثير العلاجى للعسل، لكل الأعمار، وأنه يقى الإنسان من الأمراض، الأمر الذى يدل على أن بالعسل مواد تقوى جهاز المناعة فى الجسم.

■ روى الإمام ابن ماجه، عن عمر بن سهل، عن أبى حمزة العطار، عن الحسن، عن جابر بن عبدالله قال: أُهدى للنبى ﷺ عسل. فَقَسَمَ بيننا لُعْقة لُعْقة، فأخذت لُعْقتى ثم قلت: يا رسول الله، أزداد أخرى؟ قال: «**نعم**».

النبى ﷺ أعطى كل واحد من صحابته لُعْقة من عسل، واللُّعْقة من العسل لا تفيد غذاءً، فلابد أنها تفيد علاجًا. ولما سأل جابر رضى الله عنه: أيزداد من العسل؟ وافقه النبى ﷺ على ذلك.. فدل هذا على أن جرعات العلاج ينبغى أن تتكرر.

■ روى الإمامان البخارى وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة، عن على بن محمد، عن عبدالرحمن ابن إبراهيم، عن أبى أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن السيدة عائشة قالت: (كان رسول الله ﷺ يعجبه الحلواء والعسل).

- والحلواء ما يُعقد من العسل ونحوه.
- والحلواء ليست الحلوى المعهودة التى يأكلها ويشربها الناس اليوم، ولكنها مما يُعقد من العسل فى أكل وشرب.

وفى الحديث الشريف إشارة إلى ما فى العسل من فوائد جمّة، فالنبى ﷺ لا يعجبه إلا كل ما هو مفيد له ولأمته.

■ أخرج الإمام البخارى عن على بن عبد الله، عن أبى أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: (كان النبى ﷺ يعجبه الحلواء والعسل).

وقال ابن المنير: شراب الحلواء: ليست مادة الحلوى المعهودة التى يتعاطاها المترفون اليوم، إنما هو حلو يُشرب؛ إما عسل بماء، أو غير ذلك مما يشاكله، كما أن العسل يؤكل إذا كان جامدًا، ويُشرب إذا كان مائعًا، وقد يخلط بالماء ويُشرب.

وحديث السيدة عائشة: (كان النبى ﷺ يعجبه الحلواء والعسل) ليس المعنى أنه كان يشتهيهما وتنزع نفسه إليهما كفعل أهل الترف، وإنما كان إذا قُدمت إليه ينال منها نيلاً جيدًا، فيُعلم بذلك أنه كان يعجبه طعمها.

وبذلك ثبت الهدى النبوى والإيعاز بتناول العسل مع أى طعام، ليس لحلاوة طعمه؛ لأن الحلواء حلوة الطعم، وليست فى حاجة إلى مزيد من الحلاوة. فإذا كان رسول الله ﷺ يعجبه أكل الحلواء والعسل، فإن ذلك لأفضلية العسل على الحلواء بالمواد العديدة الموجودة بالعسل والتى فيها شفاء للناس.

■ وأخرج البخارى ومسلم وأحمد وأصحاب السنن عن إسحاق بن إبراهيم الحنظَلى، عن أبى أسامة عن هشام عن أبيه عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل).

وهذا الحديث يشير إلى حِلِّ المُستلذ من المباحات. ويدخل فى معنى الحديث كل ما يشبه الحلوى والعسل من أنواع المآكل اللذيذة. وثبت بهذا الحديث جواز اتخاذ الأطعمة من أنواع شتى. وكان بعض أهل الورع يكره ذلك.

اللبن والعسل من الفطرة. أما الخمر فليس من الفطرة؛ لأنه من العنب الذى هو غذاء وشفاء ونعمة، ومن رزق الله للإنسان، وأفسده الإنسان، فجعل منه خمرًا يغتال العقل، ويفسد صحة البدن. أما اللبن والعسل فكلاهما من الفطرة، ولم يتدخل الإنسان فى فطرة خلقهما.

وإذا كان هناك اختيار بين اللبن والعسل، فاللبن أولى؛ لأنه غذاء عام وغذاء كامل، فيه كل عناصر الغذاء.

فقد روى الإمام الترمذى فى سننه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أكل أحدكم طعامًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيرًا منه. وإذا سُقى لبنًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه. فإنه ليس شيء يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن**».

ولا غنى للطفل الوليد، والصغير، والإنسان، فى كل عمر، عن اللبن. والصغير من الدواب يعيش على لبن أمه، يرضع من ضرعها، حتى يرقات النحل تعيش على لبن الشغالة.

والعسل بكل ما فيه من فوائد وغذاء وشفاء، ليس طعامًا عامًّا لكل الأحياء مثل اللبن ومنتجات الألبان؛ لذلك إذا كان هناك اختيار بين تناول اللبن والعسل فالأولى تناول اللبن؛ لذلك اختاره رسول الله ﷺ وقال له جبريل: هديت الفطرة.

والعسل غذاء وشفاء، وهو شراب ومركب كيميائى معقد التركيب جدًّا ويتكون مما يلى:

يحتوى كل مائة جرام من العسل (ست ملاعق مائدة) على:

■ أنواع عديدة من السكاكر، من أهمها:

١ـ سكر الفاكهة ٤١ جرامًا.

٢ـ سكر العنب (الجلوكوز) ٣٤ جرامًا.

٣ـ سكر القصب (الساكروز) ٤ جرامات.

سكر العنب هو السكر الأساسى، الذى يسمح جدار المعدة بمروره إلى الدم، أما سكر القصب فلا يمر من خلال جدار الأمعاء إلا بعد عمليات كثيرة من التفاعلات الكيميائية، تنتهى بتحويله إلى سكر عنب (جلوكوز) سهل الامتصاص خلال جدار الأمعاء، ويتحول فى الكبد إلى سكر حيوانى (جليكوجين) يختزن فى الكبد، ويعاد تحويله إلى (جلوكوز) إذا دعت الحاجة إلى توليد مزيد من الطاقة الحرارية فى الجسم.

■ البروتين: ٠,٣ من الجرام.

■ الفيتامينات:

ب١	٠,٠١ ملليجرام.
ب٢ (ريبوفلافين)	٠,٠٤ ملليجرام.
ب٦	٠,٢ ملليجرام.
حامض نيكوتونيك	٠,٢ ملليجرام.
فيتامين ج	٥ ملليجرامات.

آثار من فيتامينات أخرى.

■ مواد ملوِّنة: تعطى لون العسل. كما قال تعالى عن العسل: ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾. واختلاف ألوان العسل هو بسبب اختلاف أنواع الزهور التى يتغذى النحل على رحيقها.

■ الأملاح المعدنية: (تشكل ٠,٠١٨ بالمائة من العسل فقط، إلا أن لها أهمية كبرى فى جعل العسل ذا تفاعل قلوى مقاوم للحموضة).

صوديوم	٥ ملليجرامات.
كالسيوم	٤ ملليجرامات.
بوتاسيوم	١٠ ملليجرامات.
ماغنيسيوم	٦ ملليجرامات.
منجنيز	٠,٢ ملليجرام.
حديد	٠,٩ ملليجرام.
فسفور	١٦ ملليجرامًا.
نحاس	٠,٢ ملليجرام.
كبريت	٥ ملليجرامات.

آثار اليود والكلور والكروم.

■ ماء ٢٠ جرامًا.

■ الكيلو جرام من العسل يعطى ٣١٥٠ وحدة حرارية فى الجسم.

ويحتوى العسل على عدد من الخمائر الضرورية لعمليات الأيض فى الجسم:

خميرة الأميلين: تحوّل النشا فى أى نوع من الطعام إلى سكر جلوكوز.

خميرة الإنفرتين: تحوّل سكر القصب إلى سكاكر أحادية مثل: الجلوكوز والفركتوز، وهى سكاكر سهلة الامتصاص.

خميرة الكاتالين، وخميرة البيروكسيدين: ضروريتان فى عملية الأكسدة التى تحدث فى عمليات الأيض فى الجسم.

خميرة الليبين: ضرورية فى عملية هضم الدهون.

الغذاء الملكى Royal jelly:

مادة سميكة القوام، لونها أبيض، ذات مذاق مر، ولها رائحة مميزة، وللغذاء الملكى قيمة غذائية عالية، ودليل ذلك أنه يطيل عمر ملكات النحل لعدد من السنين، بينما الشغالة وهى لا تتناوله، لا يتجاوز عمرها ستة أسابيع.

محتويات الغذاء الملكى: لم تكتشف على الوجه الأكمل حتى الآن (٣٪ منه لم تعرف حتى الآن):

١٢,٥٪ سكريات، ١٢,٥٪ بروتينات، ٥,٥٪ دهون، وأملاح معدنية، ومضادات حيوية.

فيتامينات: ب١، ب٢، ب٦.

حامض الفوليك، فيتامين E الخاص بالنضج التناسلى.

أهمية الغذاء الملكى:

للإنسان:

* علاج مفيد لتصلب الشرايين، وللأمراض المزمنة بالجهاز الهضمى، والجهاز العصبى، والجهاز الدورى.
* علاج للتوتر العصبى، والأرق، ومقوٍّ للذاكرة.
* مقوٍّ عام، ومنشط للشهية.

للنحل: يحول يرقة النحل إلى ملكة ذات عمر طويل، وإذا حرمت اليرقة منه تحولت إلى نحلة شغالة أو نحلة ذكر.

سم النحل:

تفرزه النحلة الشغالة من غدة اللسع فى مؤخرة بطنها، وسم النحل سائل شفاف له رائحة عطرية، وهو مر الطعم، حامضى الوسط بسبب ما يحتوى عليه من أحماض مثل أحماض الفوسفوريك، والهيدروكلوريك. كما يحتوى على الهستامين (وهى المادة التى تسبب حساسية فى جسم الإنسان). ويستعمل سم النحل، فى بعض المراكز الطبية، فى علاج الأمراض المزمنة بالمفاصل، ومن أهمها مرض الروماتويد، وعلاج تضخم الغدة الدرقية، والتهاب أعصاب الأطراف والتهاب قرحية العين.

المواد المضادة للميكروبات والفيروسات والعفن الموجودة بالعسل:

لم تحدد تمامًا حتى الآن فى العسل؛ مما يدل على أن العسل شراب يحتوى على مركبات كيميائية عديدة، وقد تكون هى الماء الأوكسجينى H_2O_2، وقد تكون مواد أخرى. فالعسل يقتل الميكروبات والعفن والفيروسات، ولا توجد مادة أخرى لها مثل هذا المفعول.

العسل غذاء وشفاء للأطفال والمسنين:

• أهمية العسل فى غذاء الأطفال:

هو غذاء وشفاء للأطفال، وقد استعمل منذ العصور القديمة فى تغذية الأطفال المرضى، وقد استعمله ابن سينا فى علاج كثير من الأمراض:

١ـ يعالج فقر الدم لدى الأطفال، فيزيد من نسبة الهيموجلوبين فى كرات الدم الحمراء.

٢ـ يعالج كثيرًا من أمراض الجهاز الهضمى فى الأطفال، ويستعملونه فى مراكز عديدة فى روسيا وأمريكا.

٣ـ أنسب غذاء فى فترة النقاهة من الأمراض.

٤ـ أثبت معهد دنيبرو بتروفسك الطبى سنة ١٩٥٦م فى روسيا أن إعطاء الأطفال العسل من ضمن وجبات طعامهم يسرع فى شفائهم من الأمراض، ويسرع فى زيادة وزن أجسامهم.
٥ـ ثبت أن بالعسل مواد تقتل ميكروبات الزحار، والحميات المعوية، فى الأطفال والكبار أيضًا.
٦ـ يفضل أطباء الأطفال تحلية الحليب بالعسل الذى يتناوله الأطفال، والعسل أفيد للأطفال من سكر القصب؛ فالعسل فيه دواء وغذاء وشفاء، أما سكر القصب فهو مادة لتحلية السوائل ويعطى سعرات حرارية فى الجسم.

• أهمية العسل فى تغذية المسنين:

منذ العصور القديمة كان الأطباء يستعملون العسل فى شفاء أمراض الشيخوخة، ومن أهمها: تليف أجزاء من العضلات؛ بسبب تليف الأجهزة الحركية الدقيقة فى الخيوط العضلية، وضعف قدرة الحواس، وضعف الذاكرة والتركيز، وتصلب شرايين الجسم، وما تسببه من قصور فى كل أجهزة الجسم.

وجاء فى الأثر أن بعض الناس عاشوا على غذاء واحد وهو العسل، وكانت نتيجة ذلك زيادة نشاطهم وقوة أجسامهم، وقلة إصابتهم بالأمراض، وطول أعمارهم.

ومثال على ذلك، الكاتب البولندى تريمسينسكى الذى كان يعيش على العسل فقط وعاش مائة عام، والعالم الألمانى مولباخر الذى عاش مائة وعشرين عامًا، ولم تهاجمه أمراض الشيخوخة ومتاعبها.

وذلك يفسر الحديث النبوى الشريف تفسيرًا علميًّا: «**عليكم بالشفاءين: القرآن والعسل**».

والحديث الشريف: «**من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم البلاء**».

وفى تقرير كتبته الدكتورة فوزية العوضى فى الكويت عام ١٩٨٥ عن الفوائد الصحية للعسل: «إن العسل أغنى مصادر الغذاء بالطاقة، ومصدر هذه الطاقة سكريات محولة لا يحتاج إلى هضمها، وإنما تمتص مباشرة من القناة الهضمية إلى الدم؛ لتغذى الجسم.. كما يعتبر العسل علاجًا ممتازًا لحالات كثير من الاضطرابات الهضمية».

العسل فيه شفاء للناس:

وذكر ذلك فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف. وفى عصر العلم الحالى أثبتت التجارب العلمية أن ما جاء فى القرآن والسنة كان حقًا، وذلك إعجاز علمى مبين.

فالعسل فيه المواد التى ذكرناها، ومواد أخرى لم تكتشف بعد، والعسل بما فيه من مواد له تأثير شفائى أو علاجى لكثير من الاضطرابات والأمراض البدنية.

والتأثير الشفائى هو الذى يشفى الجسم من المرض، ويزيله عنه.

أما التأثير العلاجى فهو الذى يقلل من وطأة المرض بدرجات متفاوتة.

وتناول العسل مفيد لجميع أمراض الكبد، وأثبتت التجارب أنه يخفف من وطأة المرض، كما أن تناول العسل يزيد من نشاط الجسم وحيويته. وأكد كثير من الباحثين فى روسيا أن تناول ملعقتين من العسل يوميًّا يحفظ الشباب، ويؤجل حدوث الشيخوخة. وقال ابن سينا فى كتابه القانون: (إذا أردت أن تحتفظ بشبابك فتناول العسل).

وفى عام ١٩٥٠م اكتشف العالم «دولد» Dold فى ألمانيا وجود مضادات حيوية فى عسل النحل[1] antibiotics تقتل أنواعًا كثيرة من الميكروبات، ومن أهمها: الميكروبات العنقودية التى تسبب الالتهابات المتقيّحة، والميكروبات السبحية التى تسبب الزحار (الدوسنتاريا)، والتيفويد.

---

(١) مجلة Z. Hgg. infekions Krankh العدد ١٤١، سنة ١٩٥٥م.

والمضادات الحيوية لا تقتل العفن ولا تقضى على الفيروسات، ولكن العسل يقتل كلاً منهما. والمواد الموجودة فى العسل المسئولة عن قتل العفن والفيروسات لم تكتشف حتى الآن.

ولقد ألقى المؤلف بحثًا علميًا فى المؤتمر العالمى للطب الإسلامى (الكويت ١٩٨١م) أثبت فيه أن بالعسل مضادات حيوية أقوى مفعولاً من الجنتاميسين Gentamycin[1].

كما أُلقى فى نفس المؤتمر بحث علمى عن تأثير العسل على الإسهال المزمن، وكيف أنه علاج فعال (للدكتور سالم نجم وزملائه).

تأثير العسل على الجهاز الهضمى:

١ـ لا يسمح العسل بنمو الجراثيم الضارة فى الجهاز الهضمى، كما لا يسمح بنمو العفن والفيروسات، فالعسل الطبيعى خال من كل ذلك.

٢ـ العسل يقلل إفراز الأحماض بالمعدة.

٣ـ يقلل إفراز بعض الهرمونات التى تؤثر على الجهاز الهضمى، وتسبب إفراز العصارات الهاضمة فيه، والمواد المثيرة لحركة المعدة والأمعاء.

٤ـ مع أن بالعسل مواد تقتل الميكروبات، فإن العسل لا يقتل الميكروبات المفيدة فى الأمعاء، والتى تساعد على تكوين فيتامين ب المركب.

٥ـ يحتوى العسل على سكر الدكستروز، وهو مادة سهلة الهضم، ملطفة لأغشية الأمعاء، وتحول دون اختلال نسبة البكتريا الطبيعية المفيدة فى الأمعاء.

٦ـ أفضل علاج لحالات عسر الهضم وانتفاخ البطن، والإمساك، والإسهال.

٧ـ يحتوى العسل على أملاح معدنية كثيرة، تعمل على تنظيم وظائف القناة الهضمية، وتعالج أى خلل فى الحركة الرافعة للأمعاء، وتنظيم سيرها.

كل هذه العوامل، وغيرها كثير مما لم يكتشف حتى الآن فى العسل، تعمل على الحفاظ على الأداء الوظيفى للجهاز الهضمى، وتنظيم عمله بصورة طبيعية.

فى العسل شفاء من الحميات المعدية:

■ روى الإمامان البخارى وأحمد، عن عباس بن الوليد، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن قتادة، عن أبى المتوكل، عن أبى سعيد، أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: أخى استطلق بطنه. فقال: «**اسقه عسلاً**». ثم أتاه الثانية، فقال: «**اسقِهِ عسلاً**». ثم أتاه الثالثة، فقال: «**اسقه عسلاً**». ثم أتاه، فقال: «**صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً، فسقاه فبرأ**».

■ وروى الإمام مسلم بنفس الإسناد:

جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إن أخى استطلق بطنه. فقال النبى ﷺ: «**اسقه عسلاً**». فسقاه. ثم جاءه فقال: إنى سقيته عسلاً فلم يزده إلا استطلاقًا. فقال له ذلك مرات. ثم جاءه الرابعة، فقال: «**اسقه عسلاً**». فقال له: لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا. فقال النبى ﷺ: «**صدق الله وكذب بطن أخيك**». فسقاه فبرأ.

ـ (استطلق بطنه): أى أصابه إسهال البطن.

ـ (صدق الله وكذب بطن أخيك): الكذب مجاز؛ لأن الكذب ضد الصدق، والكذب يختص بالأقوال. فاعتبر عدم استجابة البطن للعلاج كذبًا؛ لأن الله تعالى قال عن العسل: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾. وصدق الله تعالى.

---

(١) كان الجنتاميسين فى ذلك الوقت من أشهر أقوى المضادات الحيوية مفعولاً ضد عدد كبير من الميكروبات.

ويطلق الكذب على غير الأقوال، فيقال: كذب البطن، وكذب الرجاء، وكذب الرأى.

ويقال فى اللغة: كذب لبن الناقة، إذا قل إدرار ضرعها باللبن، أو كاد ينقطع.

ويقال: كذب البعير فى سيره إذا ساء سيره.

وروى الإمام الترمذى عن ابن عباس قال: كان النبى ﷺ بمكة، ثم أُمر بالهجرة إلى المدينة. فنزل قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]. فوصف خروج النبى ﷺ من مكة بالصدق، ووصف دخول النبى ﷺ إلى المدينة بالصدق. وبدأ بالدخول إلى المدينة بعد الخروج من مكة، مع أن الخروج من مكة كان قبل الدخول إلى المدينة؛ لأن الدخول إلى المدينة كان الهدف من الهجرة، فبدأ بالهدف قبل ذكر الوسيلة إليه.

وقال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]. الكذب أُطلق مجازًا على إعطاء صور غير صحيحة، فأكد أن ما رآه النبى ﷺ كان حقًّا وليس تخيلاً.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]. مما سبق يفهم من يقرأ الحديث النبوى الشريف: «**صدق الله وكذب بطن أخيك**» أن الصدق والكذب يستعملان لغير الأقوال مجازًا، والمعنى أن بطن أخيك لم تستجب للعلاج بالعسل الاستجابة المتوقعة.

العسل علاج مفيد لطفيليات الجلد والتهاباته:

■ أخرج الشيخان عن داود المهْرى، عن ابن وهب، عن يونس بن شهاب، عن سالم بن عبدالله، عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ يُهلُّ مُلبِّدًا.

(ملبدًا) أى لَبّد رأسه بالعسل.

■ ورُوى عن عبد الأعلى، عن محمد بن إسحق، عن نافع، عن ابن عمر أن النبى ﷺ لَبَّد رأسه بالعسل.

■ وروى عن بكر عن أبى شيبة، عن أبى أسامة، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر، أن حفصة زوج النبى ﷺ قالت: قلت يا رسول الله ما شأن الناس حلّوا ولم تَحِلَّ أنت من عمرتك؟ قال: «**إنى لبّدت رأسى وقلّدتُ هديى، فلا أَحِلُ حتى أنحر**».

(لبدت رأسى): التلبيد هو أن يُجمع شعر الرأس ويُشرَّبَ بالعسل؛ حتى لا يصاب بالقمل أو غيره من طول المكث فى الإحرام، وازدحام الناس فى مكان واحد.

من طرق قتل القمل والقضاء على بيضه:

يدهن شعر الرأس بالعسل مع التدليك ليتخلل أصول الشعر، وذلك كل ليلة قبل النوم، مع تغطية الرأس أو بدون تغطية. ويغسل الرأس بعد ذلك بماء دافئ مع التمشيط. وتكرر هذه العملية لمدة أسبوع أو أكثر، ليقطع دابر القمل، وقتل بيضه، وتستعمل هذه الطريقة فى الطب البديل (الطب التكميلى) فى العصر الحالى.

العسل شفاء للقرح المتقيحة:

تُغطى القرح المتقيحة بالعسل، ويُغَطَّى العسل بشاش رقيق وضماد، وتكرر هذه العملية عدة أيام. وقد نشر فى فرنسا، فى الثمانينيات من القرن العشرين، تقرير علمىٌّ فى المجلة البريطانية الطبية B.M.J عام ١٩٦٨م ذكر أن مريضًا أجرى له عملية جراحية فى البطن، وشفيت العملية الجراحية، إلا أن الجرح الخارجى تقيح. فاستعملوا المضادات الحيوية بالفم والحقن، وكذلك بالاستعمال الموضعى، إلا أن كل

هذه المحاولات ذهبت هباء، وظل الجرح متقيحًا، وتحير الأطباء فى كيفية التغلب على هذه الحالة، حتى اهتدوا أخيرًا إلى عمل ضمادات بالعسل. وقال التقرير إن الجرح المتقيح الذى ظل شهورًا شفى فى غضون أسبوع واحد. وقد أجرى المؤلف نفس المحاولة على عدد من الحالات فكانت النتائج إيجابية تمامًا. فدل هذا على أن بالعسل مواد تعالج الجروح والقروح المتقيحة. والأمر نفسه بالنسبة لحروق الجلد.

ولعلاج الأمراض الجلدية بالعسل تاريخ طويل:

ومن تاريخ الطب الصينى القديم، أن المعالجين كانوا يعالجون الجدرى بدهان الجلد بالعسل، وقد ذكرت الآثار الصينية القديمة أن الصينيين القدماء توصلوا إلى معرفة الكثير من خواص العسل، واستعملوه فى علاج كثير من الأمراض الداخلية، والأمراض الجلدية ومنها النمش وحب الشباب.

وأشار «بلينى» Pliny مؤلف كتاب «التاريخ الطبيعى» إلى أن للعسل تأثيرًا شفائيًا فى علاج تقرحات الفم، كما ذكر الفيلسوف الإغريقى «ديوسكوريدس» Dioscorides أن بالعسل مواد شافية لأمراض المعدة والأمعاء والجروح المتقيحة.

العلاج بالعسل فى العصور القديمة:

فى العصر الفرعونى فى مصر، كان العسل مادة رئيسية فى طعام الناس وعلاجهم، وفى بردية بابيروس منذ نحو ٣٥٠٠ سنة كتب فيها عن تحضير عدد من الأدوية لعلاج كثير من الأمراض البدنية والنفسية، وجاء فى هذه البردية:

إن العسل يشفى الجروح والقروح، كما يعالج أمراض البطن، وأمراض العيون بطريق الاكتحال بالعسل، كما ذُكر العسل كعلاج لكثير من الأمراض.

وفى الصين القديمة كان العسل علاجًا لكثير من الأمراض.

وفى الهند القديمة كانوا يستعملون العسل فى علاج أمراض العيون، وأمراض الشيخوخة.

وكان الإغريق يعتقدون أن العسل منحة من آلهة السماء، وذكر هوميروس الفيلسوف والشاعر الإغريقى العسل فى كثير من قصائده وحكمه فى ملحمته الشهيرة (الإلياذة والأوديسة) وعدّد فوائد العسل فيها. واهتم الفلاسفة الإغريق بموضوع تأجيل الشيخوخة، وإطالة فترة الشباب، واعتقدوا أن تناول العسل يطيل العمر ويؤجل ظهور الشيخوخة.

وكان العالم ديمقريطس يتناول العسل كل يوم، وقيل إنه عاش فوق المائة، وأكدوا أن العسل هو سبب إطالة عمره.

أما العالم الإغريقى أرسطاليس فقد كتب كثيرًا عن العسل وآثاره فى علاج الأمراض وتأجيل حدوث الشيخوخة. وكان أبوقراط أشهر أطباء الإغريق يتناول العسل يوميًا فى طعامه، وكان يستعمل العسل فى كثير من الأدوية التى كان يعالج بها المرضى.

وأضاف العالم جالينوس الكثير من الوصفات الطبية التى كان العسل الأساس بها، أما الفلاسفة والأطباء المسلمون مثل ابن سينا فقد استعملوا العسل فى علاج الكثير من الأمراض.

وفى الطب الشعبى فى روسيا القديمة، استخدم العسل فى علاج كثير من الأمراض التى من أهمها التهابات الرئتين، والسل الرئوى، وأمراض الجهاز الهضمى.

كما ذكرت نفس المصادر أن العسل كان يستخدم فى روسيا منذ آلاف السنين فى علاج أمراض الجلد، والجروح المتقيحة.

أما الفلاسفة المسلمون فقد ذكروا الكثير عن الفوائد العلاجية والشفائية للعسل، وكان من أشهرهم ابن سينا. وذكر الكثير عن ذلك فى كتابه (القانون).

الشفاءان: العسل والقرآن

أخرج الإمام ابن ماجه، عن على بن سلمة، عن زيد بن الحباب، عن سفيان بن أبى إسحق، عن أبى الأحوص، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن**».

وفى الزوائد: إسناد صحيح، رجال ثقات.

ذكر الحديث النبوى أن فى العسل شفاء، وفى القرآن شفاء. فَهُما شفاءان، ولكن بينهما اختلاف جوهرى؛ ففى العسل شفاء بدنى، وفى القرآن شفاء نفسى.

١ـ الخواص الشفائية البدنية للعسل:

بعد أن تعرفنا التركيب الكيميائى للعسل، وأهميته، نستطيع أن نذكر فى إيجاز الخواص العلاجية لما يصيب الجسم من اضطرابات وأمراض:

١ـ فى شفاء فقر الدم:

يحتوى العسل على مواد كيميائية لها تأثير فعّال على زيادة نسبة الهيموجلوبين فى كرات الدم الحمراء، ولقد أثبتت التجارب العلمية هذه الحقيقة، ونستنتج من هذا أن العسل علاج مفيد لمرضى فقر الدم.

٢ـ فى شفاء أمراض الجهاز التنفسى العلوى:

ويتم ذلك باستنشاق محلول العسل بالماء الدافئ بنسبة ١٠٪ لمدة خمس دقائق.

وأثبتت التجارب العلمية أن نسبة نجاح هذا العلاج ٩٠٪ من الحالات، وكان ذلك بسبب احتواء العسل على زيوت طيارة ذات تأثير علاجى، ونفس النجاح وجدوه فى علاج الزكام.

٣ـ فى شفاء أمراض الرئتين:

نقرأ فى تاريخ العلوم أن ابن سينا استعمل العسل فى علاج السل الرئوى فى مراحله الأولى. كما أن علماء الغرب، ومنهم أطباء فى جامعة كييف بأوكرانيا فى الثمانينيات من القرن العشرين، اعتقدوا أن العسل علاج هام للسل الرئوى، ولالتهابات القصبات الرئوية، ولالتهابات نسيج الرئة نفسه، وأظهر العلاج بالعسل نتائج مدهشة، وخصوصًا فى علاج السل فى مراحله الأولى، وكيف أنه يسبب الشفاء من المرض، ومع ذلك فشل العلماء فى تعرف المادة القاتلة لميكروب السل فى العسل.

٤ـ العسل يفيد عضلة القلب:

العسل يفيد عضلة القلب التى تعانى قصورًا فى وظائفها، كما نجد ذلك فى حالات هبوط القلب وقد يكون ذلك بسبب غنى العسل بالسكريات الكثيرة، أو بالأملاح المعدنية، أو بالخمائر الهامة، أو بالفيتامينات، فالعسل عبارة عن صيدلية مكتملة لعلاج كل مرض من الأمراض.

٥ـ العسل علاج لبعض اضطرابات الجهاز العصبى:

مثل الأرق، والصداع، والتوتر العصبى. والذين تناولوا العسل شعروا بتحسن كبير.

٦ـ في العسل شفاء لبعض أمراض المعدة:

العسل مادة ذات تفاعل قلوى، وبالتالى هو أفضل علاج لزيادة حموضة المعدة، والأمراض الناتجة عنها، مثل قرحة المعدة والاثنى عشر، ومن الأفضل تناول العسل على معدة خالية من الطعام. وأثبتت التجارب العلمية اختفاء الحموضة بعد العلاج بشراب العسل، واختفاء القروح بعد أسابيع قليلة من العلاج به.

٧ـ في العسل شفاء لبعض أمراض الكبد:

الكبد من أهم أعضاء الجسم؛ نظرًا لأن كل عمليات الأيض والتفاعلات الاستقلابية تحدث فيه. ولا تعرف بالضبط المواد الشفائية للكبد فى العسل، فالعسل يقلل من مستوى السموم الداخلية التى تنتج فى الكبد، كما أن بالعسل مواد تُشفى من بعض أمراض الكبد، مثل الكبد الدهنى، ويساعد على تحسن حالة وظائف الكبد فى التهابات الكبد الفيروسية.

٨ـ في العسل شفاء للإسهال الحاد والزحار (الدوسنتاريا):

نظرًا لوجود مواد قاتلة للميكروبات المسببة لذلك ـ وسبق أن تحدثنا عن ذلك من قبل، وذكرنا الأحاديث النبوية المشرفة الدالة على ذلك. فالعسل أفضل علاج لهذه الأمراض ولغيرها من أمراض الأمعاء الدقيقة والقولون.

٩ـ في العسل علاج لمرض السكر:

على الرغم من أن العسل يحتوى على العديد من أنواع السكريات، فإن فيه علاجًا لكثير من أعراض مرض السكر ومضاعفاته.

إن تناول مواد كيميائية غير السكر لتحلية الطعام والشراب لمرضى السكر، مثل مادة السوكاريل، لها طعم مستساغ، إلا أنها لا تخلو من آثار جانبية فى الجسم؛ لذلك حاول كثير من العلماء البحث عن مواد أخرى للتحلية غير السوكاريل، وغير السكر الأبيض (سكر القصب).

وقال كثير من العلماء إن المريض بمرض السكر إذا تناول العسل، فإنه يتحول فى الكبد إلى سكر حيوانى (جليكوجين)، يستفيد الجسم منه طبيعيًا بعد ذلك عند اللزوم، ويوجد اختلاف كبير بين سكر الفاكهة (فركتوز) وسكر العنب (جلوكوز)، وثبت أن سكر الفاكهة يكوّن جزءًا كبيرًا من العسل (٤٥٪)، وأثبت العالم الألمانى كريج وزملاؤه سنة ١٩٥٣م أن ٥٠٪ من سكر الفاكهة يتحول فى الجسم إلى مادة الجليكوجين التى ينتفع بها مرضى السكر، ونفس الحقيقة وصل إليها علماء كثيرون فى أوروبا (هاتشنسون، وآموس، وتوبياش) وذكروا أن العسل أفضل مادة لتحلية الطعام والشراب، وأن إعطاء مرضى السكر ٢٠ جرامًا عسل عند الإفطار، و٢٠ جرامًا بعد الظهر ـ دون أى تغيير فى علاجهم اليومى ـ لا يرفع من مستوى السكر فى الدم، ولابد أن يكون العسل المستعمل عسلاً طبيعيًا غير مغشوش.

وأفضل العسل لمرضى السكر هو العسل الصيفى؛ (لأن النحل أثناء الصيف يتغذى على رحيق الزهور فقط ولا يتغذى على السكر الأبيض). أما العسل الشتوى فالنحل يُطعم بالسكر الأبيض؛ نظرًا لقلة الزهور فى فصل الشتاء. وأثبت العالمان ستراوس وروزنفلد أن السكاكر المختلفة تعطى نتائج مختلفة، وأن تناول سكر الفاكهة يتقبله جسم مريض السكر أفضل كثيرًا من تقبله لسكر العنب والسكر الأبيض (سكر القصب)، وذكر ذلك فى كتاب: Traete de Biologie de L'adeille 1968.

وفى بلدة كادكوتا بولاية وسكنسون الأمريكية، نشرت سنة ١٩٧١م قصة مهندس أمريكى مصاب بمرض السكر، وفشلت كل سبل العلاج لشفائه من مضاعفات المرض، ونصحه جيرانه باستعمال العسل كمادة تحلية لطعامه وشرابه، وتجنب السكر الأبيض، وعرض الأمر على أطبائه فرفضوا بشدة، وقالوا: إن العسل سيزيد حالته سوءًا. إلا أنه تناول العسل من ضمن طعامه وشرابه، وقال: «بعد استعمالى للعسل كمادة لتحلية الطعام والشراب مع استعمال الحِمْيَة التى كنت أتبعها من قبل، هبط مستوى السكر بالدم كثيرًا وتحسنت صحتى).

ولما نشر ذلك، نشر أمريكيان (رجل وزوجته) مصابان بالسكر: إنه (بعد المعالجة عند العديد من الأطباء، وعدم الاستفادة، لجأ هو وزوجته إلى تناول العسل والفاكهة بكثرة، فصارا معافين من مرض السكر)، ومن هذا تبدو فائدة العسل وكثرة استعمال الفاكهة الطازجة لمرضى السكر.

وتحت عنوان (رحلة إلى الله ورسوله) فى مجلة (حضارة الإسلام) المجلد الخامس من العدد٣ :

ذكر أ. د. مصطفى السباعى تجربته الشخصية فى شفائه من مرض السكر باستعمال العسل والحِمْيةِ وتناول الفاكهة الطازجة، وثبت صحة الحديث النبوى الشريف: «**عليكم بالشفاءين العسل والقرآن**»، والإعجاز العلمى فى قول الله عز وجل: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، وقال: بعد خمسة أشهر من ابتداء هذا النظام فى العلاج، اختفى السكر من البول تمامًا، وقل مستواه فى الدم إلى قرب المستوى الطبيعى.

وكان أول من أثبت فائدة العسل فى ذلك العالِم ديفيدروف فى روسيا سنة ١٩١٥م، وذكر أن العسل أفضل من أى سكر آخر فى طعام مرضى السكر، وأنه يمنع حموضة الدم وتكوّن الأسيتون فى الدم. وقال بعض الأطباء الروس إنهم اكتشفوا مادة فى العسل تعمل عمل الأنسولين، وتعمل على شفاء السكر. وحدد أحد علماء جامعة أوتاوا بكندا أن هذه المادة هى إحدى الخمائر الموجودة بالعسل، إلا أنهم لم يتعرفوا عليها بعد. وقد تكون بالعسل مادة تنشط عمل خلايا (جزائر لنجرهانز) التى تنتج الأنسولين، وهى موجودة فى البنكرياس.

١٠ـ فى العسل مواد تحسن وظائف الكُلى:

يحتوى العسل على سكر الفركتوز، وزيوت طيارة، ومواد عضوية كثيرة، تعمل جميعًا على شفاء الكلى من بعض الاضطرابات الوظيفية التى تعانيها. ولم تكتشف ـ بعد ـ هذه المواد فى العسل إلا أن المشاهدات الطبية أثبتت حدوث تحسن ملموس فى قصور وظائف الكُلى، وتحسن كبير فى الالتهابات الميكروبية لحوض الكلى، والمجارى البولية.

١١ـ فى العسل مواد تسبب زيادة المناعة ضد الأمراض السرطانية:

من المشاهدات الواضحة أن الأمراض السرطانية نادرة بين مربى النحل، ولم يكتشف العلماء المادة المسببة لذلك، ونشأت نظريات تفسر ذلك:

١ـ نظرية تقول: إن سم النحل هو السبب فى مقاومة الأمراض السرطانية لدى مربى النحل، نتيجة لما يصابون أثناء عملهم من لسع متكرر من النحل.

٢ـ نظرية أخرى تقول: إن مربى النحل يتناولون العسل المحتوى على نسبة عالية من الغذاء الملكى.

٣ـ وقال آخرون: إن السبب هو تناول عسل غنى بحبوب اللقاح، ويعضد هذا الرأى ما تم اكتشافه من عناصر كيميائية يفرزها النحل على حبوب اللقاح تمنع انقسام خلايا جسم المربى، حتى أنها تؤثر على سرعة تكاثر الخلايا الطبيعية بالجسم، وبالتالى على الأثر العلاجى للأمراض السرطانية.

إلا أنه لم تثبت صحة أى نظرية من هذه النظريات بعد.

١٢ـ فى العسل شفاء للاضطرابات البدنية التى تحدث أثناء الحمل:

فى أول الحمل تعانى الحامل غثيانًا وقيئًا واضطرابات فى الدم، ولم يصل الأطباء إلى علاج شاف لهذه الحالات، ولوحظ حديثًا أن الحامل إذا تناولت عسلاً فإن حالتها الصحية تتحسن، وهذا شجع الأطباء على استعمال العسل فى العلاج؛ وذلك بحقنه بالوريد بتركيز ٤٠٪، وكان لذلك أثر شفائى واضح؛ لذلك ينصح كثير من الأطباء باستعمال العسل فى الغذاء اليومى للحامل.

١٣ـ فى العسل شفاء للأسنان من التسوس:

من الثابت أن فى العسل مضادات حيوية تقتل الميكروبات التى من شأنها تكوين تسوس بالأسنان، وخاصة إذا كان هناك نقص فى الكالسيوم بالدم، ولما كان العسل يقتل الميكروبات وفيه مواد تزود الجسم بالكالسيوم، فإن العسل أفضل مقوٍّ للأسنان، وأفضل وقاية للتسوس.

١٤ـ فى العسل مواد تؤجل حدوث الشيخوخة:

ومنها تقليل مستوى السموم الداخلية فى الجسم التى تزيد من عمليات الهدم، ومنها مفعول الغذاء الملكى الذى يؤجل حدوث الشيخوخة.

١٥ـ فى العسل علاج موضعى لأمراض العيون ولأمراض الجلد:

لأمراض العيون:

كان الأطباء قديمًا يستعملون العسل فى علاج الرمد الصديدى، ومع مرور الزمن لم يفقد العسل أهميته فى علاج أمراض العيون، وأطباء العيون بأوديسا وأوكرانيا من أشهر المتحمسين لعلاج أمراض العيون باستعمال العسل. وثبت أن للعسل تأثيرًا علاجيًّا حسنًا لكل أمراض القرنية الالتهابية، ويعمل كقطرات أو مراهم للعين. وأدى ذلك إلى شفاء سريع لكثير من الحالات، وهذا يفتح الباب أمام أطباء العيون لدراسة العسل كعلاج هام لجميع أمراض العيون.

وثبت أن للعسل تأثيرًا حسنًا على الالتهابات الجلدية ـ وقد تحدثنا عن ذلك من قبل ـ فالعسل شفاء لكثير من الأمراض كما اكتشف العلماء، مصداقًا لقوله تعالى عن العسل: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾.

٢ـ الخواص الشفائية النفسية والبدنية بالقرآن:

القرآن فيه شفاء للمؤمنين: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿مِنَ الْقُرْآنِ﴾ لفظة ﴿مِنَ﴾ ليست للتبعيض، بل هى للجنس. أى إن جميع القرآن شفاء للذين يؤمنون به، والشفاء هو الشفاء النفسى، الذى يؤدى إلى طمأنينة القلب، واستقرار النفس. وإذا حدث هذا فسيتحقق الشفاء البدنى من أمراض شتى، وكذلك يجد الإنسان فى القرآن الشفاء من الأمراض الفكرية أيضًا، والشفاء منها عسير إلا أن بعضها يسير لمن يؤمن بالقرآن ويتدبر كلماته.

وقال رسول الله ﷺ: «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله» أى من لم يجد الشفاء بالقرآن الكريم من كل مرض نفسى، وانحراف فكرى، يكون إنسانًا قد قرأ القرآن ولم يتدبره، فما أبعده عن الشفاء! كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ أى إن القرآن للذين آمنوا هدى وشفاء. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

﴿يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أى يسمعون ولكن لا يفهمون.

ولاشك أن الغضب والتوتر العصبى، هما سمة العصر الحالى، فهو عصر القلق.. ومن نتيجة الغضب والتوتر العصبى القلق، وإصابة الإنسان (بالأمراض النفسية البدنية) Psychosomatic diseases ومن هذه الأمراض: مرض الشرايين التاجية للقلب، والسكر وارتفاع ضغط الدم، والربو الشعبى، وقرحة المعدة والاثنى عشر.

ولم تكن الآثار النفسية والبدنية السيئة للغضب والانفعال النفسى والتوتر العصبى معروفة للعلماء من قبل، ولكن العلماء اكتشفوها فى عصر العلم الحالى.

وهنا يبدو لنا الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى الشريف الذى أخرجه الإمامان البخارى والترمذى، عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه، أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله علمنى كلمات أعش بهن ولا تكثر على فأنسى، فقال ﷺ له: «**لا تغضب**». فقال الرجل: ففكرت حين قال رسول الله ﷺ ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله. والنهى هو عن التمادى فى الغضب.

والغضب قوة شيطانية قاهرة، تقهر الإنسان قهرًا وتغلبه عن أمره. ونجد مثلاً على ذلك، حكاية عن النبى موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ**﴾ [الأعراف: ١٥٠]، الغضب دفع النبى موسى إلى إلقاء الألواح، والأخذ برأس أخيه يجره إليه. ولما هدأت نفسه، قال الله تعالى يحكى عنه: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ**﴾ [الأعراف: ١٥٤] ويأمر القرآن الكريم بالعفو والإصلاح قال: ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ [الشورى: ٤٠] وفى العبادات شفاء نفسى أيضًا فالوضوء شفاء كما قال رسول الله ﷺ: «**إذا غضب أحدكم فليتوضأ**».

وفى الصبر والصلاة شفاء. كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقال النبى ﷺ: «**قم فصل فإن فى الصلاة شفاء**».

والصوم شفاء، كما قال تعالى: ﴿**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٤].

والإيمان والخوف من الله شفاء نفسى عظيم. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال: ٢].

وامتدح الله تعالى الصابرين وقال: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾، وقال: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾ [النحل: ١٢٦، ١٢٧].

شفاء الاضطرابات النفسية والانحرافات الفكرية:

فى عصر العلم الحالى، أدى التقدم السريع فى مختلف ميادين الحياة وآفاق العلوم إلى تغيرات اجتماعية كثيرة، وإلى صراع نفسى وفكرى بين تقاليد الماضى وقيمه الأخلاقية، وبين تقاليد العصر الحاضر التى تتسم بضعف الإيمان، وضعف الصلة بمكارم الأخلاق، بل ضعف الصلة بين الإنسان وربه!

وأدى ذلك الصراع إلى اضطرابات نفسية فى الشباب كثيرة، وإلى انحرافات فكرية شتى، وأدى كل ذلك بالتالى إلى ما هو أسوأ؛ أدى إلى انحرافات سلوكية، وتغيرات سلبية فى شخصية الإنسان، ولم يكن عجيبًا بعد ذلك أن انزلق كثير من الشباب فى مهاوى الرذائل والمعاصى؛ من معاقرة الخمور وإدمان المخدرات والميسر، وجرائم الاختلاس والاغتصاب... إلخ... إلخ.

ويبدو أن التقدم التكنولوجى لم يعد نعمة، فقد انقلب نقمة على الجنس البشرى، فلم يحقق السعادة المرجوة ولا العلاقات الأسرية السوية، ولا السلوكيات اللائقة بالإنسان الذي كرمه الله تعالى، بل دخل الإنسان فى تيه فكرى، وفى دروب سيئة شتى من الانحرافات الفكرية والسلوكية والخلقية، التى هى فى مجموعها انحرافات عن الهداية الدينية.

وكانت النتيجة الحتمية لذلك إصابة المجتمع بالقلق النفسى الذى أوصل الجيل الجديد من الشباب إلى حالة من التمرد النفسى والاضطراب الفكرى، وما نتج عن ذلك من مصائب شتى، والإنسان المتمرد ليس إنسانًا منطقيًّا، بل إنه يسلك سلوكًا شاذًا يرضى فكره المريض.

وما الخلاص من ذلك؟ وأين طريق الشفاء؟

لا يوجد إلا طريق واحد، وحل واحد، هو الاتجاه إلى الله، هنالك سيجد الارتياح النفسى، والطمأنينة بأجلى معانيها كما قال تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ﴾، وسيجد الشفاء النفسى. كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وهذه أمثلة من الشفاء فى القرآن الكريم. فهو شفاء للاضطرابات النفسية، والانحرافات الفكرية وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «**عليكم بالشفاءين العسل والقرآن**».

العسل طعام لأهل الجنة

■ أخرج الإمامان أحمد والترمذى عن محمد بن بشار، عن يزيد بن هارون، عن الجريرى، عن حكيم ابن معاوية عن أبيه، أن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجنة بحر الماء، وبحر اللبن، وبحر الخمر وبحر العسل ثم تشقق الأنهار منها بعد**».

تختلف أنهار الجنة عن الأنهار التى نعرفها فى الدنيا. فالأنهار فى الدنيا تنبع من جبل وتجرى على سفح الجبل وفى واديه، وتصب فى نهايتها فى البحار. أما فى الجنة فالأمر مختلف، فأنهار الجنة لا تصب فى البحار ولكنها تنبع منها! وفى الجنة بحار أخرى من العسل تنبع منها أنهار من عسل مصفى.. والأمر كذلك فى الماء واللبن والخمر. كما قال تعالى:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

تذكر الآية الكريمة أمثلة لصور من النعيم، وصور من العذاب. والله تعالى أعلم بخلقه، وأعلم بما تجرى فى خلجات نفوسهم من رغبات وأمانىّ. والناس بطبائع مختلفة، ورغبات كثيرة، وميول شتى.

بعض الناس تتمنى نفوسهم، وتهفو قلوبهم إلى أن يكون لهم فى آخرتهم من الماء الجارى أنهار، ومن اللبن لذيذ الطعم أنهار، ومن الخمر بحار وأنهار، ومن العسل بحار وأنهار، ويزيد من نعيمهم أن يكون كل ذلك الرزق العميم مشفوعًا بالرضا والمغفرة من ربهم. هذا أقصى ما يتمنونه فى مخيلتهم.. وذكرت آيات قرآنية ذلك الذى يريح بالهم ويصلح أحوالهم.

وتتحدث هذه الآيات الكريمة إلى المؤمنين المتقين الذين يعبدون الله تعالى طمعًا فى جنة أو جنات لها تلك الصفات.

وبعض المؤمنين المتقين الذين لهم عند ربهم درجات أعلى يعبدون الله عز وجل، ليس طمعًا فى جنته، ولكن تقربًا إليه عز وجل بالطاعات، ويعبرون بعبادتهم عن شكرهم لله تعالى وبحبه لذاته العلية. ويقول الله عن هذه الفئة من المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] ويعدهم - ووعده الحق - بأن لهم مقعد صدق عنده، ولهؤلاء يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

ولنا فى السيدة رابعة العدوية مثل واضح، تقول: أتعبدون الله طمعًا فى الجنة، وخوفًا من النار؟ أو لو لم تكن جنة ولا نار، لم يعبد الله أحد؟ ولم يخشه أحد؟! وقيل لها: ما حقيقة إيمانك يا رابعة؟ فقالت: ما عبدت الله خوفًا من ناره، ولا حبًّا فى جنته، ولكنى عبدت الله شوقًا إليه..

ومراتب المتقين وأولياء الله مراتب كثيرة، وأحوال عديدة:

أولها: درجة الشاكرين. الذين يعبدون الله تعالى شكرًا على نعمه وقال الله عنهم: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

والدرجة الفضلى: درجة الصابرين على البلاء، وهؤلاء لهم البشرى من ربهم ولهم الصلاة من ربهم والرحمة والهدى قال الله فيهم: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

الدرجة الأكثر فضلاً: درجة الراضين بقضاء الله. الذين حسبوا أنهم بادروا الله بالرضا، فإذا هو قد رضى عنهم قبل أن يرضوا عن قضائه، قال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

الدرجة الأعلى من ذلك: درجة المحبين: الذين يحبون أى ابتلاء قدره الله عليهم.

وهذه الدرجات الأربع، الشكر، والصبر، والرضا، ومحبة قدر الله، لها أقوامها من المؤمنين، كل فى درجته التى جعله الله لها، وجعلها له.

ومحبة قدر الله أعلى درجات التقوى؛ لأن الشاكر قد يشكر الله على نعمه ولكنه لا يصبر على الابتلاء. والصابر قد يصبر على الابتلاء ولكنه قد لا يكون راضيًا عنه، والراضى يرضى بالابتلاء ولكنه قد لا يحبه. أما المحب لقدر الله فهو يشكر نعم الله عليه بحب، ويصبر على البلاء بحب، ويرضى عن البلاء بحب، ويتقبل البلاء من الله عز وجل بحب؛ لأنه يعلم يقينًا أنه قَدَرٌ له ممن يحب.

لقد وصلت السيدة رابعة العدوية إلى درجة المحبين، وارتقت منها إلى درجة أعلى هى درجة الشوق إلى الله عز وجل، وهى درجة لا نهاية لها؛ لأن المحب المشتاق لربه يكون مشتاقًا إلى معرفة ما لا يدركه من ربه. ولما كان الله تعالى لا تدركه الأبصار والعقول، فسيظل ما لا يدركه المشتاق من ربه لا نهاية له. فإن شوق المشتاق إلى ربه شوق لن يصل إلى منتهاه. وسيظل طوال حياته متطلعًا إلى الذات الإلهية ومشتاقًا إليها.

وهذه هى الدرجة التى عاشت عليها السيدة رابعة، وأمثالها من المشتاقين إلى الله تعالى طوال حياتها وحياتهم.

ونعود إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

ذكرت هذه الآية الكريمة نوعين من الجزاء: نوعًا يذكر النعيم وهى أنهار فيها من كل الأرزاق، وهو نعيم مقترن بالمغفرة من الله. ونوعًا آخر من الجزاء يذكر العذاب فى النار. قال تعالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

الله تعالى ضرب المثل للجنة؛ لأن الجنة فوق خيال الناس فى الدنيا. كما فى الحديث النبوى القدسى الشريف: «**أعددت لعبادى الصالحين فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»، الحديث الشريف يأخذ بيد الإنسان خطوة خطوة فقال: «**ما لا عين رأت**» ومجال الرؤية بالعين له حدود لا يتعداها، وأكثر منه اتساعًا مجال السمع، فالإنسان يسمع أصواتًا لا يراها. أما ما لا حدود له فهو ما يخطر على القلب. وحتى ما يخطر على القلب، هناك فى الجنة ما هو أكبر منه وأعظم.

وضرب المثل للجنة أيضًا؛ لأنه لا توجد فى اللغة كلمات تعبر عما فى الجنة من نعيم. وأمثال الجنة صفاتها كما قال الإمام على كرم الله وجهه.

﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾.

فيها أنهار تجرى كما قال تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾ وقال: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [الغاشية: ١٢].

وجريان ماء النهر هو سر طهارته. فما دام الماء يجرى فهو ماء نقى وصالح للشرب. أما إذا توقف عن الجريان كما فى المستنقعات، فإن ما يوجد فيه من مواد عضوية يضرب فيها التعفن، ونواتج عمليات التعفن تفسد الماء وتفسد طعمه وتفسد رائحته، ولا يصير صالحًا للشرب.

ولماذا قال رسول الله ﷺ عن البحر: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**» وماء البحار ماء راكد لا يتحرك؟ والأمواج تجرى فوق السطح والماء لا يجرى؟ نقول: إن ذوبان ملح الطعام فى ماء البحر حفظ له طهارته. ولو كانت مياه البحار - وهى راكدة لا تتحرك - مياهًا عذبة لصارت مياهًا عفنة، ولأفسد وجودها بيئة الأرض، ولقضت على الحياة على ظهر الأرض.

وإذا لم تتحرك مياه الأنهار كما فى الترع والمستنقعات فإنها تكون مصدرًا لبعض الأمراض كالبلهارسيا والأنكلستوما، ولأمراض ميكروبية مثل التيفود والكوليرا وغيرها. ولا تعيش قواقع البلهارسيا إلا فى الماء الراكد. ولقد أعطانا الحديث النبوى فى ذلك علمًا، من قبل أن يعلم العلماء عن ذلك شيئًا. فقد روى الإمام مسلم عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى أن يبال فى الماء الراكد فقال: «**لا يبولن أحدكم فى الماء الراكد ثم يتوضأ منه**»، وروى الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يغتسل منه**»، وفى رواية أخرى: «**لا تبل فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم تغتسل منه**».

فذلك قول الله عز وجل عن الجنة: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾، والماء الآسن هو الماء الذى تغيرت رائحته، وتغير طعمه، وصار نتنًا لا يشربه أحد.

ماء النار وماء الجنة:

لا شك أن فى الجنة ماء، ماء الأنهار والبحار والعيون. نقرأ عن ماء الجنة فى قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠].

نفهم من الآية أن فى الجنة ماء عذبًا، ولا يوجد فى النار. وليس لأهل النار من ماء يشربون إلا ماء حميمًا يقطع أمعاءهم. كما قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، والمهل شديد الحرارة أسود اللون وغليظ القوام.

وعن ماء الجنة، قال الله عز وجل: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦]، أى تلكما الجنتان فوارتان بالماء. وفى وصف الجنة يقول تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: ٣٠، ٣١]، ماء مسكوب: أى لا ينقطع.

أنهار الجنة:

وصفتها سورة محمد فى أربع صفات. وهى تختلف عن أنهار الدنيا اختلافًا كبيرًا. لذلك ضرب الله تعالى لأنهار الجنة أمثلة؛ لأنها ليست مثل أنهار الدنيا، وإن كانت تشترك معها فى الاسم. فأنهار الدنيا تحمل مياهها الطمى، وشواطئها من تراب وطين. أما أنهار الجنة، فالماء فيها أشد بياضًا من اللبن. وأحلى من العسل. ولا طمى فى الماء ولا طين، وشواطئها من الذهب والدر والياقوت!

وأخرج الإمام البخارى عن السيدة عائشة رضى الله عنها تتحدث عن الكوثر وهو أجمل أنهار الجنة الذى منحه الله تعالى لرسوله قالت: (الكوثر نهر أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه من در مجوف، وآنيته كعدد النجوم).

وأخرج الإمام الترمذى، عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعًا: «**الكوثر نهر فى الجنة، حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت**».

قال تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾.

وصفات اللبن فى الجنة، صفات عجيبة، لا تكون أبدًا فى اللبن الذى نعهده فى الدنيا. فإن كل لبن لابد أن يتغير طعمه بمضى الوقت، وجريان الماء لا يمنع تغير طعمه، فلابد أن تكون للبن أنهار الجنة صفات أخرى لا نعرفها. وحتى لونها لون فريد وعجيب.. يقول رسول الله ﷺ عن ماء الجنة: «**وماؤها أشد بياضًا من اللبن**». ولا نعرف فى الدنيا لونًا أشد بياضًا من اللبن. فبياض اللبن هو أشد درجات البياض، فما هو ذلك اللون الذى هو أشد بياضًا من اللبن؟! ثم إذا كان هذا هو لون ماء الجنة، فما بالنا بأنهار اللبن فيها؟!

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾:

الآية الكريمة تدل على أن فى الجنة خمرًا. وأنه يجرى فى الجنة أنهارًا، إلا أنه ليس مثل خمر الدنيا، الخمر فى الدنيا تغتال العقل، وتهدم صحة الإنسان، وهى مفتاح لكل شر. أما خمر الجنة، فلا تسبب مرضًا ولا تخامر العقل، ولا تضر بصحة النفس وصحة الجسد، فهى خمر أخرى فيها اللذة للشاربين. وعن خمر أصحاب الجنة يقول الله تعالى أيضًا: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٥ ـ ٤٧].

والكأس: هى كل كأس مع شرابها فإذا فرغت الكأس صارت قدحًا، وما ذكرت الكأس فى القرآن الكريم إلا للخمر.

بيضاء: أى إن لونها أبيض، بل أشد بياضًا من اللبن.

من معين: أى من خمر تجرى كما يجرى ماء العيون.

لذة: أى ذات لذة، فحذف المضاف وترك المضاف إليه، الذى يدل عليه. وهذا أسلوب بلاغى.

لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون: أى لا تغتال العقل ولا تضر بالجسد. ولا تسبب حالة سكر. ونظير ذلك قوله تعالى عن خمر الجنة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٧ ـ ١٩].

أى لا تحدث لهم خمر الجنة صداعًا ولا سكرًا، ولا خللاً بالوعى والعقل، كما تفعل خمر الدنيا، ونظير ذلك أيضًا قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٢، ٢٣].

أى يتجاذبون كئوس الخمر، شأن الجلساء الأصدقاء. ولا يتكلمون بلغو الحديث أثناء شرب خمر الجنة، وليس كما يتكلم شاربو الخمر فى الدنيا.

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾.

العسل الذى نعرفه عسل خرج من بطون النحل، وهو مكون من ستة عشر نوعًا من السكاكر، ومئات المواد العضوية، ومئات المواد غير العضوية، والعديد من الأملاح المعدنية مثل أملاح الصوديوم، والبوتاسيوم، والكالسيوم، والماغنيسيوم. والكثير من الأحماض العضوية مثل أحماض التارتاريك، والجليكونيك، والليمونيك وغيرها. والكثير من الخمائر الهامة مثل خمائر الكاتالين، والأفرتين، والليبين، والأميليز وغيرها، كما يحتوى العسل على مقادير قليلة من الفيتامينات.

وفى سنة ١٩٥٠م اكتشف العلماء فى ألمانيا، وجود مضادات حيوية فى العسل تقتل الميكروبات العنقودية التى تسبب الالتهابات المتقيحة، والجراثيم السبحية التى تسبب الزحار والنزلات المعوية، والإسهال المزمن، وإذا كانت أقوى المضادات الحيوية التى نعرفها حتى الآن لا تقتل الفيروسات ولا تقتل العفن، فإن فى العسل مواد تقتلها!

هذا عن العسل الذى نعرفه فى الدنيا الذى يحتوى على مواد كثيرة تقتل الميكروبات والفطر والفيروسات؛ لذلك وصفه الله تعالى قال: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾.

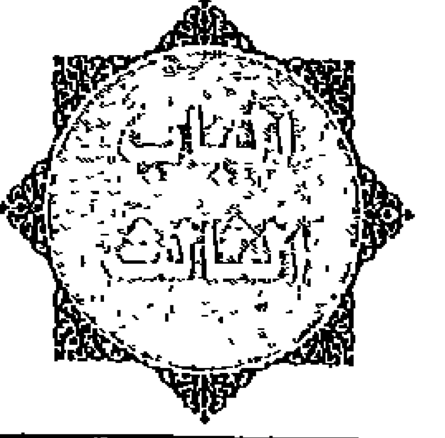
أما العسل فى الجنة، فله شأن آخر، وأصحاب الجنة لهم شأن مختلف عن أهل الدنيا، فهم لا يشكون أسقامًا، ولا يتعرضون لأسبابها، ولا يعانون منها. فلم يقدر الله تعالى عليهم الأمراض، كما قدرها على الناس فى الدنيا؛ لذلك هم فى غير حاجة لعسل النحل الذى نعرفه فى الدنيا، والذى فيه شفاء للناس بسبب وجود مئات المواد المضادة لأسباب الأمراض. لذلك جعل الله عسل الجنة خاليًا من كل هذه المواد الشفائية، ولم يبق فيه إلا جمال الرائحة، وحلاوة الطعم، فهو أجمل رائحة، وأحلى مذاقًا، وألذ طعمًا من عسل الدنيا، قال الله تعالى عنه: ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ فكلمة ﴿مُصَفًّى﴾ لها معنى محدد ومقصود، ولم يصفه الله تعالى بأنه شراب يحتوى على مواد مختلفة وكثيرة، ولكنه وصفه بالعسل.

وروى فى حديث مرفوع: «**إنه عسل لم يخرج من بطون النحل**».

وأخرج الإمام مسلم فى صحيحه، أن النبى محمدًا ﷺ لما سئل عما تطلع عليه فى الجنة قال: «**على أنهار من عسل مصفى. وأنهار من خمر ما بها صداع أو ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من ماء غير آسن**».



النمل



النمل

النمل أمة من الأمم تسبّح الله تعالى:

■ أخرج الأئمة؛ البخارى ومسلم وأحمد، وأصحاب السنن، عن يونس، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المُسيّب، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**قرصت نملة نبيًا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأُحرقت، فأوحى الله تعالى إليه: أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمة تُسبّح؟**».

■ وأخرج الإمام مسلم عن المغيرة، عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ قال: «**نزل نبى من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها. ثم أمر بها فأُحرقت فى النار. فأوحى الله إليه: فهلا نملة واحدة؟**».

الحديث الشريف فيه سؤال استنكارى، أى فهلا عاقبت النملة التى قرصتك، أما غيرها فلم يسببوا لك ضررًا فلماذا عاقبتهم دون أى ذنب جنوه؟!

■ روى الإمام أحمد عن أبى النضر، عن المسعودى، عن الحسن بن سعد، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن عبد الله بن مسعود قال: نزل النبى محمد منزلاً، وقد أُوقِد على قرية نمل، إما فى الأرض وإما فى شجرة. فقال النبى ﷺ: «**أيكم فعل هذا؟**»، فقال رجل من القوم: أنا يا رسول الله. قال ﷺ: «**اطفها، اطفها**» أى أطفئ النار، أطفئ النار. وذلك نهى شديد عن إحراق النمل.

■ روى الإمام أبو داود عن أبى صالح، عن الحسن بن سعد، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فرأينا حُمَّرة (طائر فى حجم الحمام)، ومعها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة وهى تَفْرُش (أى ترفرف). وجاء النبى ﷺ فقال: «**من فجع هذه بولدها، ردوا ولدها إليها**».

ورأى النبى ﷺ قرية نمل وقد حرقناها فقال: «**من حرق هذا؟**»، قلنا: نحن، قال: «**لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار**».

وفى الحديث الشريف الدلالة على أن إحراق بيوت الزنابير مكروه، أما النمل فالعذر فيه أقل، وذلك لأن ضرره يمكن إزالته من غير إحراق، أما النمل الأبيض (الأرضة) فهو مؤذ، وقتله جائز.

الحديث النبوى الشريف يخبرنا عن أربعة أشياء:

١ـ أن نبيًا لدغته نملة.

٢ـ أن ذلك النبى أمر بإحراق عش النمل كله، وأن ذلك لم يكن عدلاً.

٣ـ أن النمل أمة من الأمم.

٤ـ أن النمل يسبح الله تعالى.

١ـ أن نبيًا لدغته نملة:

كان أحد الأنبياء ـ وقيل إنه كان عُزَيرًا أحد أنبياء بنى إسرائيل ـ ينزل تحت شجرة ليستريح فى ظلها بعد سفر طويل، وكان بالشجرة أو بالقرب منها قرية نمل، وتوجهت نملة إلى ذلك النبى وقرصته.

٢ـ غضب النبى وأمر بقرية النمل فأُحرقت وكان بها عشرات الآلاف من النمل، فأوحى الله تعالى إليه: أفى أن قرصتك نملة واحدة أهلكت أمة تسبح؟!!

وفِعْلُ ذلك النبى لم يكن عدلاً؛ لذلك عاتبه الله تعالى عتابًا شديدًا.

وقرصة النملة لا تؤذى الإنسان إلا فى الألم الذى تحدثه.

٣ـ النمل أمة من الأمم:

مجتمع النمل مكون من: الملكة، والشغالات، والذكور، والجنود.

الملكة وظيفتها إدارة البيت كله، فهى أم لكل النمل، ولا يخالف النمل لها أمرًا، كما أن من أهم وظائفها وضع البيض، واستمرار وجود النمل فى البيت.

والشغالات تقوم بكل عمل فى البيت، فهى تحضر الطعام، وتربى الفطر الذى تتغذى عليه النمل وهى التى تنظف البيت، ومنها الوصيفات التى تخدم الملكة وتحافظ عليها.

أما الذكور فإن منهم الجنود وعملهم حراسة البيت والدفاع عنه.

ومجتمع النمل مجتمع فى غاية التنظيم، يقوم بعمله فى قمة الدقة والإبداع، يسير على الفطرة التى فطره الله عليها، والملكة تشرف على الجميع بفطرة خلقها أيضًا.

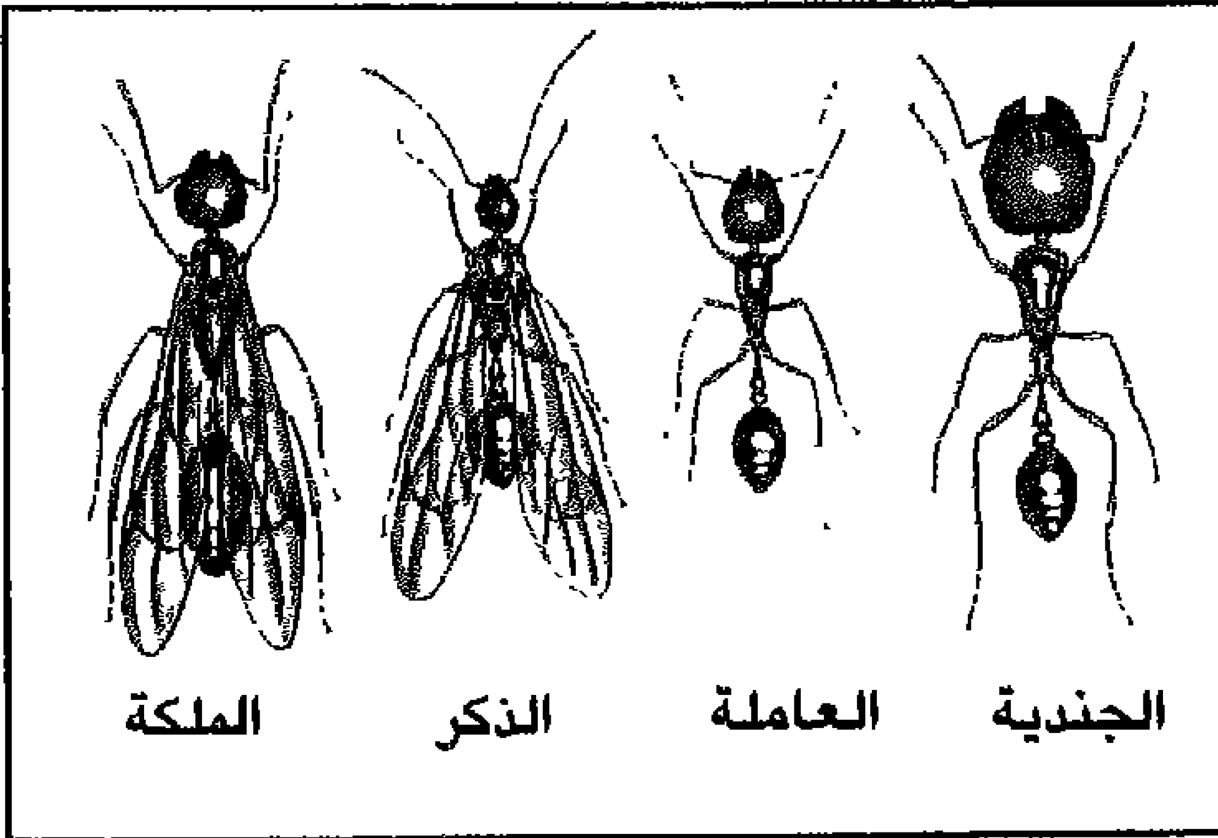
٤ـ النمل أمة تسبح الله تعالى:

وهذه حقيقة سنتحدث عنها بشىء من التفصيل.

أمــة النمــل

ذكر الحديث النبوى الشريف أن النمل أمة من الأمم، وهذه حقيقة.

ولقد عكف علماء الحشرات على دراسة النمل، وأجروا عليه الكثير من التجارب، ووضعوا أنواعًا مختلفة من النمل فى مختبرات خاصة، مجهزة بآلات للمراقبة والتصوير، والتسجيل الصوتى، وحصلوا على نتائج مدهشة تدل على أن النمل بكل أنواعه، أمم من المخلوقات هى من أكثر الأمم تنظيمًا وتنسيقًا للأعمال، وتعاونًا فيما بينها.



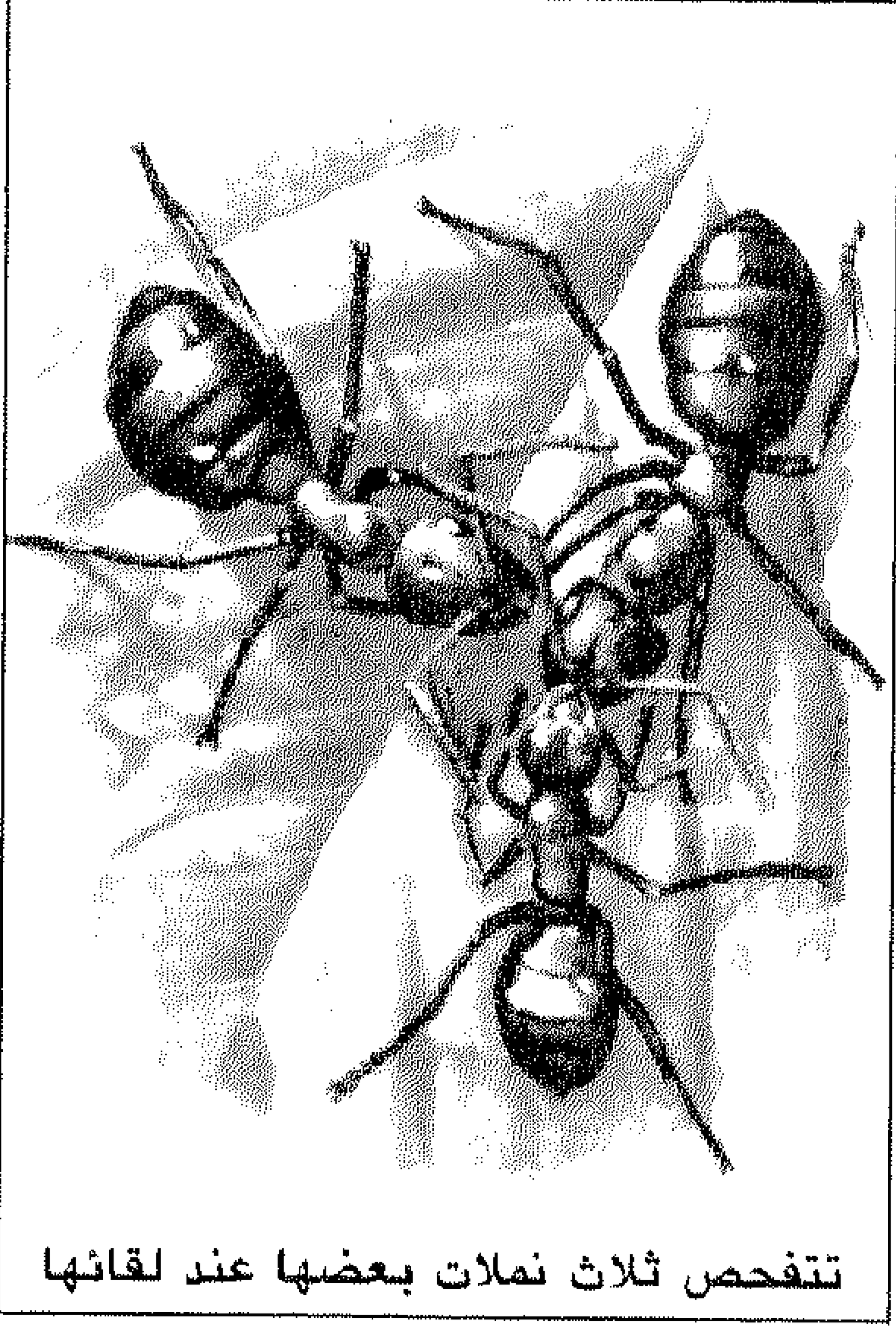
وتأكد للعلماء أن للنمل نظامًا اجتماعيًا فى قمة التنظيم، ويظهر ذلك فى تكوين الأسر والفرق والجماعات المتخصصة من النمل. ووجدوا نظامًا عسكريًا يتميز بإعداد الجنود للدفاع عن البيت، والدخول فى حرب مع فرق أخرى من النمل أو مع أعداء النمل، ووجدوا نظامًا اقتصاديًا محكمًا فى توفير الطعام وتجنب الإسراف فى استهلاكه، ووجدوا نظامًا غذائيًا رائعًا فى تخزين الغذاء الاحتياطى فى مخازن خاصة، لاستعماله عندما يقل الغذاء إلى درجة كبيرة.

فالنمل أمة مثل أمم البشر، وقد تفوقها فى الدقة فى العمل اليومى، فى داخل البيت وخارجه، والإبداع فى صنع غرف البيت، والتنسيق بين أفراد أمة النمل، بدون أى خلل وبدون أى اختلاف، إنها حقائق علمية اكتشفها العلماء حديثًا، ولكن القرآن ذكرها، والحديث النبوى الشريف أشار إليها.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨].

والنمل من الدواب (الشغالة والجنود) والنمل ذو الأجنحة: الذكر والملكة.

وقال رسول الله ﷺ: «... أَنْ قرصتك نملة أهلكت أمة تُسبّح؟!».



تتفحص ثلاث نملات بعضها عند لقائها

الصفات البدنية للنملة:

النملة كغيرها من الحشرات، لها ست أرجل، والأرجل صلبة نسبيًا، وفى آخر البطن آلة لسع فى معظم الشغالات، ولها قرنان طويلان هى قرون الاستشعار، التى هى آلة استقبال حواس اللمس والشم.. وتستعمل أيضًا كلغة إشارات بين النمل وتعتبر قرون الاستشعار أكثر الأعضاء الحسية أهمية للنملة، وتتصل بمركز تلك الأحاسيس فى مخ النملة، حينئذ تحس النملة بتلك الأحاسيس، كما هو الحال فى كل الدواب والحشرات وبنى الإنسان.

مما يدل على وحدة النظام فى الخلق، الذى يؤكد وحدانية الخالق وهو الله عز وجل.

النمل يتبع رتبة من الحشرات تسمى غشائية الأجنحة Hymenoptra وتعيش حياة اجتماعية، ويتكون مجتمع النمل من الملكة، والشغالات، والذكور.

والنمل ذو براعة فى جلب الغذاء وتخزينه وبناء بيته أو قريته.

وتعيش الشغالة نحو خمس سنوات، وتعيش الملكة نحو ثمانية عشر عامًا.

والملكة تدير شئون البيت وترعاه، وتتميز الملكة بكبر حجمها، وبنمو أجهزتها التناسلية، أما الشغالات فهى ليست إناثًا؛ لأن أعضاءها التناسلية ضامرة.

وتوجد الذكور أيضًا، وتعمل فى الحراسة، ولا وجود للجنود فى النمل الحقيقى مثل تلك الجنود فى الأَرَضَة. وللنمل أنواع كثيرة، وتبلغ ملكة بعض أنواع النمل حجمًا قدر حجم الشغالة مائة مرة.

وعندما يتقابل عدد من أفراد النمل، يحدث بينهم اتصال بقرون الاستشعار، وهذه هى إحدى لغات النمل.

لغة النمل

اكتشف العلماء حديثًا أن للنمل لغات عديدة، يتفاهم بها بعضها مع البعض وذكر ذلك فى سورة النمل فى قوله تعالى يحكى عن سليمان وجنوده: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٨، ١٩].

فى الآية إعجاز علمى عظيم، فالتى تأمر النمل جميعًا أنثى، ولا توجد أنثى فى بيت النمل إلا الملكة، والملكة هى الآمرة الناهية لكل النمل، وقال الفخر الرازى فى تفسيره لهذه الآية: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ المعنى أنها تكلمت بذلك، وهذا غير مستبعد، فإن الله قادر على أن يخلق للنمل نطقًا. وسئل قتادة عن نملة سليمان: أكانت ذكرًا أم أنثى؟ فلم يستطع الإجابة.

وقال الإمام أبو حنيفة: إنها كانت أنثى. فقيل له: كيف عرفت؟ قال: من كتاب الله تعالى؛ قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾. ولو كان ذكرًا لقال: قال نملة، وذلك لأن النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والأنثى. ولا توجد إلا أنثى واحدة فى عش النمل وهى الملكة، وهى الآمرة للنمل كله. وهى التى أمرت النمل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾.

وكان العلماء حتى القرن التاسع عشر الميلادى يعتقدون أن النمل حشرة لا تنطق، وأنها تتصل بأفراد النمل الأخرى بالإشارة أو بقرون الاستشعار فقط. إلا أنهم اكتشفوا بواسطة أجهزة التسجيل الصوتى التى تسجل الأصوات التى لا تسمعها أذن الإنسان، أن النمل ينطق ويتكلم، ويناقش ويجادل، وذكر القرآن الكريم أن للنمل نطقًا وقولاً فى قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾. وفى قوله: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾.

وكلام النمل له ذبذبات صوتية، لا تلتقطها أذن الإنسان.

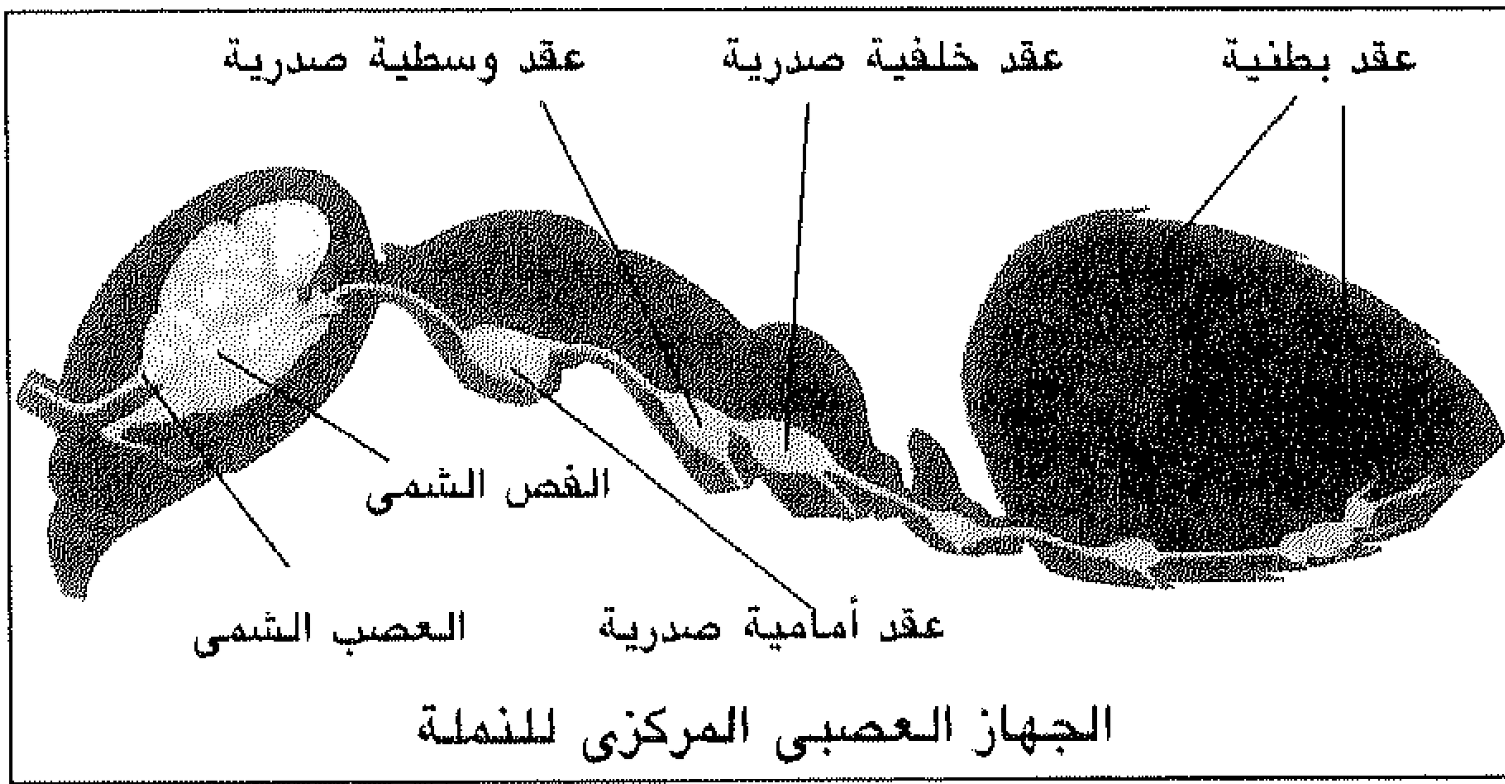
وأثبتت الدراسات العلمية أن لكل نوع من الحشرات رائحة خاصة بها، تعمل وكأنها بطاقة شخصية تتعرف الحشرات الأخرى بواسطتها بعضها على البعض. والرائحة لغة خفية أو رسالة صامتة، تتكون مفرداتها من مواد كيميائية يطلق عليها العلماء اسم (فرمونات). ويتميز النمل برائحة خاصة تدل على العش الذى ينتمى إليه.

وإذا دخلت نملة غريبة عن مستعمرة النمل، فإن نمل المستعمرة يتعرف عليها عن طريق رائحتها ويطردها، وللنمل أكثر من لغة يتصل بها مع أفراد النمل جميعًا، ومن هذه اللغات شفرة كيميائية.

النمل أكثر الحشرات ذكاء:

تتميز النملة بجهاز عصبى متطور مكون من مخ فى الرأس، وجهاز عصبى مركزى متقدم.

والذى يدرس عالم النمل، يجد أن أفراد النمل تعمل فى نظام تعاونى دقيق يدل على ذكاء فطرى عجيب.



الجهاز العصبى المركزى للنملة

النمـل أقـوى الحشرات نسبيًّـــا

لاحظ أحد العلماء نملة تحمل حبة من الحبوب وتصعد بها إلى أعلى صخرة. وحَسَبَ وزن النملة ووزن الحبة، وقاس الارتفاع الذى صعدته النملة بحملها، فوجد أن الرجل حتى يكون فى قوة النملة ـ نسبيًّا ـ عليه أن يحمل فوق كتفيه ألف كيلو جرام ويصعد بهذا الحمل سلالم سبعة طوابق! ومعنى هذا أن النمل أقوى من الإنسان بدنيًّا ـ نسبيًّا ـ أضعافًا مضاعفة. وصدق الله تعالى الذى قال: ﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾.

ويُحكى أن قائدًا هزم فى معركة من المعارك، وفر مهزومًا هو وجيشه، وعاد وعبأ جيشه من جديد، وهجم على أعدائه ليطردهم من بلاده، إلا أنه هزم مرة أخرى، وتفرق جيشه، فجلس فى ظل صخرة وهو مهموم لا يدرى ماذا يفعل، فرأى نملة تحمل حملاً أثقل منها كثيرًا وتحاول أن تصعد الصخرة، وقبل أن تصل إلى نهاية الصخرة تقع بحملها على الأرض، وما إن تقع حتى تحمل حملها من جديد، وتتجه إلى الصخرة وتحاول الصعود وفى وسط الطريق هوت إلى الأرض، وظل القائد يلاحظها، ووجد أنها لم تيأس مطلقًا وظلت تحاول الصعود وتسقط، تصعد وتسقط، وهكذا أربعين محاولة، وفى المرة الواحدة والأربعين، نجحت فى الوصول إلى أعلى الصخرة!

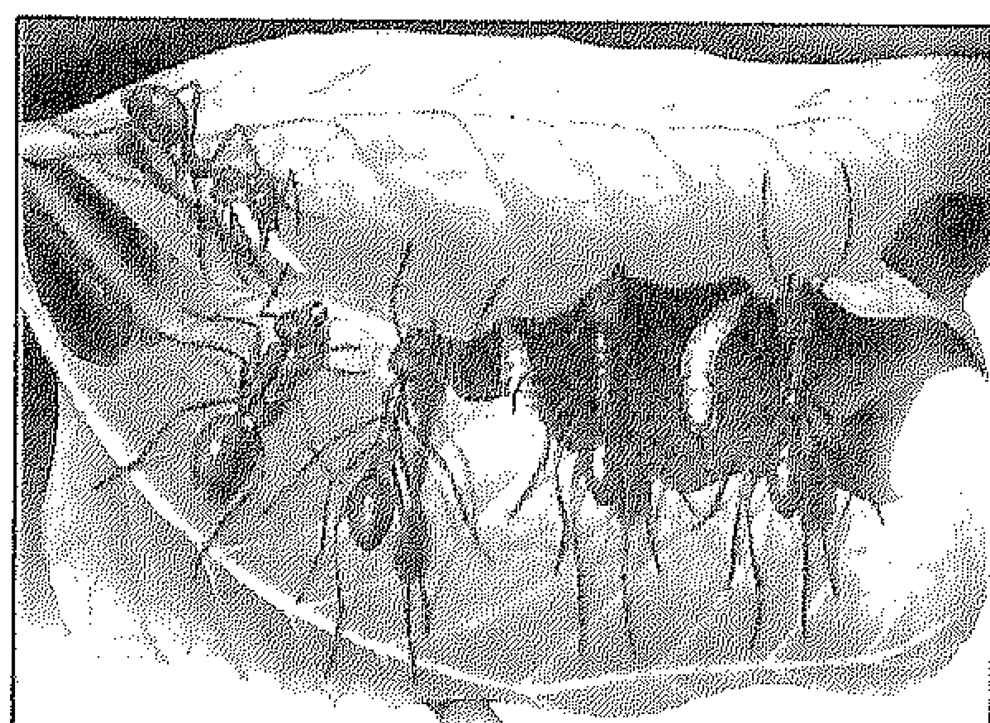
وتعلّم القائد من هذه النملة درسًا، وهو عدم اليأس مادام فيه بقية من قوة، وعاد إلى بلده وجمع جيشه من جديد، وباغت جيش الأعداء، وبعد عدة محاولات استطاع أن يهزم العدو وينتصر فى النهاية.

النمـل فـرق متخصصـة

إن تعدد نشاط النمل له ما يماثله فى تعدد نشاط أفراد المجتمع الإنسانى: فهناك نمل تخصص فى حفر عش النمل، ونمل تخصص فى الحصاد، وهناك النمل الخياط، ونمل قاطع أوراق الشجر الأخضر، والنمل الخباز، والنمل الراعى الذى يربى أبقار النمل ويرعاها ويحلبها، ونمل يخزن الطعام، والنمل المحارب، والوصيفات... إلخ.

النمل الحفار: يبنى عش النمل تحت الأرض فى صالات ودهاليز وحجرات.

نمل المحاصيل: يجمع غذاء النمل من مواد نباتية. ويوجد فى المناطق شبه الاستوائية يجمع الحبوب، ويعطيها للنمل الخازن الذى يختزنها فى مخازن خاصة فى عش النمل، وعندما تبتل الحبوب، يُخرجها النمل إلى خارج العش لتجف. وأحيانًا تنبت البذور، ويحصد النمل المحصول!

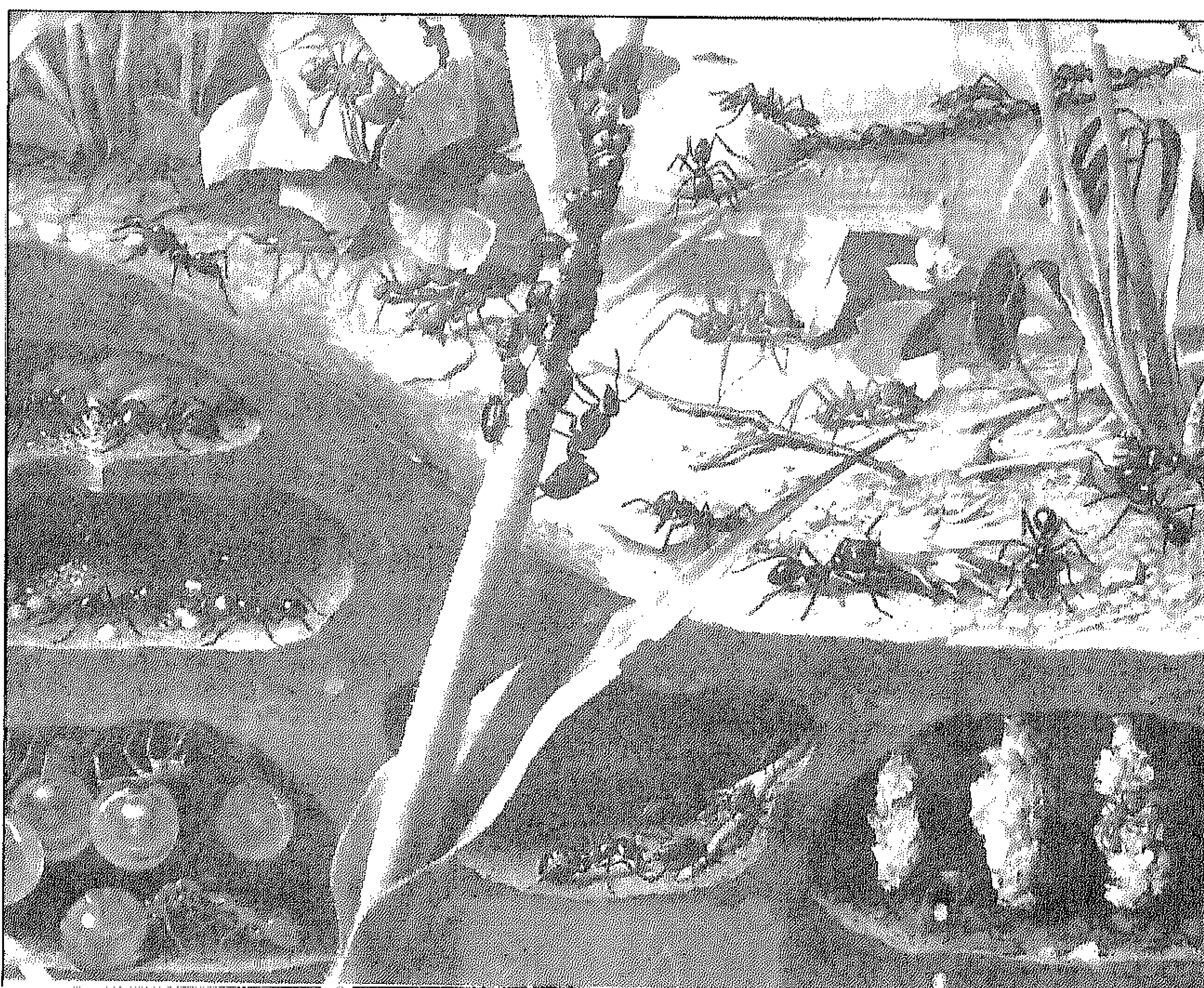


بعض النملات المختصة بالخياطة، تخيط ورقة بواسطة يرقات تفرز خيوطًا حريرية، ويتعاون النمل على صنع ذلك النسيج الذى يربط الأدران ربطًا متينًا.

النمل الخياط: فى غابات أستراليا، تعيش أكبر مستعمرات النمل فى العالم، وتبنى النملة الخياطة التى يبلغ طولها ٦ ملليمترات عشها بنفسها، والمواد الأساسية هى أوراق الأشجار، وتبدأ النملة بجمع الأوراق فى مكان واحد تمهيدًا لعملية لصقها ببعضها، وتبنى البيت بتقنية عجيبة، حيث تقوم بعض الشغالات بحمل يرقة نمل غير ناضجة وتبدأ اليرقة بإفراز حرير لاصق، وتنسج النملة الخياطة الأوراق، وتخيطها بعضها بالبعض بخيوط الحرير بحيث تلتحم الأوراق.

وعملية نسج الأوراق تحتاج إلى تعاون كبير بين الشغالات من النمل، فبعضها ينسج الورق من الداخل، وبعضها الآخر ينسج الورق من الخارج، وبذلك يكون النسيج متينًا.

النمل قاطع الأوراق: يوجد هذا النوع من النمل فى أمريكا الاستوائية، ويقطع أوراق الشجر الأخضر قطعًا صغيرة بفكوكه القوية، ويحملها معه إلى عشه، لا ليتغذى عليها، ولكن ليفتتها ويحضرها طعامًا لنوع من الفطر الذى يربيه فى حظائره، ويكثر النمل قاطع الأوراق فى شمال أمريكا الجنوبية، ويقطع النمل الأوراق الخضراء من النبات كما يقطع زهوره أيضًا.



تبين هذه الصورة أنواعًا مختلفة من النمل داخل العش أو خارجه ولا يعنى هذا بالطبع أنها تعيش فى الطبيعة على هذا المنوال، لأنها تقطن بلادًا مختلفة. والغرض من جمعها هنا هو إعطاء صورة

النمل الخباز: يجمع الحبوب ويطحنها بفكوكه، ويمزجها باللعاب، فتصير عجينًا يصنع منه أرغفة صغيرة من الخبز، يقدمها طعامًا للنمل فى العش.

النمل الراعى: هذا النوع يربى ويرعى نوعًا من المن (وهى حشرات خضراء اللون صغيرة الحجم) يعيش على أغصان الشجر الدقيقة الخضراء، ويقوم النمل الراعى بحلب ذلك المن، ويخرج منه مادة فى مذاق العسل، يحبه النمل حبًّا جمًّا. ويفعل النمل الراعى بالمن ما يفعله الفلاح فى أبقاره؛ لذلك تسمى حشرة المن أحيانًا (بقر النمل).

النمل الخازن: هذه الفرقة من النمل داخل عش النمل تجمع المواد الغذائية وتخزنها فى المخازن وتحافظ عليها، وعادة تكسر البذور بفكيها قبل تخزينها حتى لا تعود للإنبات مرة أخرى، وبعض البذور ذات الفلقتين يكسرها النمل إلى أربعة أجزاء؛ لأن الفلقة إذا تركت تنبت، وإذا ابتلت البذور، أخرجها النمل إلى سطح الأرض لتجف، إن عمل النمل الخازن يدل على علم وحكمة، وما به من علم إنما هى الفطرة التى فطره الله تعالى عليها.

أعداء النمل:

إنه آكل النمل وهو حيوان يعيش حيث تكثر أعشاش النمل وبيوت النمل الأبيض، وهو حيوان فى حجم الخنزير البرى الكبير، وله خرطوم طويل يدخله فى فتحة البيت، ويشفط آلاف النمل فى كل شفطة، وهو حيوان مغطى بشعر كثيف، وللنمل أعداء كثيرون يفترسون النمل الأبيض والأسود، ولولا تلك الأعداء لاختل التوازن، ولازداد عدد النمل زيادة هائلة ولأغار على مساكن الإنسان وزراعاته، وأحدث للإنسان خسائر جسيمة.



آكل النمل

بيت النمل:

يبنى النمل بيته فى أنفاق تحت الأرض.. والملكة هى الأنثى الوحيدة فى بيت النمل، وهى أم النمل الموجود فى البيت كله.

كما توجد بيوت للنمل على الأشجار، تعيش على أغصان الأشجار، وفى فجوات عميقة فى جذوع الأشجار الكبيرة فى الغابات ويعيش النمل الذى يعيش على الأشجار على نفس النظام المحكم الذى يعيش عليه كل أنواع النمل الأخرى.

وهكذا فالنمل أمة من أمم المخلوقات ـ كما أخبرنا الحديث النبوى الشريف.

تسبيح النمل

■ أخرج الأئمة: البخارى، ومسلم، وأحمد، وأصحاب السنن، عن يونس، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**قرصت نملة نبيًا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأُحرقت، فأوحى الله تعالى إليه: أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمة تُسبح!**».

■ وروى الإمام النسائى عن إسحق بن إبراهيم، عن النَّضْر، عن أشعث، عن الحسن قال: نزل نبى من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة، فأمر ببيتهن فحُرّق على ما فيه، فأوحى الله إليه فهلا نملة واحدة. وقال الأشعث عن ابن سيرين، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ مثلَه وزاد: (فإنهن يسبحن).

وفى الإشارة إلى تسبيح النمل، الدليل على أن النمل أمة مطلوبة البقاء، ولو لم يكن فيها فائدة إلا التسبيح لكفى داعيًا إلى بقائها.

الحديث الشريف يخبرنا عن لدغة النمل، وأن إحراق العش كله لم يكن عدلاً، وأن النملة أمة من أمم المخلوقات، وأن النمل أمة تسبح الله تعالى(1).

ثبت تسبيح النمل لله تعالى بنص الحديث النبوى الشريف، ولكن كيف يسبّح النمل؟

تسبيح النمل فى فطرة خلقه، فهو يسبّح الله كرهًا، والتسبيح هو الخضوع والانصياع للفطرة التى فطر الله خلقه عليها.. وبناء على هذا المفهوم ندرك تمامًا أن كل شىء فى السماوات والأرض يُسبّح لله عز وجل، ونجد ذلك فى قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [التغابن: 1]، وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: 44].

إنها آية جامعة تقرر أن كل ما فى السماوات السبع والأرضين السبع من أحياء وجمادات يسبح الله تعالى، وهذا يتوافق مع ما جاء فى الحديث النبوى من تسبيح النمل لله تعالى.

قدمت الآية تسبيح غير العاقل والجمادات فى السماوات والأرض كالجبال والنجوم والدواب والحشرات لله عز وجل: ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ أى المخلوقات العاقلة، وفى ذلك عبرة كبيرة، لأن تسبيح الجمادات وغير العاقل من المخلوقات أعجب من تسبيح العاقل، وأظهر على المقدرة فقدم الأظهر على الظاهر، والأعجب على العجيب، وحتى لا يظن الإنسان أنه هو المسبح لله تعالى وحده، وإنما سبقه فى ذلك كل الجمادات وكل الدواب والطير والحشرات.

الإنسان يسبح الله جبرًا واختيارًا، والجمادات والدواب تسبح الله فطرة وانصياعًا ولكن كيف تسبح أمة النمل؟ وكيف تسبح الدواب والجمادات؟ تجيبنا الآية الكريمة تقول: ﴿وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

والتسبيح صلاة لله تعالى، والتسبيح سجود له عز وجل.

التسبيح بمعنى الصلاة:

أخرج الإمام أحمد عن كعب بن مالك قال كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فسبّح فيه ركعتين، أى صلى فيه ركعتين، وفى هذا الدليل على أن التسبيح صلاة، والصلاة تسبيح.

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: 44].

التسبيح بمعنى السجود:

التسبيح صلاة، والسماوات السبع والأرض تسبح الله تعالى أى تسجد له أيضًا ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾.

(1) لمزيد من التوضيح اقرأ (التسبيح فى عالم النمل) كتاب تسبيح الكون ص 129 للمؤلف.

والتسبيح يملأ السماوات والأرض:

أخرج الأئمة: مسلم، وأحمد، وابن ماجه، عن معاوية بن سلاّم، عن أخيه، أنه أخبره عن جده أبى سلاّم، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبى مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال فى حديث له: «... **والتسبيح والتكبير ملء السموات والأرض..**».

■ وعن تسبيح النمل، روى الإمام الترمذى عن أبى أمامة الباهلى أن النبى ﷺ قال: «**إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير**».

■ روى الإمامان أحمد وابن ماجه عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مُورِّق العجلىّ، عن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنى أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أطت وحقّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليها ملك ساجد لله تعالى...**» إلخ الحديث الشريف.

فذلك قول الله عز وجل: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾.

وتسبيح الحشرات وتسبيح النمل يدخل فى معنى الآية الكريمة.

التسبيح حال وعمل وقول ولغة:

■ روى الإمام أحمد عن إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**ائتونى بشىء من ماء، فأتى به فصبه فى إناء، ثم وضع كفيه فيه، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه**»، ثم قال: «**حى على الطهور المبارك، والبركة من الله**»، فملأت بطنى منه، واستسقى الناس، قال عبد الله: (كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل).

روى الإمام البخارى بنفس الإسناد:

كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فقل الماء. فقال: «**اطلبوا فضلةً من ماء**»، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده فى الإناء، ثم قال: «**حىّ على الطهور المبارك، والبركة من الله**»، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، قال: لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل».

(كنا نسمع تسبيح الحصى): أى فى ذلك الموقف فى مجلس رسول الله ﷺ، وله شاهد أورده البيهقي فى (الدلائل) من طريق قيس بن حازم، وروى عن أبى الدرداء وسليمان أنهما بينا هما يأكلان فى صحفة إذ سبّحت وما فيها، أى وما فيها سبّح أيضًا، قلت: وقد اشتهر تسبيح الحصى.

ففى حديث أبى ذر قال: (تناول رسول الله ﷺ سبع حصيات فسبحن فى يده حتى سمعت لها حنينًا، ثم وضعهن فى يد أبى بكر فسبحن، ثم وضعهن فى يد عمر فسبحن، ثم وضعهن فى يد عثمان فسبحن)، أخرجه البزار والطبرانى فى (الأوسط).

ومعنى الحديث أن الحصى يسبح الله تعالى سواء كان فى يد النبى أو فى يد غيره، فالله عز وجل فطر خلقه جميعًا على التسبيح له، فالطعام يسبّح الله تعالى، والحصى يسبّح أيضًا، والتسبيح بهذا المعنى كان قولاً.. كما كان تسبيح النمل قولاً كذلك.

تسبيح النمل بالقول:

ذكر الحديث النبوى الشريف تسبيح النمل تصريحًا، وذكر القرآن الكريم تسبيح النمل وغيره من المخلوقات توضيحًا فى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

كما ذكر القرآن الكريم تسبيح النمل كلامًا وقولاً فى قوله تعالى فى قصة النبى سليمان:

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٨، ١٩].

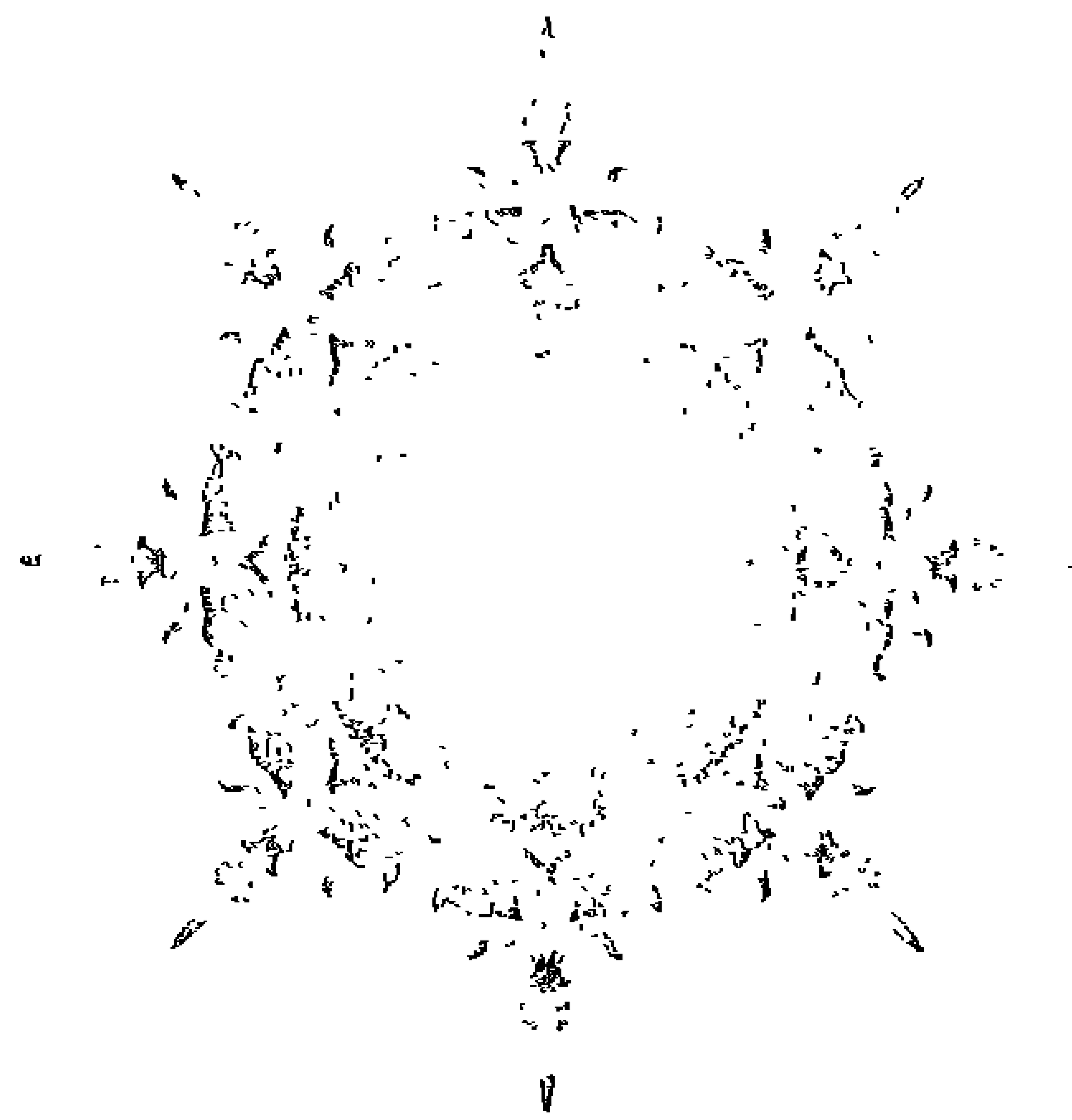
سار النبى سليمان عليه السلام بجنوده من الجن والإنس والطير، فأتوا على وادى النمل، وكان من الطبيعى أن تطأ أقدام الجنود النمل وهم لا يشعرون، لذلك سارعت ملكة النمل وأمرت النمل أن يدخلوا مساكنهم حتى لا تحطمهم أقدام الجنود، وأعطى الله تعالى القدرة للنبى سليمان على سماع قول النمل، كما علمه من قبل منطق الطير. فتبسم ضاحكًا من قول ملكة النمل، والتبسم قد يكون عن استهزاء، أو قد يكون عن تعجب، ولكن التبسم ضاحكًا يدل على الرضا والسرور، ولا يُسر نبى لأمر من أمور الدنيا، ولكنه يسر لأمر من أمور الدين، فما هو ذلك الأمر من الدين الذى أضحك النبى سليمان من قول ملكة النمل؟ إنه فى قولها: ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾، فقد أعطت العذر للنبى سليمان وجنوده، وهم يحطمون النمل، أى إنهم إذ يفعلون ذلك ليس عن قصد ولكن عن عدم الشعور بأنهم يحطمون النمل، وهذه التفاتة مؤمن، وهو نوع من التسبيح لله عز وجل.

وفى ذلك إشارة إلى لغة النمل مع بعضهم البعض، ولغة النمل على أشكال شتى:

بالصوت تارة، ويقرون الاستشعار تارة، وبالروائح أو الشفرة الكيماوية تارة، وقد ثبت حديثًا أن لكل نوع من المخلوقات الحية رائحة خاصة به، لا تكون لغيره أبدًا، وإذا بحثنا ذلك فى عالم النمل، فإننا نجد أن النمل يتميز برائحة خاصة به، لا تكون لغيره من المخلوقات أبدًا، حتى أن رائحة نمل كل عش (بيت)، تختلف عن رائحة نمل بيت آخر، ولو دخلت نملة غريبة ببيت نمل آخر، لتعرف عليها نمل البيت وطردها.

وعندما تعثر نملة على مصدر طعام، تقوم على الفور بإبلاغ باقى النمل بمكان الطعام، فيسرع النمل إلى مصدر الطعام، ويتعاون الجميع على نقل ذلك الطعام إلى بيت النمل.

إن النمل كأمة من الأمم تسبح الله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، تسبح الله فطرةً، وما من مخلوق فى السماوات والأرض إلا وهو مفطور على تسبيح الله تعالى.



النمـل الأبيض (الأرضــة)

■ أخرج الإمامان: ابن ماجه، وأحمد عن عبيد الله بن عمر الرَّقى، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبىّ بن كعب، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ يصلى إلى جذع إذ كان المسجد عريشًا. وكان يخطب إلى ذلك الجذع، فقال رجل من أصحابه: هل لك أن نجعل لك شيئًا تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس وتُسمعهم خطبتك؟ قال: «نعم»، فصنع له ثلاث درجات، فلما وُضع المنبر، وضعوه فى موضعه الذى هو فيه، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يقوم إلى المنبر، مرّ إلى الجذع الذى كان يخطب إليه، فلما جاوز الجذع، خار حتى تصدع وانشق، فنزل رسول الله ﷺ لما سمع صوت الجذع، فمسحه بيده حتى سكن، ثم رجع إلى المنبر، فلما هُدم المسجد وغُيِّر، أخذ ذلك الجذع أُبىٌّ بن كعب، وكان عنده فى بيته حتى بلى، فأكلته الأرضة وعاد رفاتًا.

■ عن جلال الدين السيوطى أخرج ابن أبى حاتم، عن ابن زيد رضى الله عنه قال: إن سليمان عليه السلام قال لملك الموت: إذا أُمرت بى فأعلمنى، فأتاه فقال يا سليمان لقد أُمرت بك (أى أمرت بقبض روحك)، فدعا سليمان الشياطين فبنوا له صرحًا من قوارير ليس عليه باب، فقام يصلى فاتكأ على عصاه، فدخل عليه ملك الموت، فقبض روحه وهو متكئ على عصاه، والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حى، فبعث الله دابة الأرض، فدخلت فى العصا فأكلتها، حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت، وثقل عليها، فخر ميتًا، فلما رأت الجن ذلك، انفضوا وذهبوا، فذلك قوله تعالى يحكى عن النبى سليمان: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

■ عن جلال الدين السيوطى، أخرج عبد بن حميد، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: مكث سليمان ابن داود عليه السلام حولاً متكئًا على عصاه، حتى أكلتها الأرضة فخر على الأرض.

■ وعن جلال الدين السيوطى (فى الدر المنثور): أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة رضى الله عنه قال: الأرضة أكلت عصاه فخر.

وقال ابن جرير عن السدى رضى الله عنه: (المنسأة) العصا بلسان الحبشة.

■ أخرج الإمامان: أحمد، وأبو داود عن معمر، عن الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن أبيه، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: (نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربع دواب: النملة والنحلة والهدهد والصُّرَد).

نَهْىُ رسول الله ﷺ عن قتل النمل الذى لا يسبب ضررًا بالإنسان، أما النمل الذى يسبب ضررًا بالإنسان، فالواجب قتله، والأرضة نمل يسبب ضررًا.

من أنواع الحشرات التى تشبه النمل ما يضر الإنسان، مثل النمل الأبيض (الأرضة)، ويوجد من هذا النمل ألفا نوع (٢٠٠٠ نوع) فى العالم، ويعيش فى أنفاق وسراديب طينية فى عمق تربة الأرض، ويعيش فى حياة اجتماعية منظمة.

ويتمثل ضرره للإنسان فى التهامه لجذور الأشجار وسيقانها، وبذلك يقضى عليها، كما يلتهم أثاث المنازل، والأخشاب المستعملة فى بناء جدران وأسقف المبانى، والنمل الأبيض يتغذى على السليولوز الموجود فى الخشب.

وحدث فى أستراليا أن أحد الرجال عاد إلى بيته، بعد أن غاب عنه لمدة أسبوع، وما إن جلس على أقرب مقعد، حتى تحطم المقعد وانهار من تحته، كأنما كان مصنوعًا من قش، وعندما تعلق بطاولة الطعام انهارت هى الأخرى، كما انهارت الأبواب، وانهار المنزل بكامله، وعُرف بعد ذلك أن النمل الأبيض التهم كل شيء فى المنزل كان مصنوعًا من الخشب.

كيف يتغذى النمل الأبيض:

لا يتغذى النمل الأبيض إلا على المواد النباتية، وتعيش أنواع عديدة منه على الخشب فقط، وهذا ما يجعلها من الحشرات المخربة شديدة الضرر، ونادرًا ما تخرج تلك الأنواع الآكلة للخشب إلى النور، إذ تعيش تحت سطح الأرض، وتحفر طريقها إلى جذع شجرة مقطوعة، أو قاعدة عمود خشبى، وتلتهم ما تصادفه من خشب، وهذا النوع هو الذى أكل عصا النبى سليمان الذى مات وهو متكئ عليها، فلما أكلت العصا خر النبى سليمان على الأرض.

وتبنى عشها فى دهاليز تنتشر تحت سطح الأرض كما تبنى دهاليز مغطاة فوق سطح الأرض بعيدًا عن العش، مثلما تمتد الطرق خارج المدينة.

عش النمل الأبيض:

تعتبر عشوش النمل الأبيض من المعالم الطبيعية العجيبة فى المناطق الاستوائية خصوصًا فى إفريقيا وأستراليا. وتبدو هذه العشوش كالبرج، الذي يصل ارتفاعه نحو سبعة أمتار، بينما يبلغ قطر القاعدة نحو خمسة عشر مترًا، ويصل إلى عمق عشرين مترًا تحت سطح الأرض!، كما تبنى عشوشًا أخرى بالأشجار، بينما توجد عشوش أنواع كثيرة من النمل الأبيض تحت الأرض.



بعض نماذج للأشكال العجيبة لعشوش النمل الأبيض (١) برج عال جدًا، (٢) عش يشبه إلى حد ما فطر عيش الغراب، (٣) عش مبنى فوق جذع شجرة ميتة، (٤) عش غير منتظم الشكل.

ويتكون البناء من الطين، أما العشوش فوق سطح الأرض فهى تبنى من الطين مع مواد لاصقة من لعاب الحشرة، وبذلك يتحول الطين إلى مادة شديدة الصلابة، ويتكون العش من الداخل من مجموعة من الأنفاق والدهاليز والحجرات؛ لذلك تعتبر الأرضة أمهر بنَّاء فى عالم الحشرات!

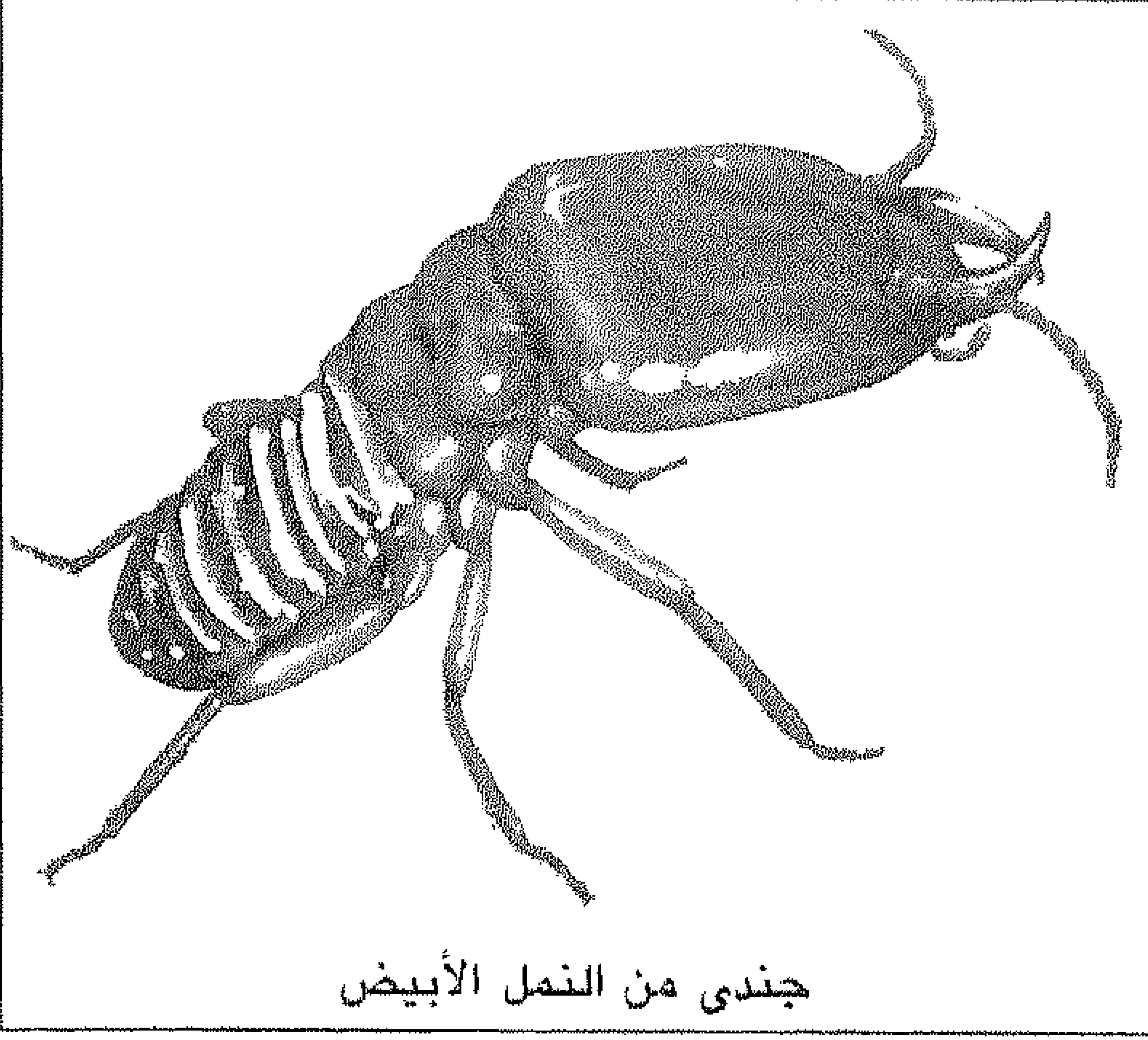
ويختلف النمل الأبيض عن أنواع النمل الأخرى، أنه أشدها ضررًا بالإنسان وبالأشجار والنباتات وبالمنشآت والمنازل الخشبية.. ويعيش فى أنفاق على أعماق كبيرة من سطح الأرض، ويبنى لنفسه بيوتًا مرتفعة فوق سطح الأرض، أما بيوت أنواع النمل الأخرى، فلا تصل أنفاقها إلا إلى عمق نحو المتر أو المترين فقط.

وبسبب الأضرار التى يسببها النمل الأبيض فقد أقيمت مراكز متخصصة فى كثير من الدول منها، فرنسا، وألمانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وأستراليا، والهند، من أجل القضاء على هذا النوع من النمل.

وعقدت ندوة فى نيودلهى سنة ١٩٦٠م بالتعاون مع هيئة اليونسكو العالمية، وكان من بين قراراتها: (دعوة هيئة اليونسكو W.H.O إلى تبنى فكرة إقامة وكالة دولية لمحاربة النمل الأبيض).

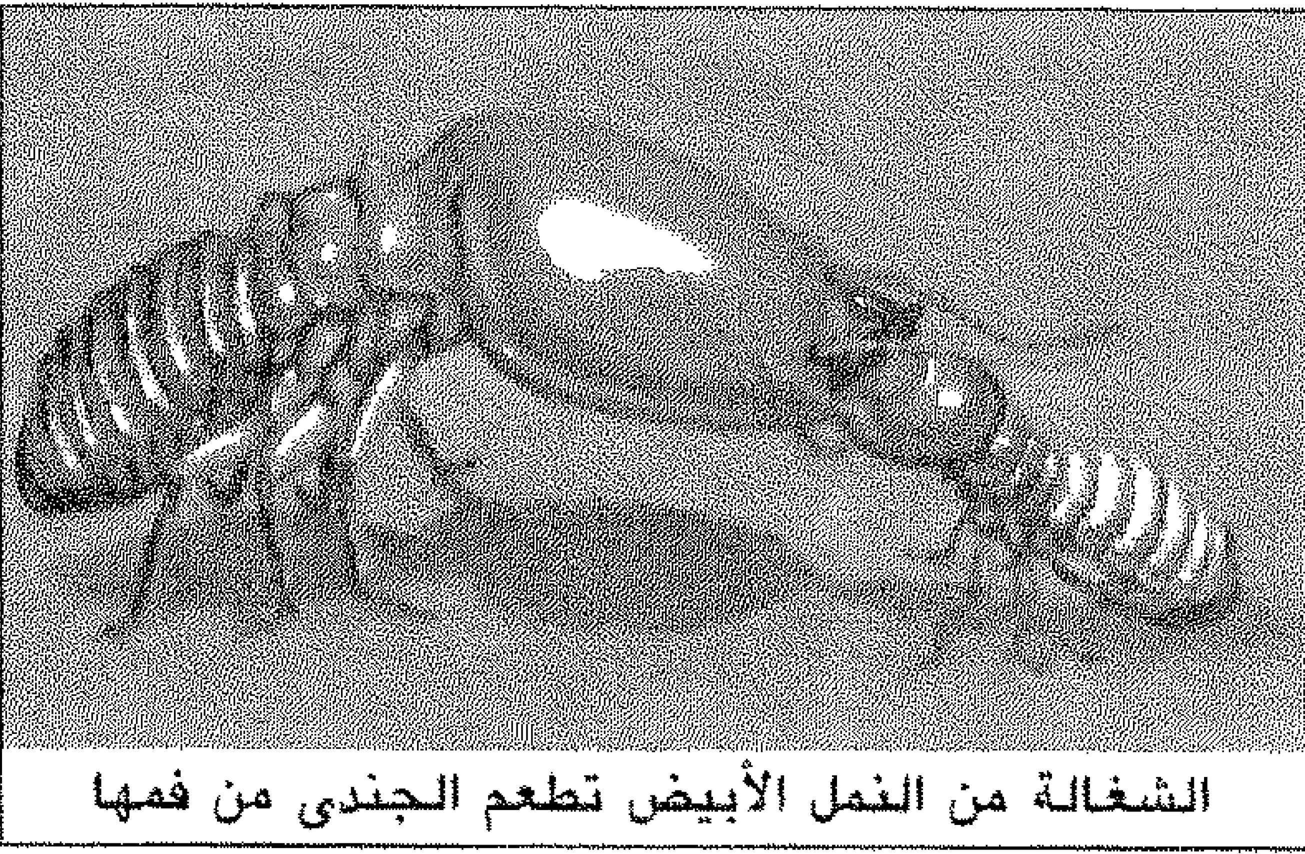
كيف يبدو النمل الأبيض؟:

له لون باهت، والجسم لين فيما عدا الرأس والفكوك فهى صلبة وبنية اللون، ويسمى (الأرضة) أى دابة الأرض أو حشرة الأرض Termite ، وهو يشبه النمل العادى، ويعيش فى مجتمعات كبيرة مثله، ومع ذلك لا يمت للنمل العادى بأى صلة، ولا ينتمى إلى مجاميع النمل على الإطلاق، وله رتبة خاصة به تعرف باسم متماثلة الأجنحة Isoptera . وتعتبر الصراصير أكثر الحشرات قربًا للنمل الأبيض، ودورة حياة النمل الأبيض تختلف عن دورة حياة النمل العادى، فهو لا يمر بطورى اليرقة والعذراء.



جندى من النمل الأبيض

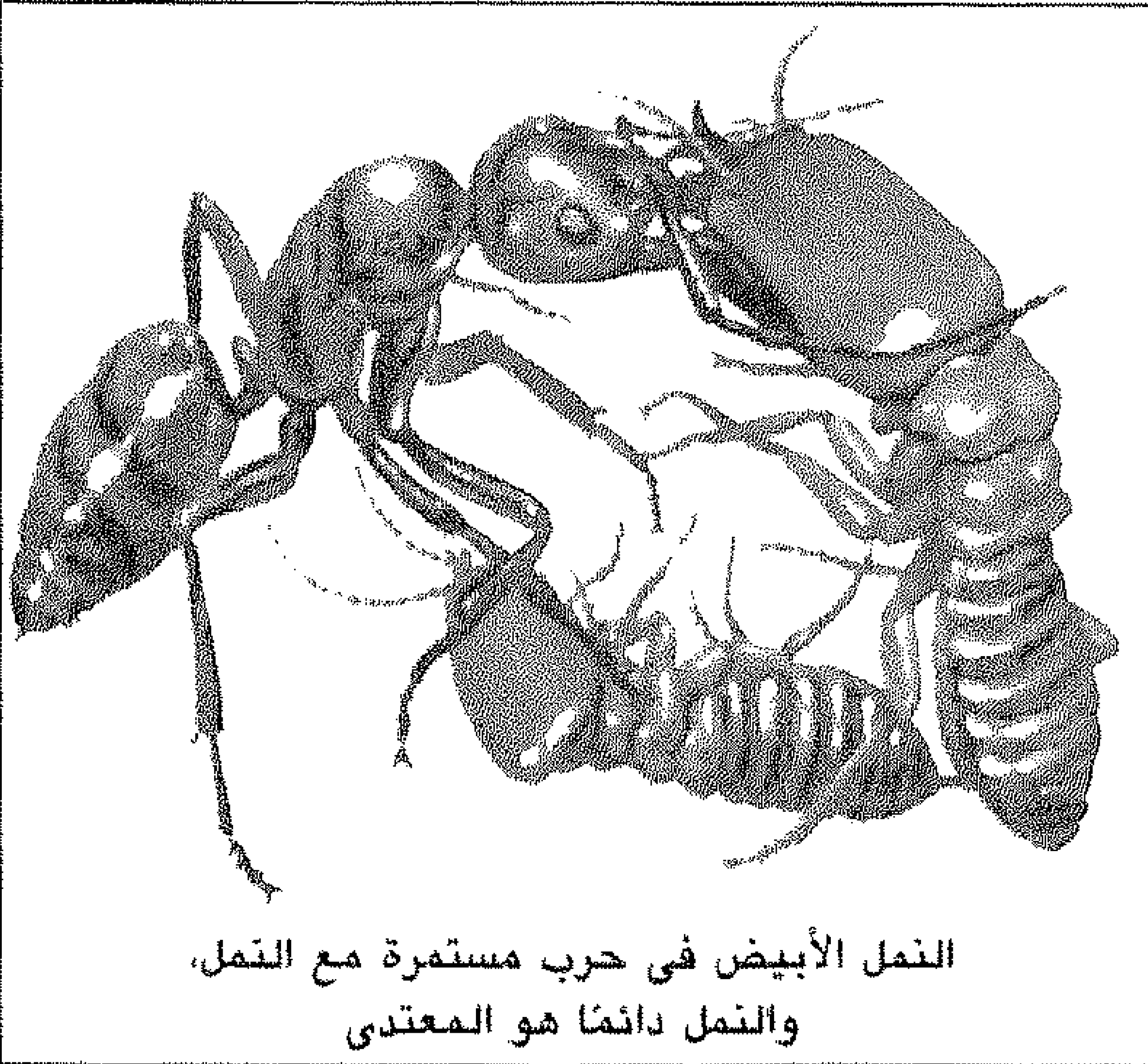
ومجتمعات النمل الأبيض (الأرضة) تعيش فى حياة اجتماعية (قبلية)، ويشبه نظام الحياة فى عشه، نظام الحياة فى عش أو أعشاش النمل العادى، فالشغالة تقوم بجميع الأعمال، وتتزاوج الملكة مرة واحدة فقط، ولا ترى بعدها زوجها أبدًا.



الشغالة من النمل الأبيض تطعم الجندى من فمها

ويتحور الفكان فى النمل الأبيض الذى يسمى (جندى النمل الأبيض) ليكونا ملائمين للقتال، لهذا لا يستطيع الجندى إطعام نفسه، ويعتمد على الشغالات لمدّه بالغذاء.

والنمل الأسود فى حرب دائمة مع النمل الأبيض فهما مثل القط والفأر، والنمل الأسود نمل مفترس وهو من أعدى أعداء النمل الأبيض، ويغير على النمل الأبيض ليستولى على يرقاته ويتغذى عليها، ونتيجة المعركة محسومة دائمًا فى مصلحة النمل الأسود المفترس.



النمل الأبيض فى حرب مستمرة مع النمل،
والنمل دائمًا هو المعتدى

ومجتمع النمل الأبيض يشبه إلى حد بعيد مجتمع النمل العادى:

فهو مكون من شغالة وذكور وملكة، والملكة أكبر النمل حجمًا نظرًا لضخامة بطنها بشكل مدهش؛ لأنه يحتوى على ملايين البيض، وتتضخم بطن الملكة كثيرًا لامتلائها بالبيض ويصل طولها إلى عشرة سنتيمترات!

والملكة تضع نحو مليون بيضة فى العام، وحجم الملكة أكبر كثيرًا من حجم الشغالات والذكور، ويصل إلى مائة ضعف فى الحجم، ويفقس البيض عساكر وذكورًا وشغالات.

وتعيش ملكة النمل الأبيض لأكثر من خمس إلى خمس عشرة سنة، وبعض أنواعها تصل إلى عمر عشرين عامًا.



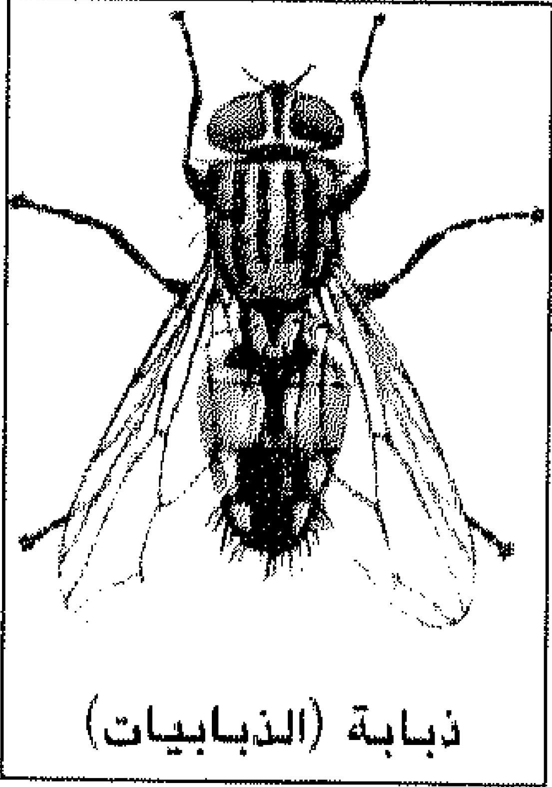
ملكة النمل الأبيض فى أحد دهاليز العش وحولها وصيفاتها الشغالة وبعض الذكور من الجنود



الـــــــذبـــــــاب

الـــذبـــــاب

■ أخرج الإمام أحمد عن الأسود بن عامر، عن شريك، عن عمارة بن القعقاع، عن أبى زرعة، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال يحكى عن ربه: «**ومن أظلم ممن خلق خلقًا كخلقى فليخلقوا مثل خلقى ذرة أو ذبابة أو حبة**».


ذبابة (الذبابيات)

الحديث الشريف يلفت نظر الناس إلى حقيقة غابت عنهم قديمًا، إلا أنهم أيقنوا بها فى عصر العلم الحالى، فعلماء الذرة يجدون أن فى إعجاز خلقها ما يحير عقولهم ويوضح لهم أن الإعجاز فى خلقها يتساوى مع الإعجاز فى خلق الشمس وكواكبها، كما قال الحسن: (إذا فلقت الذرة وجدت فى قلبها شمسًا)، وكذلك علماء الحشرات يجدون فى خلق الذبابة أسرارًا فى الخلق تتساوى مع أسرار خلق الحصان أو الجمل، وذلك أن الله تعالى أحسن كل شىء خلقه.


رأس ذبابة مكبرة

■ أخرج الإمام أحمد، عن أبى كامل ويزيد، عن المسعودى عن الحسن بن سعد، عن عتبة النهدى، عن عبد الله بن مسعود، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لم يحرم حرمة إلا وقد علم أنه سيَطَّلِعُها منكم مُطَّلِعٌ. ألا وإنى ممسك بحجزكم أن تهافتوا فى النار كتهافت الفراش والذباب**».

«**أن تهافتوا فى النار كتهافت الفراش والذباب**».

لأن الفراش والذباب يتجهان إلى الضوء بطبعهما، يحسب كلاهما أن فيه الملجأ والملاذ له، فيلقى نفسه فيه، فيحترق فيه، والسر فى ذلك أن الذباب لا عقل فيه، والفراش كله كذلك، والناس يندفعون ويتدافعون فى الوقوع فى المعاصى، وبالتالى يلقون بأنفسهم فى النار، وكأنهم لا عقول لهم مثل الفراش والذباب.

وبعث الله تعالى رسول الله ﷺ هاديًا للناس ومعلمًا وناصحًا لهم أمينًا، يعلمهم ويزكيهم ويبين لهم الطريق الذى يؤدى إلى الجنة ويوصيهم بالسير فيه، ويبين لهم الطريق الذى يؤدى إلى النار فيحذرهم منه، إلا أنهم يجدونه طريقًا مفروشًا بمتع الحياة وزينتها فيندفعون فيه، والرسول ﷺ آخذ بحجزهم يمنعهم من الوقوع فى النار، وهم يتهافتون فيها تهافت الذباب والفراش.

وما كان ينبغى على الإنسان أن يفعل كما يفعل الذباب، وكما يفعل الفراش، بكل طوائفه وأنواعه، والتى لم يمنحها الله العقل، ولم يكرّمها كما كرم الإنسان.

«**ومن أظلم ممن خلق كخلقى**»: أى ممن حاول أن يصنع شيئًا يشبه خلقى.

«**فليخلقوا مثل خلقى ذرة أو ذبابة أو حبة**»: إنه أسلوب تحد، يتحدى الله به خلقه أن يخلقوا ذرة، ولن يستطيعوا، بل ولن يقدروا على تصور خلق الذرة، وتخيل عظمة خلقها؛ لأن عقل الإنسان لا يستطيع تخيل سرعة دوران الإلكترونات حول نواة الذرة أنها سبعة آلاف مليون مليون دورة فى

الثانية!!، فإذا عجز الإنسان عن مجرد تخيل ماهية الخلق، فأنى له أن يخلق مثل ما خلق الله.. الاستحالة هنا استحالة مطلقة.

«**أو ذبابة**»: إن الإبداع فى خلق الذبابة يتساوى مع الإبداع فى خلق الإنسان، لأن إبداع الله تعالى فى خلقه مطلق، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ فالإبداع فى خلق الذبابة كالإبداع فى خلق أى خلق مهما كبر وعظم.

«**أو حبة**»: إن الإعجاز فى خلق حبة، لم يصل العلماء إلى فهم كل أسراره حتى الآن، ولن يصلوا إلى ذلك، لأنهم مهما وصلوا إلى شىء من العلم فيها، وجدوا أنفسهم مازالوا على شاطئ العلم فيها!

«**تهافتوا فى النار كتهافت الفراش والذباب**»: «**تهافتوا**» أى تساقطوا، لأن من طبيعة الذباب والفراش والهوام جميعًا، الانجذاب إلى مصدر الضوء القريب منهم، يحسبونه ضوءًا مبهرًا، فإذا فيه هلاكهم، تمامًا كتهافت الناس فى النار، إنهم يتهافتون فى المعاصى ويظنونها متعة لهم وارتياحًا، وما علموا أنها ضياعٌ لهم وهلاكٌ.

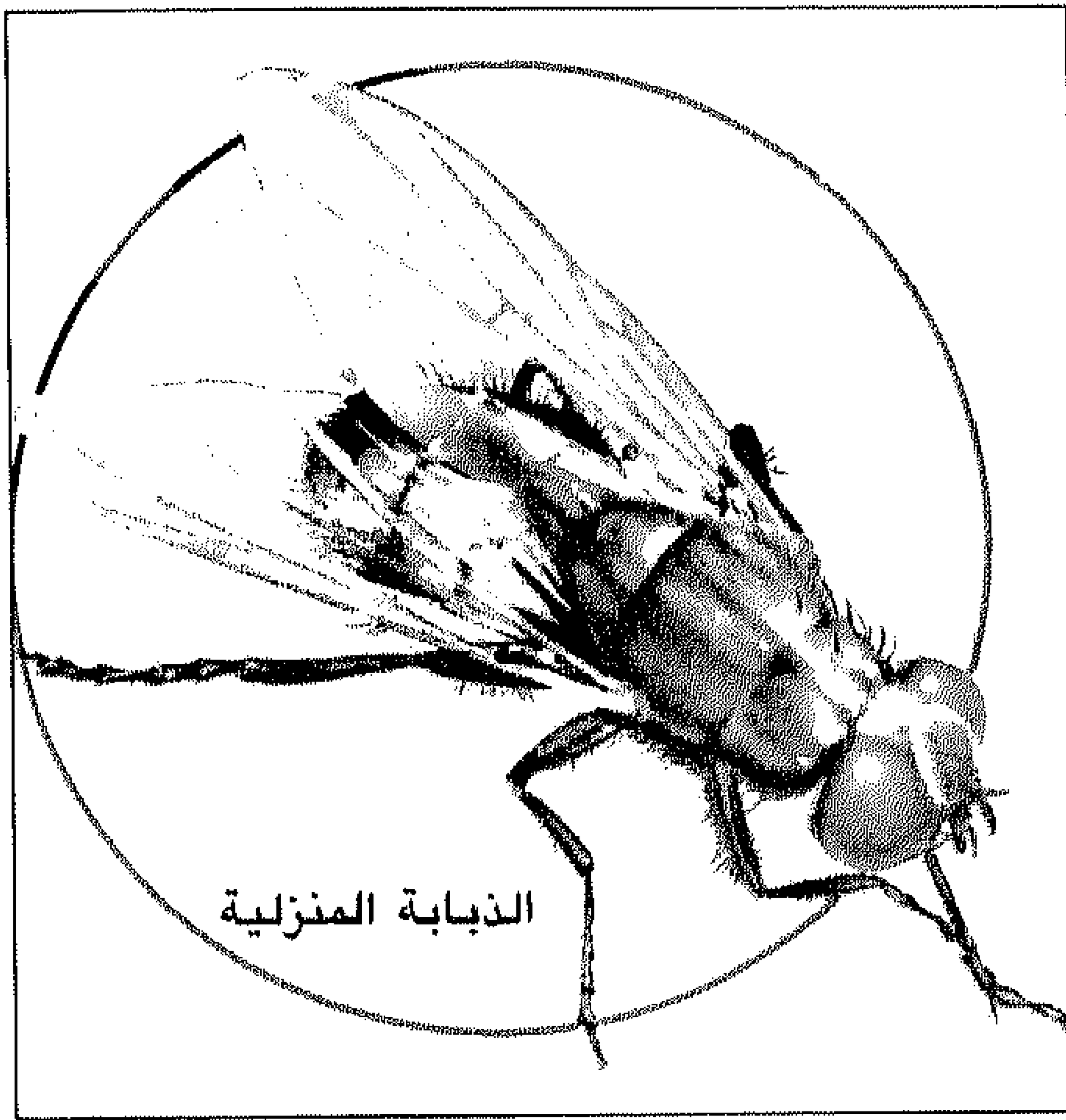
حشـرة الذبــاب

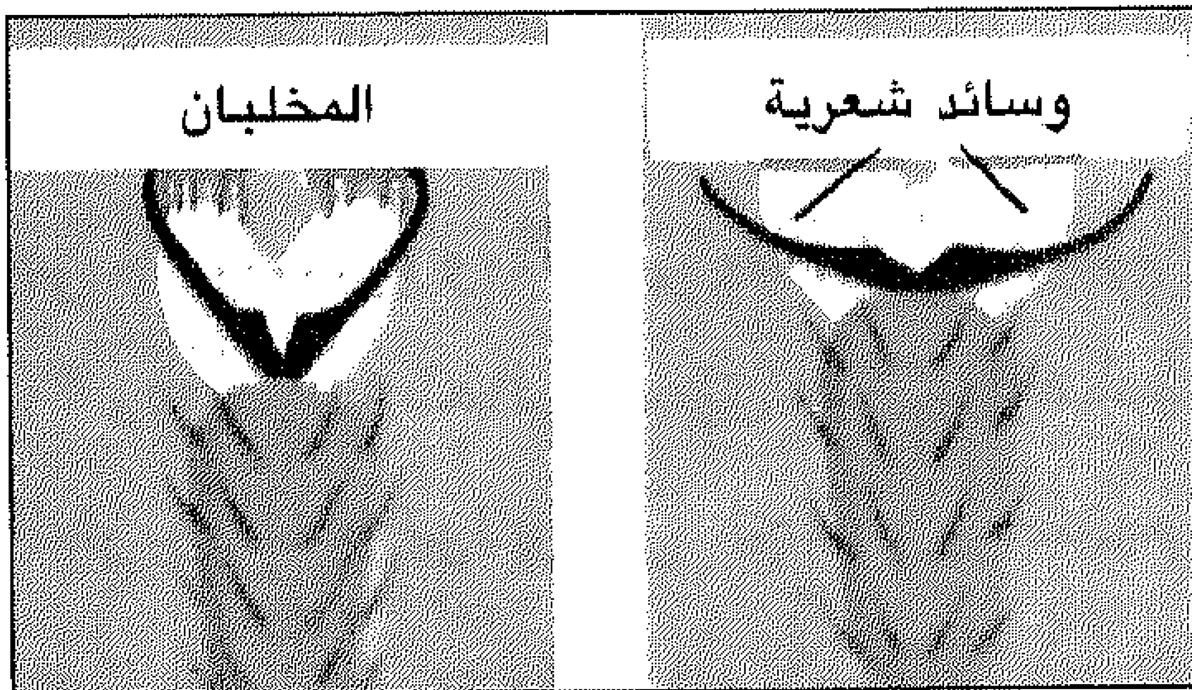
الذبابة آكلة ومأكولة، آكلة للقاذورات والأطعمة الملقاة فى القمامة، كما أنها تقع على أى طعام أو شراب فى المنزل. وهى مأكولة لبعض الحيوانات الأليفة الصغيرة، وأغلب الحشرات لا تؤذى الإنسان إلا أن من الحشرات ما يؤذى مثل الذباب والبعوض والبراغيث والبق وعثة الفراش.

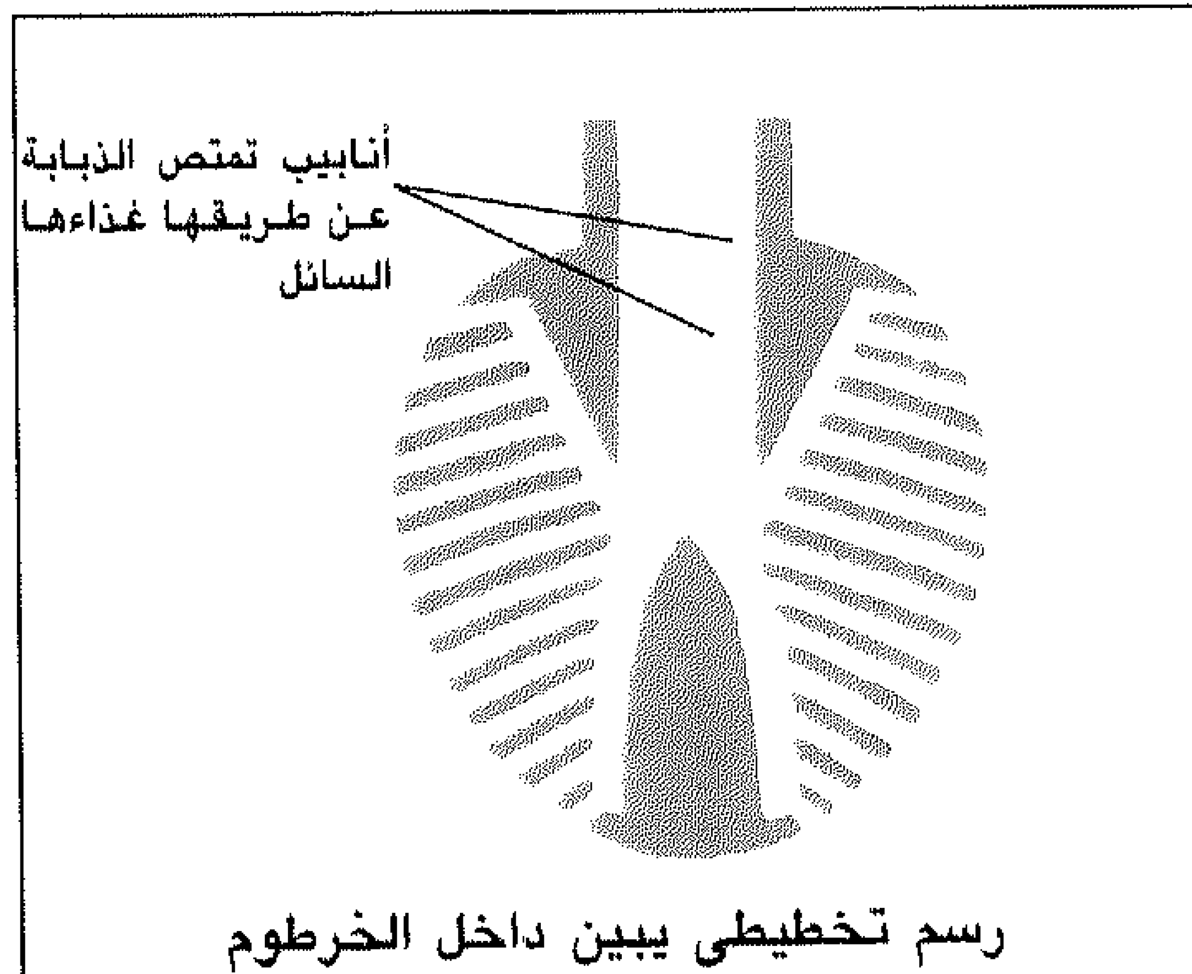
والذبابة تقع على القاذورات والقمامة وأى فضلات وأى بصاق على الأرض لذلك تتعلق الجراثيم بأرجلها، فإذا وقعت على طعام أو شراب، لوثته بتلك الجراثيم وسببت أمراضًا كثيرة مثل الكوليرا، والتيفود، والدوسنتاريا، وسل الأمعاء، وغيرها من الأمراض.

وإذا وقعت على طعام صلب، فإنها تفرز لعابها عليه من خرطومها، فتذيب جزءًا من ذلك الطعام الصلب، ثم تمتصه بخرطومها، كما أن أرجل الذبابة وسائد لزجة تمكنها من الصعود على النوافذ، أو السير على السقف وهى مقلوبة، وإذا أرادت فك أقدامها، فإنها تدفعها بزوج من المخالب.

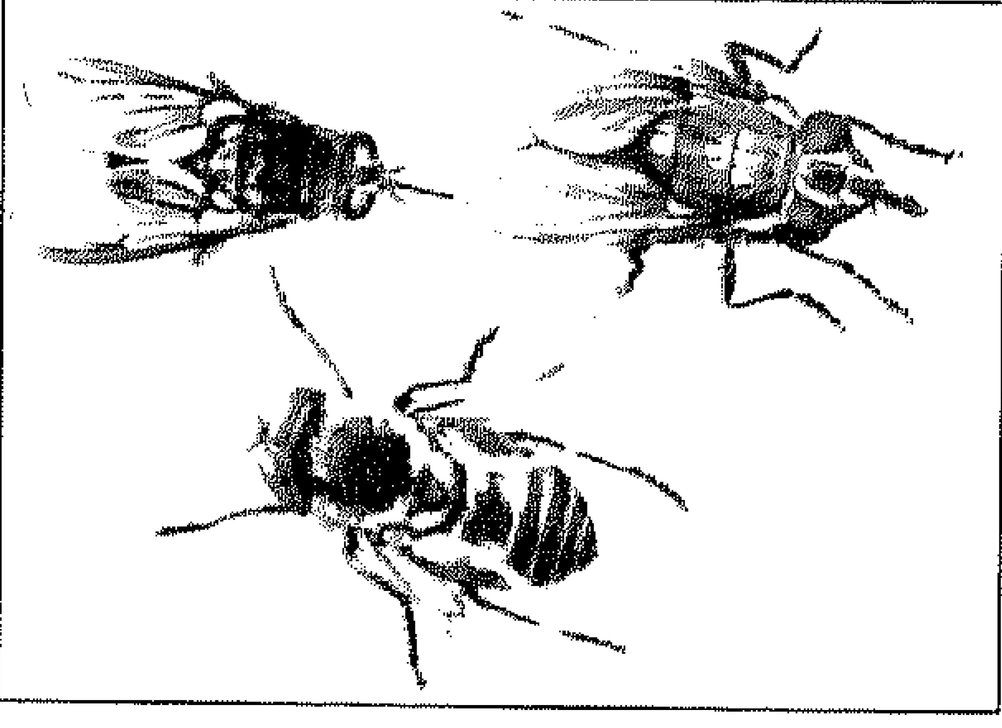
وعين الذبابة: تشبه عيون النحلة، فهى عين مركبة من آلاف الأعين، لذلك تستطيع الذبابة أن ترى جيدًا كل ما حولها، ولها زوج قصير من قرون الاستشعار، يتأثران بكل المؤثرات التى حولها، من حركة، أو صوت، أو مواد كيماوية.





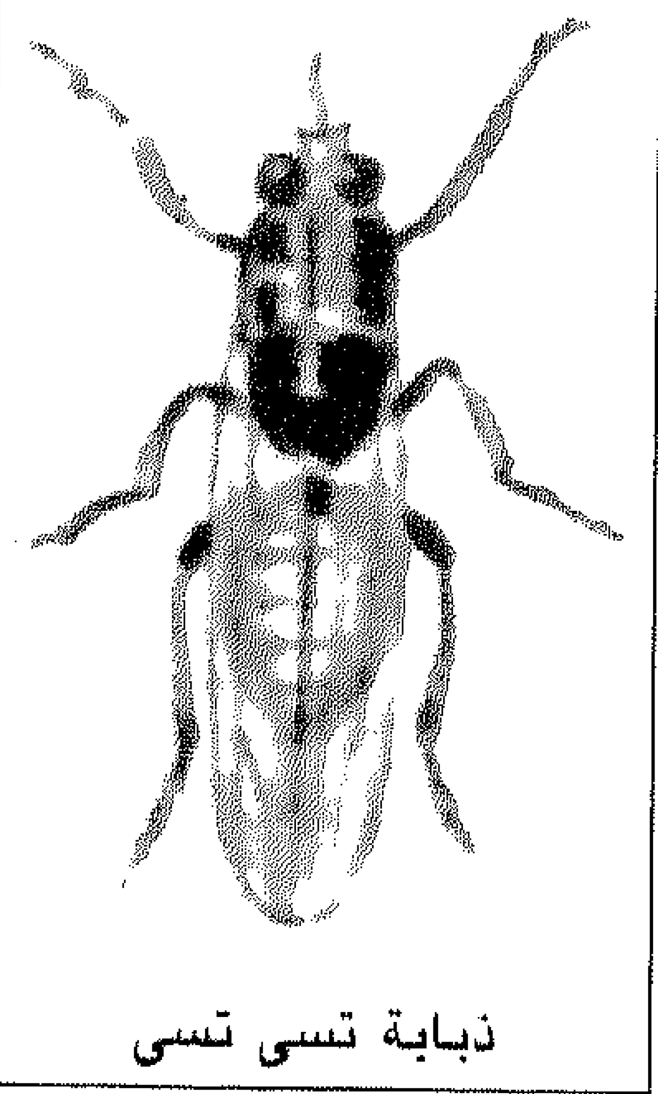


رسم تخطيطى يبين داخل الخرطوم



وجسمها مكون من رأس وصدر تتصل به ثلاثة أزواج من الأرجل وجناحان، وبطن. والحشرات ذوات الجناحين أنواع كثيرة: تصل إلى المائة ألف نوع!

وبيض الذبابة مائل للطول، أبيض اللون، تضعه الذبابة فى القمامة، وتبيض نحو ١٥٠ بيضة فى المرة الواحدة، وتستطيع الذبابة الواحدة أن تنتج ١٥٠٠ ذبابة كل شهرين تقريبًا.


ذبابة تسى تسى

أنواع الذباب:

وتوجد أنواع كثيرة من الذباب:

١ـ أخطرها ذبابة تسى تسى: توجد فى إفريقيا الاستوائية وتنقل طفيل مرض النوم المميت.

٢ـ الذباب المنزلى: الذى ينقل الكثير من الأمراض.

٣ـ الذبابة الزرقاء: تضع بيضها على اللحم، وخصوصًا لحوم المَيْتَة.

٤ـ ذبابة الحصان: وتقع على سبلة الخيل.

من أهم الأمراض التى يسببها الذباب

١ـ مرض النوم الإفريقى Sleeping Sickness:

يسببه طفيل من نوع المثقبات، على شكل دودى وله زائدة سوطية يتحرك بواسطتها. وينقله إلى دم الإنسان ذبابة تسى تسى التى تستوطن إفريقيا الاستوائية، جنوب الصحراء الكبرى، ويؤثر ذلك الطفيل على الجهاز العصبى المركزى تأثيرًا عنيفًا.

وعندما تلدغ الذبابة الجسم بفمها الذى يشبه الإبرة المجوفة، يتورم مكان اللدغة ويحمر، وبعد ذلك تتورم الغدد الليمفاوية الموضعية تضخمًا كبيرًا، وسرعان ما تظهر الأعراض الأخرى للمرض، وهى ارتفاع درجة الحرارة والقشعريرة والصداع الشديد، وإذا لم يعالج المريض فى هذا الطور من المرض، يدخل فى النوم الذى ينتهى غالبًا بالوفاة.

وذبابة تسى تسى الناقلة لمرض النوم الإفريقى تتغذى على الدم، شأنها شأن البعوضة الناقلة لمرض الملاريا، ولهذه الذبابة القاتلة نوعان: نوع يطلق عليه اسم جامبيا، ونوع يطلق عليه اسم روديسيا، يهاجم نوع منهما الإنسان، ويهاجم نوع منهما الدواب.

وتُكافَح تلك الذبابة بالمبيدات، وبطرق أخرى مثل الإشعاع الذى يسبب تعقيم الذكور فينقطع نسل تلك الذبابة.

والمناطق الموبوءة تصل مساحتها إلى عشرة ملايين كيلو متر مربع، وتجتاحها ـ بسبب المرض ـ المجاعات، وقلة الأرزاق والمزروعات والتربية الحيوانية؛ لذلك فإن مكافحة الذبابة لا تقضى على المرض فى الإنسان فحسب، ولكنها تقضى على الفقر والمجاعات أيضًا.

٢ـ حمى التيفويد:



هى نتيجة العدوى بجرثومة المرض التى اكتشفت عام ١٨٨٠م.

وطول الجرثومة $\frac{١}{٢٥٠}$ من المليمتر. وعرضها $\frac{١}{٢٠٠٠}$ من المليمتر. وبالرغم من صغر حجم الجرثومة فإن لها شعيرات تتحرك بواسطتها، وتهاجم الجهاز الهضمى، وتخرج فى براز المريض.

وتنتقل العدوى بواسطة يد المريض نفسه ـ إذا لم يغسلها جيدًا ـ أو بواسطة الذباب المنزلى الذى يقع على براز المريض المحتوى على الجراثيم.

ويشكو مريض التيفويد من ارتفاع درجة الحرارة، وصداع، وآلام بالبطن، مصحوبة بإسهال أو بإمساك، ويظهر على الجلد طفح وردى من اليوم السابع إلى العاشر من المرض، كما يشكو المريض من ضعف عام ودوخة، ويبتدئ المريض فى التحسن بعد أربعة أسابيع إلا إذا عولج فينتهى المرض بعد أيام من العلاج.

وأهم طرق الوقاية: التخلص من البراز بطريقة صحيحة، وعدم تعرضه للذباب، وتجنب وصول البراز إلى موارد مياه الشرب، ومكافحة الذباب، والتطعيم.

وهنا نتذكر الحديث النبوى الشريف الذى أخرجه الإمامان أبو داود، وابن ماجه، عن نافع، عن ابن شريح، عن أبى سعيد الحُميرى، عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد والظل وقارعة الطريق**».

الملاعن الثلاث: أى الأفعال الثلاثة التى يُلعن صاحبها؛ وهى التبرز فى موارد الماء، وقارعة الطريق والظل، البراز فى الموارد ينقل مرض التيفويد وغيره من الحميات المعوية. والبراز فى قارعة الطريق والظل يقع عليه الذباب، وينقل الكثير من الأمراض للإنسان.

ولم تكن طرق انتقال هذه الأمراض معروفة إلا بعد عصر النبوة بأكثر من اثنى عشر قرنًا من الزمان، فى عصر ما بعد اختراع الميكروسكوب العلمى، وتقدم علم الميكروبات على يد العالم باستور وتلامذته والإعجاز العلمى فى الحديث النبوى واضح كل الوضوح!

٣ـ حمى الباراتيفويد:

تشبه حمى التيفويد كثيرًا، إلا أنها أخف منها وطأة، وأقل منها مضاعفات.

الأمراض الأخرى التى ينقلها الذباب:

١ ـ الكوليرا.

٢ ـ الزحار (الدوسنتاريا).

٣ـ الرمد الحبيبى والصديدى.

٤ـ النزلات المعوية بأنواعها المختلفة.

٥ـ السل المعوى.

الكوليرا:

مرض يسببه ميكروب نشيط الحركة، وله زائدة دقيقة تساعده على الحركة، ولميكروب الكوليرا أنواع متعددة، وتعتبر منطقة غرب البنغال هى الأرض الأم للكوليرا، ومنها يبدأ وباء الكوليرا ليشمل مساحات واسعة من العالم، فى جميع القارات.

وتوجد ميكروبات الكوليرا فى براز المريض، فإذا تبرز فى موارد الماء لوثها بالميكروب وينتقل المرض لمن يشرب من هذا الماء، وإذا تبرز فى العراء وقع عليه الذباب، وتعلق بأرجله، وبعد ذلك يقع الذباب على الأطعمة فى الأسواق والمنازل فيلوثها، فتصير هذه الأطعمة مصدرًا للعدوى بمرض الكوليرا.

ومن علامات هذا المرض: أن له فترة حضانة من ١ ـ ٥ أيام وبعدها يبدأ الإسهال ببراز مائى بكميات كبيرة جدًا، تسبب جفافًا بالجسم، وغالبًا يكون القيء مصاحبًا للإسهال، وإذا لم يسعف بالعلاج بإعطائه سوائل بالوريد، وغذاء ومضادات حيوية، فإنه سرعان ما يموت، والجسم فى حالة جفاف شديد.

الزحار (الدوسنتاريا):

ميكروب المرض يوجد فى براز المريض، وبالتالى ينقله الذباب، وقد ينتقل بواسطة الإنسان إذا لم يغسل يديه جيدًا بعد قضاء الحاجة، ومن أهم علامات المرض الدوسنتاريا الحادة، وخروج براز مدمم مع مخاط كثير، وعملية التبرز تكون مصحوبة بآلام شديدة.

والدوسنتاريا أنواع من أهمها:

١ـ الدوسنتاريا الباسيلية. ٢ـ الدوسنتاريا الأميبية.

الدوسنتاريا الباسيلية Bacillary Dysentery:

وتنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية، تختلف فى شدة الأعراض، وتكثر فى المناطق الاستوائية حيث يكثر الذباب.. وأعراض المرض تختلف شدتها باختلاف نوع الميكروب المسبب للدوسنتاريا إلا أن الأعراض الرئيسية هى: إسهال، وآلام أثناء التبرز، ومغص بالبطن، وبراز مدمم يحتوى على قيح، وترتفع درجة حرارة الجسم، ويشكو المريض من ضعف عام، ومن أهم المضاعفات التهاب بالمفاصل، والتهاب بقزحية العين، والعلاج بقتل الميكروب بالمضادات الحيوية مع تعويض السوائل التى فقدها الجسم، وفى الحالات الشديدة فى البلاد الاستوائية حيث لا يتوفر العلاج، قد تحدث الوفاة بعد أيام قلائل.

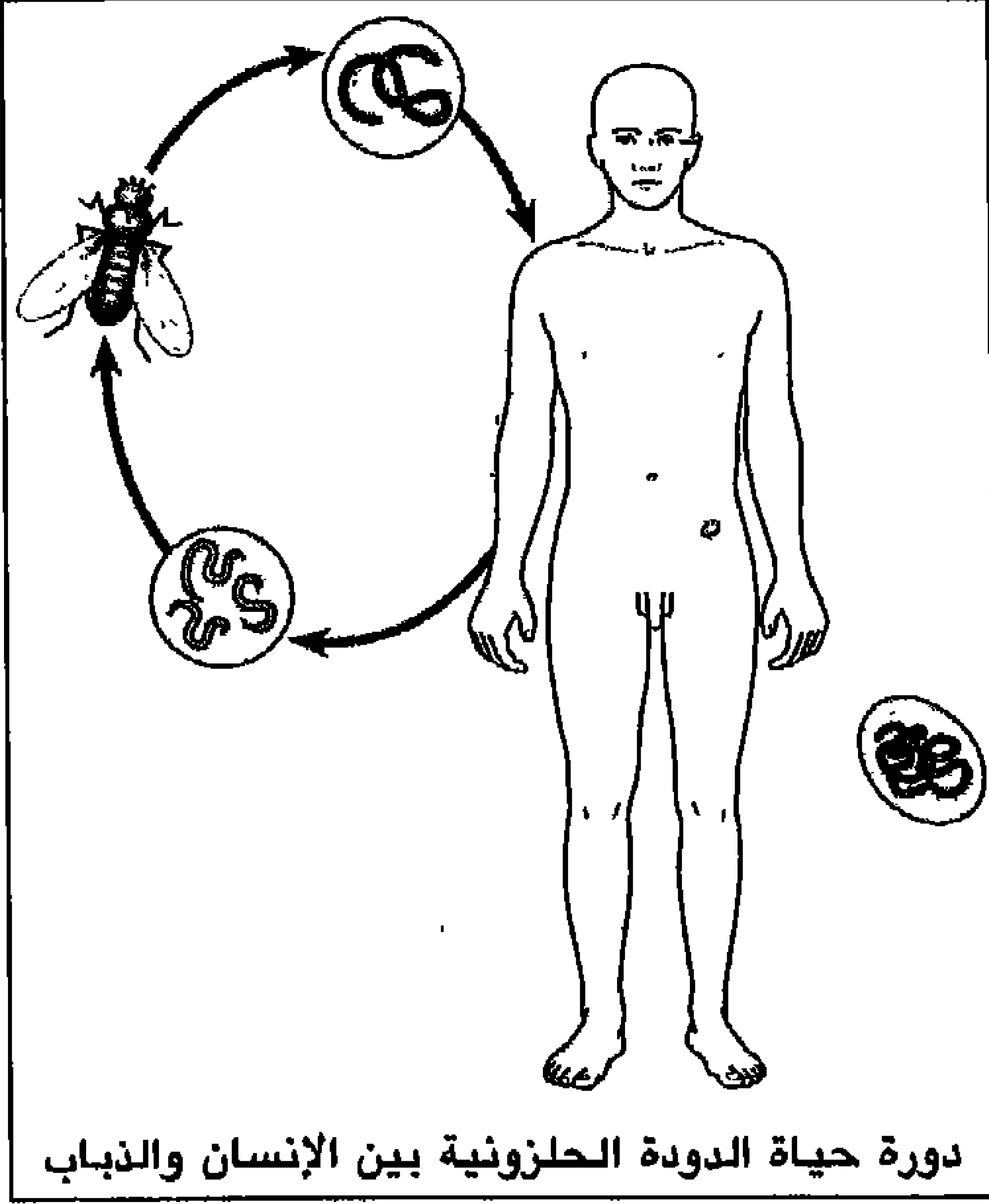
الدوسنتاريا الأميبية Amoebic Dysentery:

هى إسهال مدمم أيضًا، ولكنه بسبب طفيل هو نوع من الأميبا، والبراز يكون مصحوبًا بقيح ومخاط كثير، وله رائحة كريهة، ويشكو المريض أيضًا من آلام بالبطن فى منطقة القولون، وقد يحدث خراج بالكبد، والتهاب كبدى أميبى، ويعالج فى الطب بأدوية تقتل الأميبا.

مرض عمى النهر (داء الديدان الحلزونية) Onchocerciasis:

هو مرض ينتقل بواسطة الذباب الأحدب، أو الذبابة السوداء (Simulium) والذبابة صغيرة الحجم جدًا (فى حجم رأس الدبوس)، وطول الدودة الأنثى نحو نصف سنتيمتر، أما قطرها فهو ٠,٣ من المللى، أما الدودة الذكر فأقل فى الطول من الدودة الأنثى، وتنتقل الإصابة بتلك الدودة من إنسان مريض إلى إنسان سليم بواسطة لدغة الذبابة التى تعيش على امتصاص دم الإنسان، وبذلك تصل اليرقات المعدية للدودة إلى الغدد اللعابية فى الذبابة، فما تلدغ إنسانًا بعد ذلك إلا أعدته بتلك اليرقات، وتعيش تلك الذبابة فى إفريقيا الاستوائية وجنوب الجزيرة العربية، ودول شمال أمريكا الجنوبية على شواطئ الأنهار. وتلدغ الذبابة الإنسان أثناء النهار فقط، وتنمو كل يرقة إلى دودة بالغة، تستقر فى جسم الإنسان المريض وتكوّن حولها ورمًا؛ لذلك نجد الإنسان الذى لدغته الذبابة

المعدية يشكو من عدد من الأورام تحت الجلد، وكل ورم يحتوى على دودة حلزونية كاملة النمو، وتنتج هذه الديدان يرقات معدية تتحرك فى أنحاء الجسم، حتى تصل إلى العين، وقد تسبب العمى، وكثير من الناس فى المناطق الموبوءة بتلك الذبابة، فقدوا بصرهم، وتصل اليرقة المعدية تحت الجلد فتنمو إلى الدودة البالغة بعد ٣ ـ ٤ شهور، وتكوّن حويصلة، تظهر على شكل ورم تحت الجلد، وتضع الدودة الأنثى يرقات معدية، تنطلق تحت الجلد ومنها إلى أعضاء الجسم وخصوصًا العين، فإذا ماتت اليرقات فى العين، فإنها تسبب العديد من الأمراض فى العين، تنتهى غالبًا بالعمى، ولذلك يسمى المرض أحيانًا، مرض العمى النهرى ـ أو عمى النهر.


دورة حياة الدودة الحلزونية بين الإنسان والذباب

والعلاج:

١ـ مقاومة تلك الذبابة ومحاولة القضاء عليها.

٢ـ تناول الأدوية التى تقتل اليرقات.

٣ـ استئصال الحويصلات التى تحتوى الدودة البالغة ـ وهى تحت الجلد وظاهرة ويمكن استئصالها بسهولة.

الإصابة بالدودة الحوامة Loa Loa:

تنتقل بواسطة ذبابة تسمى Chrysops أى (الذبابة ذات القرون) أو (الذبابة ذات العيون الذهبية) وهى ذبابة تعيش على امتصاص دم الإنسان، وتستوطن وسط وغرب إفريقيا فقط على شواطئ الأنهار حيث الحرارة مرتفعة، والرطوبة عالية، ويمتص هذا الذباب دم الإنسان أثناء النهار فقط، وأثناء ذلك تنتقل اليرقات من دم الإنسان إلى الذبابة، فإذا لدغت إنسانًا بعد ذلك فإنها تنقل يرقات الدودة إليه.

ويشكو المصاب بتلك الدودة من إحساس حركة تلك الديدان تحت جلده، فهذه الديدان جوالة داخل الجسم لا تهدأ أبدًا، وقد تصل إلى ما تحت ملتحمة العين، فتُشاهد تجرى تحت ملتحمة العين!

طول الدودة البالغة ستة سنتيمترات، وقطرها أقل من نصف ملليمتر، ولا تسبب ضررًا بجسم الإنسان، ويرقات هذه الدودة تتحرك بنشاط فى دم الإنسان، إلا أنها تختفى من الدم أثناء الليل! وما إن يطلع النهار، حتى تعود إلى الدم من جديد!.. أما لماذا تترك الدم أثناء الليل وتعود إليه أثناء النهار، فلا يدرى أحد السر فى ذلك.

حديث الذبابة

ذكر حديث الذبابة ووقوعها فى طعام الإنسان وشرابه على ثلاثة أوجه:

وقوعها فى الشراب، ووقوعها فى الطعام، ووقوعها فى الإناء.

وقوعها فى الشراب:

■ أخرج الإمام ابن ماجه عن مسلم بن خالد، عن عتبة بن مسلم، عن عبيد بن حنين، عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ قال: «**إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه فيه، ثم ليطرحه، فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء**».

وقوعها فى الطعام:

■ أخرج الإمام ابن ماجه عن يزيد بن هارون، عن ابن أبى ذئب، عن سعيد بن خالد، عن أبى سلمة، عن أبى سعيد، أن رسول الله ﷺ قال: «**فى أحد جناحى الذباب سم، وفى الآخر شفاء، فإذا وقع فى الطعام فامقلوه، فإنه يُقدّم السم، ويُؤخر الشفاء**».

وقوعها فى الإناء:

■ أخرج الإمامانَ أبو داود وأحمد، عن بشر بن مفضل، عن ابن عجلان، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم، فإن فى أحد جناحيه داء، وفى الآخر شفاء، وإنه يتقى بجناحه الذى فيه الداء، فليغمسه كله**».

■ أخرج الإمام أحمد بنفس الإسناد: «**إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه، فإن فى أحد جناحيه شفاء، وفى الآخر داء**».

■ أخرج الإمام أحمد، عن ليث، عن محمد، عن القعقاع، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ قال: «**إن الذباب فى أحد جناحيه داء، وفى الآخر شفاء، فإذا وقع فى إناء أحدكم فليغمسه ـ فإنه يتقى بجناحه الذى فيه الداء ـ ثم يخرجه**».

■ وأخرج الإمام البخارى عن إسماعيل بن جعفر، عن عتبة بن مسلم مولى بنى تميم، عن عبيد بن حنين مولى بنى زريق، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه، فإن فى أحد جناحيه داء، وفى الآخر شفاء**».

كثر الجدل حول (حديث الذبابة) من قبل بعض المشككين فى السنة المشرفة الذين زعموا أنه حديث لا يقبله عقل العلماء، وإلى هؤلاء نقول إن لهذا الحديث الشريف أكثر من وجه من وجوه العلم:

الوجه الأول:

أحاديث رسول الله ﷺ لم تنزل لطبقة من الناس دون غيرهم من الناس، ولكنها نزلت تخاطب الناس جميعًا على اختلاف مستوياتهم العلمية والفكرية والاجتماعية، والفقراء منهم والأغنياء، وكذلك نزلت تخاطب الناس فى كل العصور، كل عصر يفهم من الحديث النبوى الشريف على قدر فهمه وتقدم العلم فيه.

وفى رأينا أن هذا الحديث الشريف نزل للفقراء من الناس، الذين لا تجد الأسرة منهم طعامًا إلا إناء فيه طعام أو إناء فيه شراب، وكل أعضاء الأسرة يجتمعون إلى هذا الإناء ويأكلون مما فيه من طعام أو شراب، وليس لديهم غيره، فإذا وقعت ذبابة فى هذا الإناء أو ذاك، وأخرجوها منه، وعافتها نفوسهم، ولم يأكلوا منها، فسوف تبيت الأسرة كلها على الطوى.. ولن تجد بيتًا من بيوتهم خاليًا من الذباب، ومعنى هذا حدوث مجاعة فى هذه الطبقة من الناس، وكانوا هم الأغلبية فى الشعوب قديمًا، لا مناص أمامهم من تناول طعامهم وشرابهم الذى ليس لديهم غيره، إذا سقطت فيه ذبابة وأخرجوها منه.

ومن الناحية العلمية لن يصابوا بضرر صحى ـ ولو كان الذباب يحمل جراثيم الأمراض فقط ـ لأن المرض لا يحدث إلا إذا تناول الإنسان كمية كافية من الجراثيم لإحداث المرض، فالمرض الذى تسببه الجراثيم لا يحدث فى الجسم بسبب سقوط ذبابة فى الطعام.

ولم يأمر الحديث الشريف الإنسان المسلم بأن يأكل من الطعام الذى سقط فيه ذباب، فله أن يأكله إذا كان مضطرًا، وله أن يتركه إذا لم يكن مضطرًا لأكله، ولا إثم عليه ولا حرج فى ذلك.

الوجه الثانى:

الميكروبات المسببة للأمراض تتعلق بأرجل الذبابة، وليس بجناحيها، فالذباب يقع على القاذورات بأرجله، وليس بأجنحته، والحديث الشريف تحدث عن جناحى الذبابة وليس عن أرجلها، والميكروبات التى تتعلق بأرجل الذبابة لا تكفى لإحداث المرض، لأنها تموت فى عصارة المعدة الحامضية، إذن فلابد أن يكون للحديث الشريف وجه آخر من العلم.

الوجه الثالث:

هو شرح الحديث الشريف من حيث المتن والسند، والدراسات العلمية الحديثة:

أولاً: شرح الحديث الشريف من حيث المتن والسند:

هذا الحديث رواه البخارى، ولكنه ليس من أصول الدين، ولم يأمر أحدًا بالأكل من طعام وقع فيه ذباب، فإن عافته نفسه وتركه فلا إثم عليه، والحديث صحيح رواه البخارى فى صحيحه، ولكنه لا يعد من الأحاديث المتفق عليها فى اصطلاح علماء الحديث؛ لأن الأحاديث المتفق عليها هى ما اتفق عليها الشيخان ـ البخارى ومسلم ـ فى صحيحيهما، وهذا الحديث انفرد به البخارى، ولم يخرجه مسلم، والأحاديث التى ذكرت فى صحيح البخارى لها احترامها وقبولها لدى علماء الأمة وفقهائها وهذا الحديث الشريف لا يتعلق بأى أصل من أصول الدين، فى العبادات والشرعيات والمعاملات وهذا الحديث ـ وهو حديث صحيح لدى جمهور العلماء ـ هو من أحاديث الآحاد التى لا ترقى إلى درجة اليقين، فلا يتوفر اليقين إلا فى الحديث المتواتر، وهذا الحديث ليس من المتواتر.

وأحاديث الآحاد إذا رواها مسلم أو البخارى، أو هما معًا، اختلف فيها العلماء:

هل تفيد اليقين؟ أم مجرد الظن الراجح؟ أم أنها تفيد اليقين بشروط خاصة؟

ويقول علماء الحديث: إن من أنكر حديثًا من أحاديث الآحاد، لا يخرج عن الدين، ولا يُخرج مسلمًا عن الدين إلا إنكاره الحديث المتواتر، والحديث المتفق عليه، أى الحديث القطعى، الذى يسميه العلماء (المعلوم من الدين بالضرورة).

فهذا الحديث، حديث غير متواتر، وغير متفق عليه، وهو من أحاديث الآحاد، وهو بذلك لا يصل إلى درجة اليقين فى إسناده للنبى ﷺ، ولكن رواية البخارى له رفعته إلى درجة الصحة والاعتبار.

وأخرج هذا الحديث بخلاف البخارى أئمة كثيرون منهم: أصحاب السنن جميعًا، وابن خزيمة والإمام أحمد فى المسند، وابن حبان، والبغوى، والبيهقى، والبزار، والطبرانى.

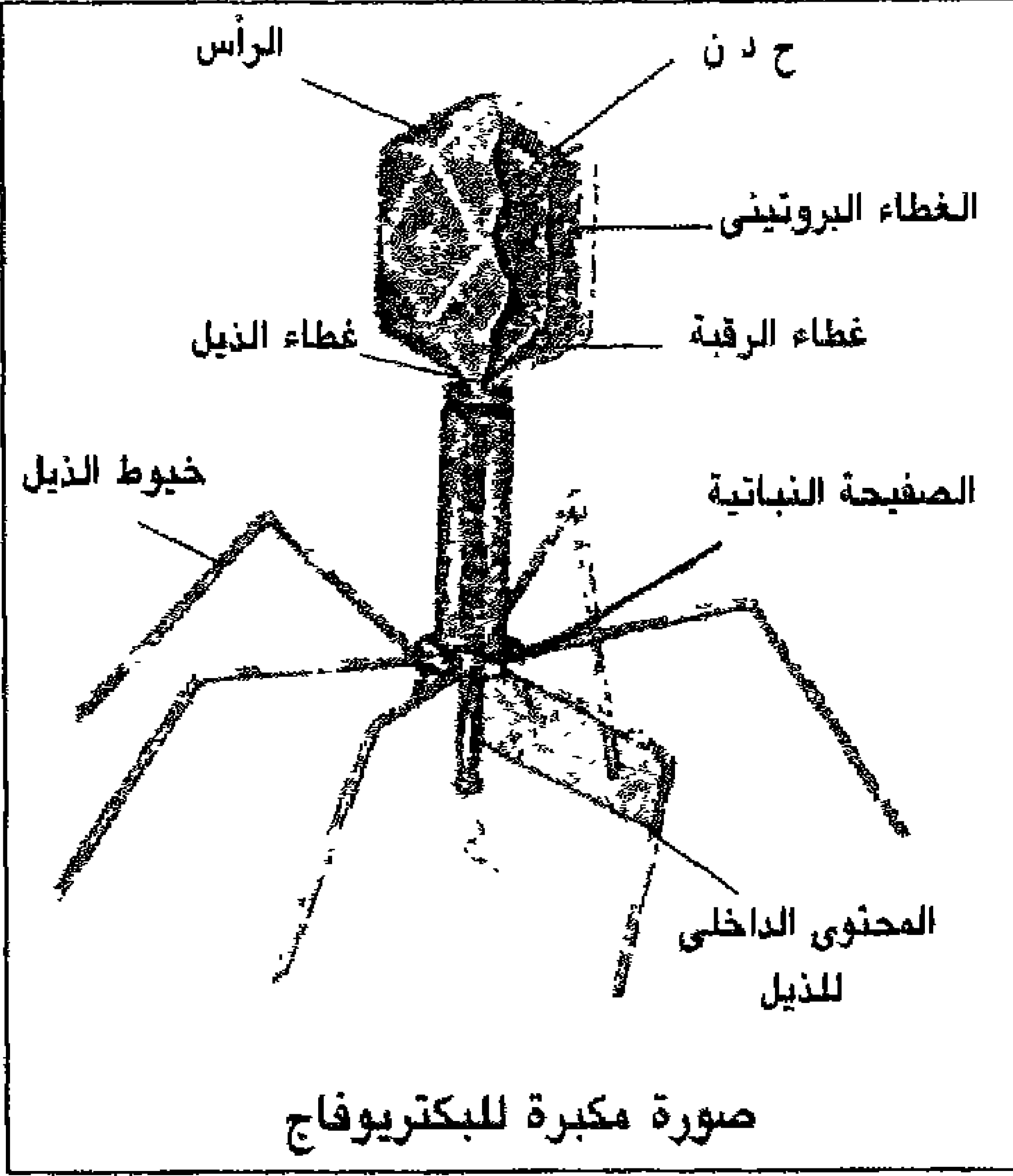
ولو لم يرد هذا الحديث إلا فى صحيح البخارى، لكان ذلك كافيًا للحكم عليه بالصحة، ولم يقدح أحد من الأئمة فى سنده، بل إن عندهم ما جاء على شرط البخارى، هو فى أعلى درجات الصحة.

وأى حديث من أخبار الآحاد له حجيته فى صحة الاستدلال به فى العقائد والعبادات، فحديث الآحاد حجة فى العقائد والأحكام.

ثانيًا: شرح الحديث الشريف من وجهة الدراسات العلمية الحديثة:

الدراسات الحديثة أثبتت وجود جراثيم على أحد أجنحة الذبابة، وبكتريوفاج، أى قاتل للميكروبات على الجناح الآخر، فافترضوا أنه إذا وقعت ذبابة فى إناء طعام أو شراب وجب أن تغمس فيه، كى تقضى البكتريوفاج على الجراثيم التى فى الجناح الآخر، ثم تُخرج الذبابة من الإناء، وما تخلف فيه إلا ميكروبات ميتة.

ولا يجب أن ينكر أحد ذلك، إلا بعد أن يتثبت من تلك الدراسات العديدة، التى أجريت ومازالت تجرى فى كثير من البلاد الأوربية والتى أثبتت نفس الحقيقة العلمية والتى تفسر قوله ﷺ: «إن فى أحد جناحيها داء وفى الآخر شفاء».



صورة مكبرة للبكتريوفاج

وليس معنى هذا أن نربى الذباب لنستعمله فى علاج الأمراض، لا، ولكن الحديث يذكر حالة معينة، وهى سقوط الذباب فى إناء، ويذكر أنه لا ضرر من أكل ذلك الطعام بعد إخراج الذبابة منه، وعلل ذلك بأسباب أثبتت الدراسات العلمية الحديثة صحتها.

ولقد أجريت أبحاث علمية فى بعض الجامعات العربية والإسلامية، لتؤكد ما توصلت إليه الدراسات فى ألمانيا وسويسرا وإنجلترا، فى تفسير الحديث النبوى عن الذبابة، وانقسمت الدراسات إلى ثلاث مراحل دراسية(١).

الأولى: دراسة أولية.

الثانية: تأثير درجة حموضة الماء الذى تغمس فيه الذبابة.

الثالثة: تأثير سقوط الذبابة وتأثير غمسها على وجود ونمو الميكروبات فى اللبن.

الدراسة الأولية:

أجريت هذه الدراسة على ماء مقطر، وماء مقطر عند درجة حموضة المعدة (Ph4) وأظهرت النتائج أن عدد الجراثيم فى الماء المقطر بعد سقوط الذبابة فيه أكثر من عددها بعد غمس الذبابة كلها فى الماء، أى إن غمس الذبابة قلل عدد الميكروبات فى الماء الملوث بها، مما يدل على أن غمس الذبابة، قد أدى إلى خروج عامل ذى تأثير قاتل للميكروبات، وأعيدت التجارب نفسها مع استعمال ماء ذى حموضة لتعادل حموضة المعدة، وظهرت نتائج تبين أن أعداد الميكروبات بعد سقوط الذبابة فيه، تقل كثيرًا بعد غمس الذبابة فيه، وكان انخفاض العدد فى حالة الماء الحامضى أكثر وضوحًا منه فى حالة الماء المقطر، وبهذه التجارب تأكد للباحثين أن غمس الذبابة فى السوائل، يقلل من تلوث تلك السوائل الذى حدث بعد سقوط الذبابة فيها، أى إن عدد الميكروبات فى السائل بعد سقوط الذبابة فيه، إذا افترضنا أنه عشرة آلاف، فإن عدد الميكروبات بعد غمس الذبابة يصير نصف هذا العدد أو أقل (ونفترض أنه ثلاثة آلاف فقط).

دراسة تأثير حموضة الماء الذى تغمس فيه الذبابة:

أثبتت هذه الدراسة التى أجريت على سوائل درجة حموضتها Ph7، Ph4 أن انخفاض عدد الميكروبات بعد الغمس، يتأثر بدرجة الحموضة، وهذا يدل على أن السوائل أو الطعام الذى سقط فيه الذباب ثم غمس، يقلل الغمس عدد الميكروبات فيه، وتقل أكثر وأكثر فى المعدة حيث يرتفع الوسط الحامضى وقد تعدم كل الميكروبات فيه.

(١) أجراها الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر بقسم الأحياء بكلية العلوم بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

دراسة سقوط الذبابة وتأثير غمسها على وجود الميكروبات فى اللبن:

أجريت هذه الدراسة على لبن معقم، وظهر من نتائج الدراسة أن معاملات سقوط الذبابة، سببت ظهور أعداد أكبر من الميكروبات من معاملات الغمس، مما يشير بوضوح إلى أن غمس الذبابة يقلل من عدد الميكروبات التى ظهرت بعد سقوط الذبابة، الأمر الذى يدل على وجود مواد قاتلة للميكروبات على أجنحة الذبابة.

وكان من المتوقع أن غمس الذبابة يزيد من عدد الميكروبات فى السوائل أو الطعام؛ وذلك لأن الغمس يسبب انفصال الميكروبات عن جناحى الذبابة وجسمها، أكثر مما يحدث إذا وقعت الذبابة بأرجلها أو بأحد أطراف جناحيها، ولكن النتائج كانت عكس المتوقع تمامًا، وقد تكررت تلك الدراسات فى معامل الجامعات فى جدة وفى القاهرة على يد أساتذة متخصصين مما يؤكد أن فى أحد جناحى الذبابة داء، وفى الآخر شفاء، وتؤكد هذه الدراسات أيضًا الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى الشريف.

الذبـاب وصحـة الإنســان

يقول الله تعالى فى سورة الحج:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤].

استهلت الآية الأولى بالقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: إنه نداءٌ للناس جميعًا فى عصر نزول القرآن، وللناس جميعًا فى كل عصر من العصور، وإلى يوم القيامة، وينتبه الناس لهذا النداء الإلهى، فيعلمُهم اللهُ عز وجل بأنهم أمام مثل ضُرب لهم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾: أى تدبروه، وحكِّموا عقولكم فى مغزاه، ليساعدكم على الوصول إلى الحق، والمثل المضروبُ هو الذبابُ والذين يدعون من دون الله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾: أى كلُّ ما تدعون من دون الله من آلهة مزعومة وأناسى جعلتموهم لله أندادًا تعتمدون عليهم وتستعينون بقوتهم، وتطلبون عندهم الغنى لأنفسكم، والنصر والجاه، كلُّ هؤلاء لا قوة لهم ولا قدرة، فهم لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له، ذلك أن العزة والقوة والمنعة والغنى والنصر من عند الله القوى العزيز. والذبابةُ حشرةٌ ضعيفةٌ حقيرة، ومع ذلك لو اجتمع الناسُ كلُّهم جميعًا ما استطاعوا أن يخلقوا ذبابة!

وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن سيدنا رسول الله ﷺ قال فيما رواه عن ربه: «**قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن أراد أن يخلق مثل خلقى، فليخلقوا ذرة أو ذبابة أو حبة..**».

فضَرَبَ اللهُ تعالى بالذباب الضعيف الحقير مثلاً واضحًا على عجز الإنسان مهما علا فى الأرض،ومهما ازداد صحةً وقوةً ومالاً وعلمًا، فهو يعجز عن أن يخلق ذبابة، وتُصوِّر الآية الكريمة مقدار ضعف من يدعون من دون الله ويطلبون عندهم الحماية والنصر والعزة والغنى، تصوّر ضعفهم بدليل واضح فتقول: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾.

﴿لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾: أى لا يستردونه ويستخلصونه منه، فكم من إنسان سليم سلبه الذبابُ صحته وعافيته وبصره، بل وسلَبه حياته أيضًا. ولا يستطيع الذين يتخذهم الناسُ أندادًا لله ويدعونهم من دون الله ويستعينون بهم من دونه؛ أن يستنقذوا لأنفسهم من الذباب ما سلبه منهم، وهو أضعف وأحقر الحشرات.

وتعقب الآية بالقول: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾.

والطالب والمطلوب هما الذباب ومن يدعون من دون الله ويطلبون منهم النصر والعزة والقوة، فهم والذباب فى الضعف سواء.

فالذى يتجه لغير الله يطلب عنده الحماية والمنعة هو واهم ومخطئ فلا نصر إلا من الله، ولا قوة إلا بالله، ولا رازق سواه.. لذلك يوجه الله تعالى إليهم اللوم والتقريع فيقول عنهم: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

وتُعقب الآية الكريمةُ بالنداء الذى يملأ أرجاء الكون كله، وتخشع له السماوات والأرض ومن فيهن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

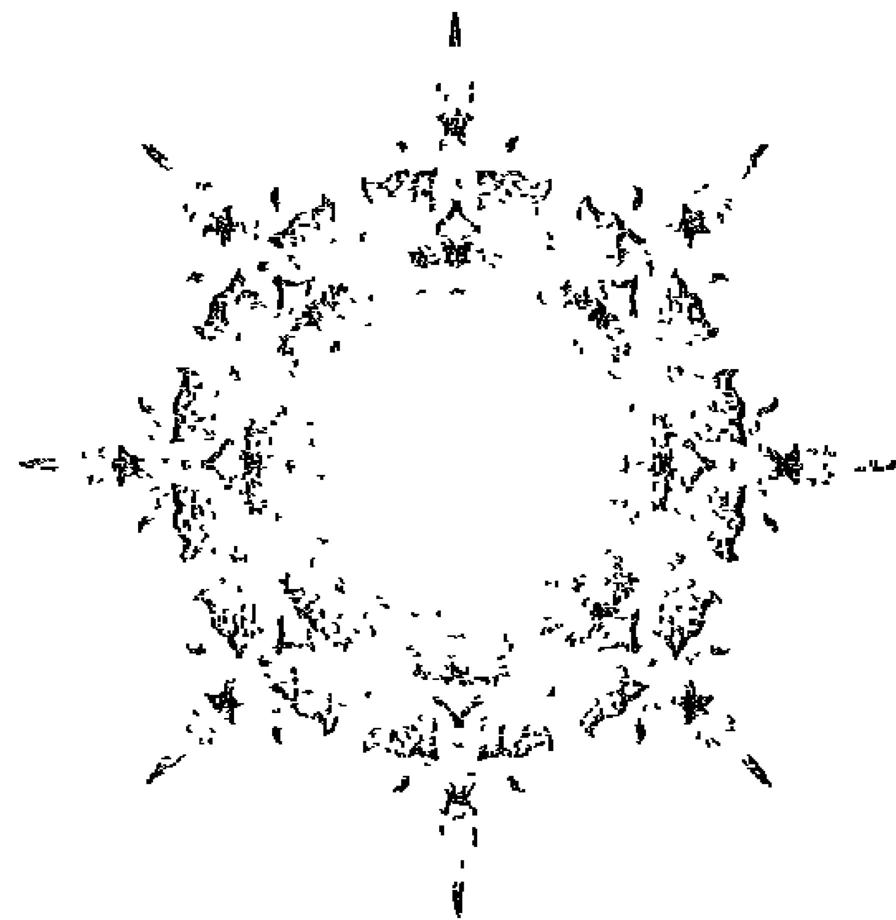
وما كان الناسُ قبل القرن الماضى يدركون أن الذباب ينقل أمراضًا إلى الإنسان ويسلبهم الصحة والقوة، وربما الحياة أيضًا، وما اكتشف الناس هذه الحقيقة عن الذباب إلا فى أواخر القرن التاسع عشر وتحديدًا سنة ١٨٩٦م عندما نبّه عالم كان يدعى (هوار) إلى خطر الذبابة على صحة الإنسان، ولكنه لم يدرك كنه ذلك الخطر.

وفى سنة ١٩١٤م اكتشف عالم يدعى هيويت أن الذباب ينقل أمراضًا إلى الإنسان ولكنه لم يحددها.

وشيئًا فشيئًا اكتشف العلماء منذ عهد قريب أن الذباب ينقل إلى الإنسان حمى التيفويد، وحمى الباراتيفويد، والدوسنتاريا بأنواعها، والسل المعوى، والكوليرا، والرمد الصديدى، والكثير من الأمراض والطفيليات.

وفى القرن العشرين اكتشف العلماء اكتشافًا عجيبًا، وهو أن الذباب ليس نوعًا واحدًا، ولكنه عشرات آلاف من الأنواع، وكل نوع من تلك الآلاف، مكون من آلاف أخرى من الفصائل، وأن الذباب عوالمُ من المخلوقات وشعوبٌ وقبائل تنتشر فى العالم كله، وكلُّ شعبٍ من شعوبه يستوطن وطنًا خاصًّا به.

والدارس لأنواع الذباب وشعوبه المختلفة يجد عجبًا؛ يجد كلَّ نوعٍ منها ينقل أمراضًا معينة للإنسان، وكلما تقدم العلم، اكتشف العلماء الجديد من أخطار الذباب على صحة الإنسان.





الطفيليات من الحشرات

١ ـ البعـــوض .

٢ ـ القمــــل .

٣ـ عثة الفراش .

٤ـ الجـــرب .

الباب الخامس

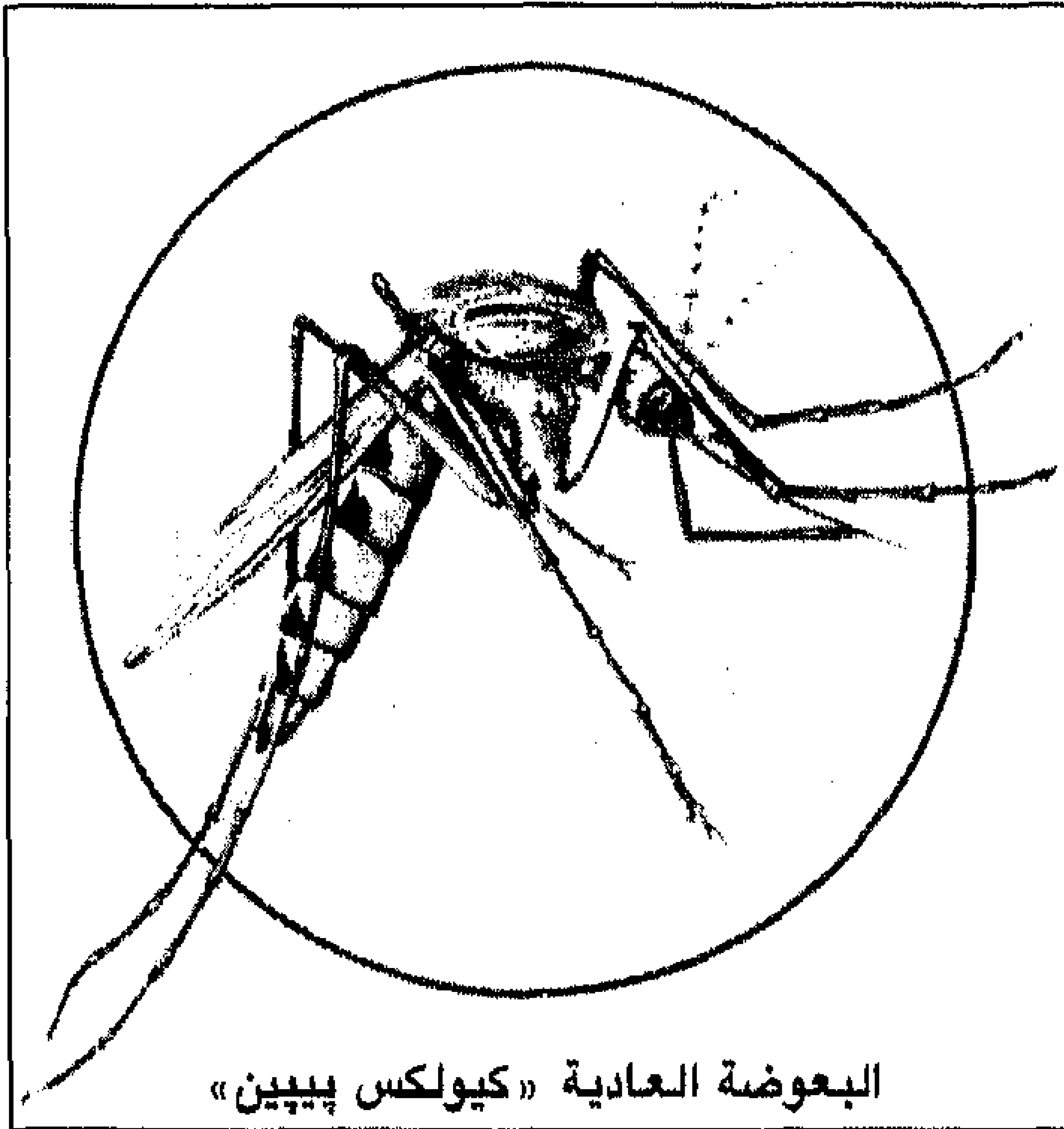
الطفيليات من الحشرات

١ البعوض

حشرة البعوض

■ أخرج الإمام أحمد، عن عبد الواحد الحداد، عن محمد بن عمر، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن يخلق كخلقى فليخلقوا بعوضة أو ليخلقوا ذرة**».

■ أخرج الأئمة البخارى ومسلم وأحمد وأصحاب السنن، عن أبى بكر بن إسحاق، عن يحيى بن بكير، عن المغيرة (يعنى الحزامىّ)، عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة، فلا يزن عند الله جناح بعوضة (أى لا قَدْر له). واقرءوا: ﴿فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾**». [الكهف: ١٠٥].


البعوضة العادية «كيولكس پيپين»

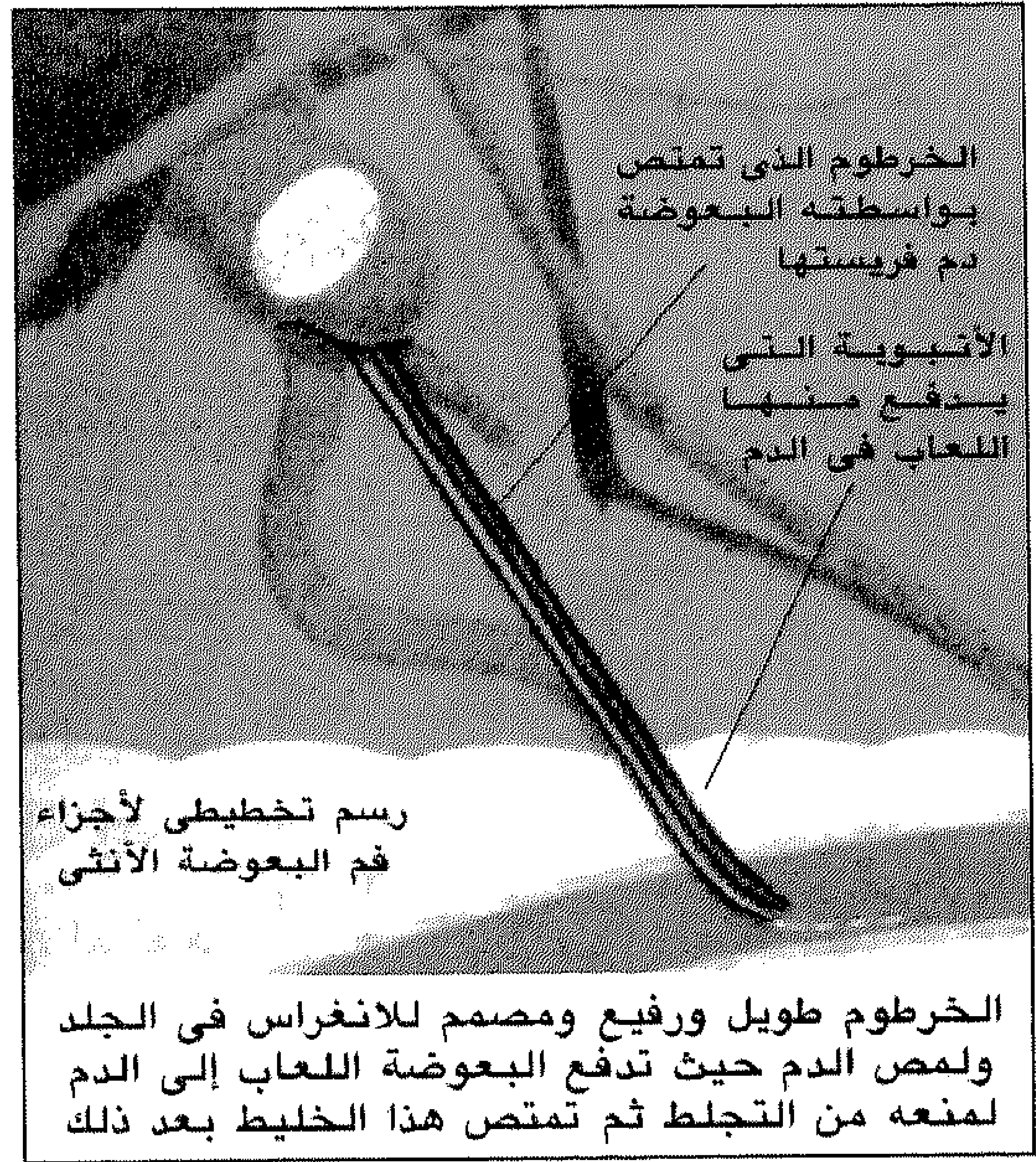
■ وأخرج الأئمة الترمذى وابن ماجه، عن عَبْدة بن سليمان، عن موسى بن المسيب الثقفى، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غَنْم، عن أبى ذر، قال: قال رسول الله ﷺ فى حديث له: «... **ولو أن حيّكم وميتكم، وأولكم وآخركم، اجتمعوا على قلب أتقى عبد من عبادى، لم يزد فى ملكى شيئًا جناح بعوضة، ولو اجتمعوا فكانوا على قلب أشقى عبد من عبادى، لم ينقص من ملكى جناح بعوضة**».

■ روى الإمام الحافظ جلال الدين السيوطى فى (الدر المنثور فى التفسير بالمأثور). عن أبى حاتم، عن الحسن، قال: لما أنزلت آية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾. قال المشركون: ما هذا من الأمثال! أو ما يشبه هذا من الأمثال! فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦]. لم يرد البعوض إنما أراد المثل. لما بيّن الله تعالى أن القرآن معجز، أنكر الكفار ذلك، وذكروا من الشبهات ما ظنوه يقدح فى إعجاز القرآن. قالوا: جاء فى القرآن ذكر النحل والنمل والذباب والبعوض والعنكبوت، وأن هذه الأشياء لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء، فاشتمال القرآن عليها يقدح فى فصاحته، فضلاً عن كونه معجزًا. فأجاب الله تعالى بأن صغر هذه الأشياء، لا يقلل من فصاحة الكلام، إذا كان مشتملاً على حكم بالغة. وكذلك الأمر فى الحديث النبوى الشريف الذى تحدث عن هذه المخلوقات، إنه فى قمة الفصاحة، لاشتماله على حكم بالغة، وإنه فى قمة الإعجاز لبيانه للاكتشافات العلمية التى لم تعرف إلا حديثًا.

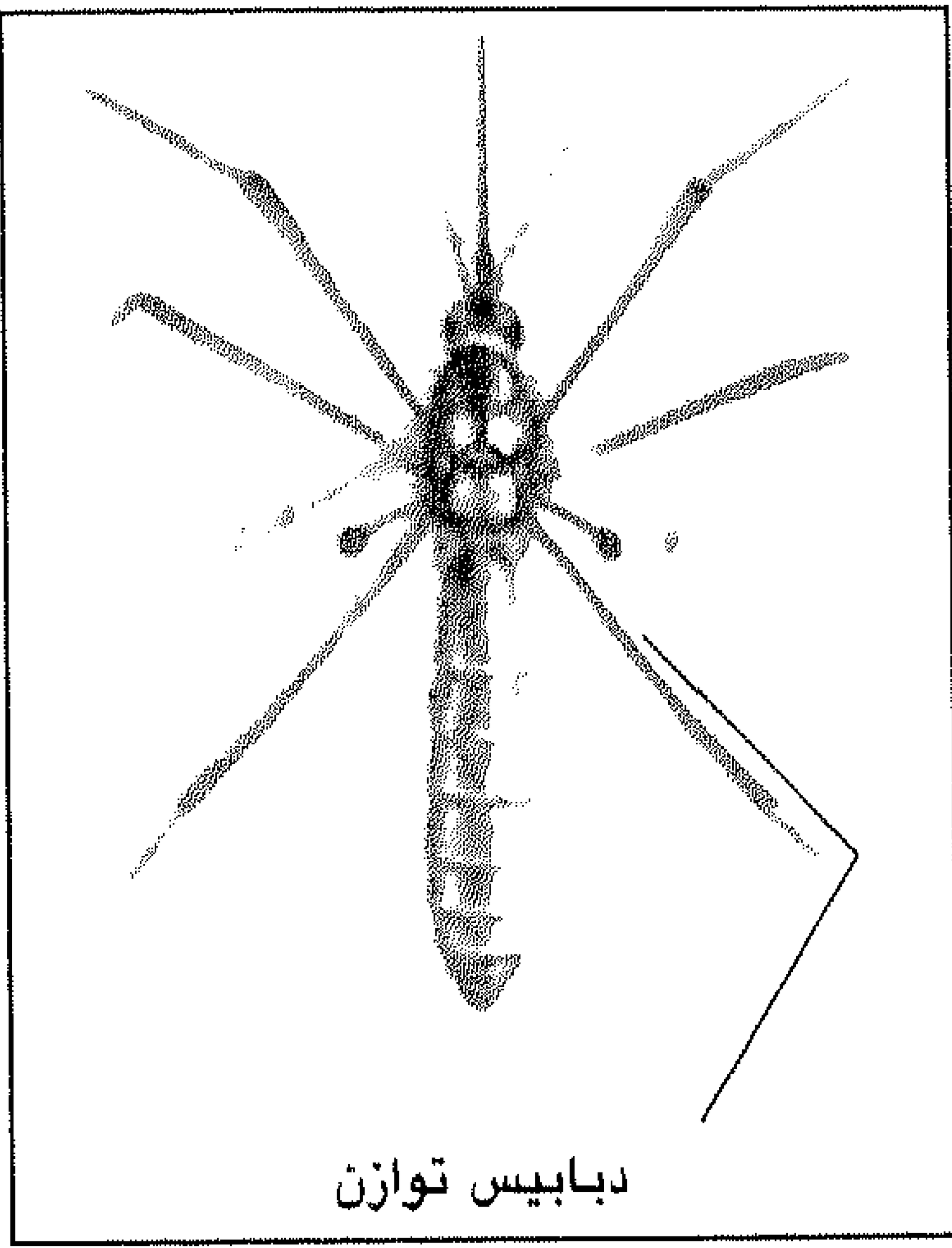
(فما فوقها): أى ما هو فوق البعوضة فى الكبر، وما هو فوقها فى الصغر من الحشرات والمخلوقات. ووقع فى كلام الكفار القول: أما يستحى رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والبعوض والعنكبوت والهوام؟.. فجاءت كلمات الآية الكريمة على سبيل إطباق الجواب على السؤال. وهذا أسلوب بلاغى رفيع.

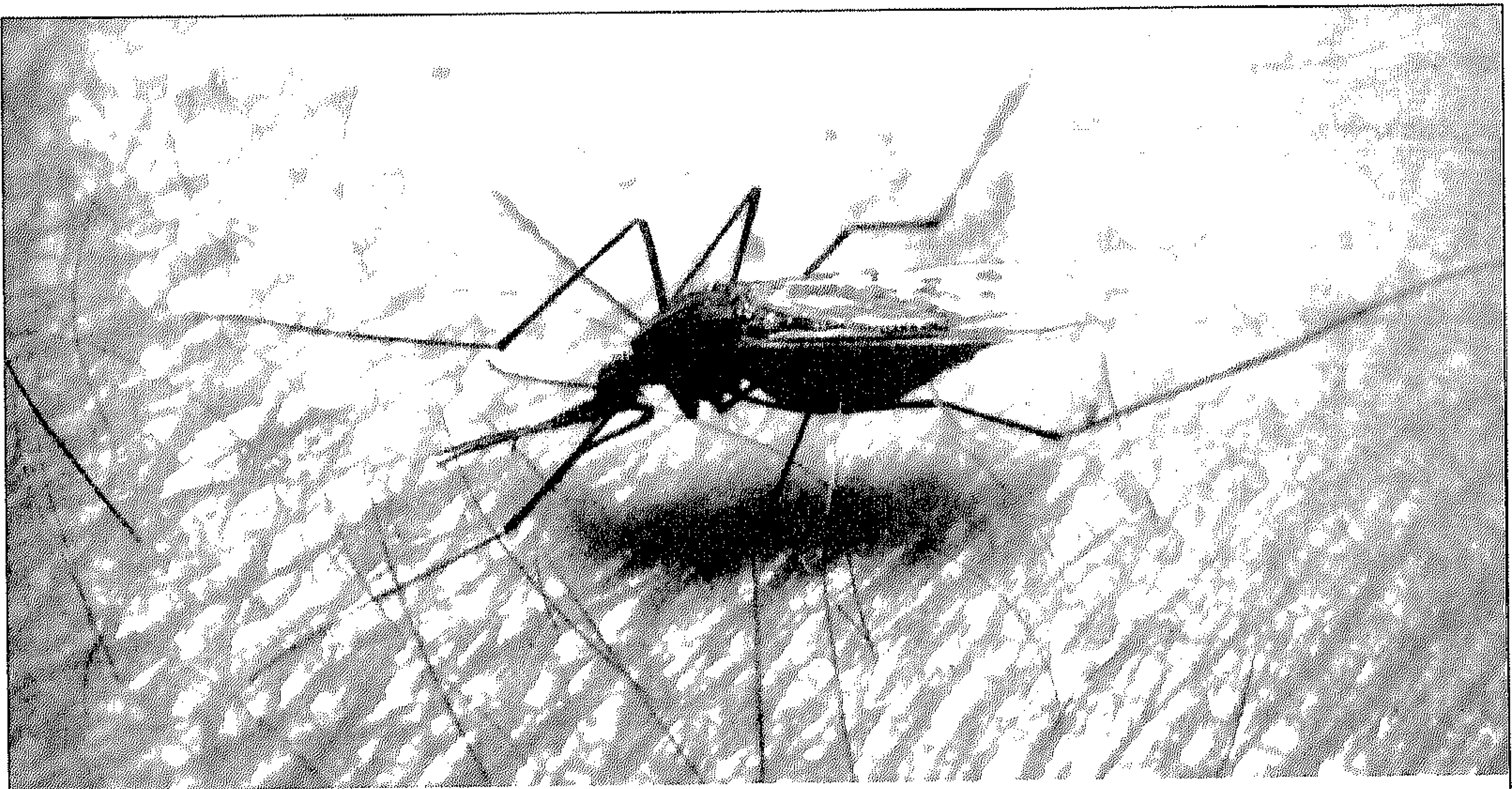
■ وأخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ فى (العظمة)، والديلمى، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس، لا تغتروا بالله، فإن الله لو كان مُغْفِلاً شيئًا لأغفل البعوضة والذرة والخردلة**».

البعوضة الأنثى تتغذى على الدم:



الخرطوم طويل ورفيع ومصمم للانغراس فى الجلد ولمص الدم حيث تدفع البعوضة اللعاب إلى الدم لمنعه من التجلط ثم تمتص هذا الخليط بعد ذلك

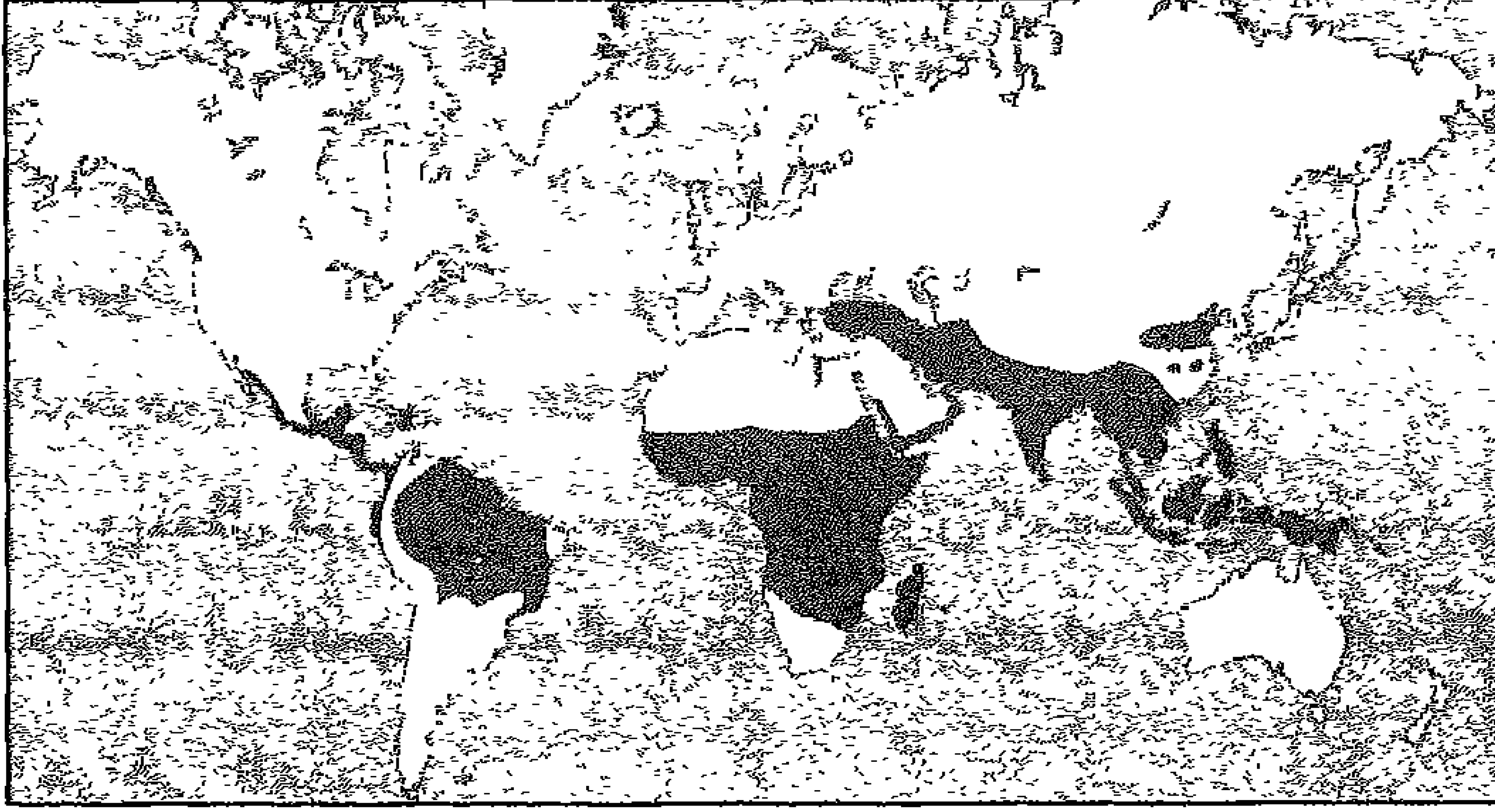



البعوضة التى تلدغ وتمص الدم هى أنثى البعوض، وليس لذكر البعوض فم به خرطوم يمص الدم

بعض الأمـراض التى ينقلهـا البعـوض إلى الإنســان

١ـ الملاريا:

لم يكن أحد فى القرن التـاسع عشر يعلم أن البعوض هو الذى ينقل طفيل الملاريـا، وأول من اكتشف ذلك كان العالم رونـالد روس عام ١٩٠٢م، وحصل على جائزة نوبل للعلوم، ونحن نعلم الآن أن طـفـيـل الملاريـا يسمونـه فـى الطب (طفيل البـلازمـوديـوم) تـنـقـلـه أنثى بـعـوض من نـوع الأنوفيلس، وهو شائع الوجود فى المنـاطق المدارية والاستوائية، وللطفيل دورة حياة بين الإنسان والبعوضة الأنثى.



والملاريـا أكثر الأمـراض شيوعًـا فـى الـعـالم، ويصـاب بـالمرض سنـويًـا نحو ثلاثمائة مليون نسمة، يتوفى منهم نحو المليون سنويًا.

ويـكثر انـتشـار الملاريـا فـى مـنـاطق مـعـيـنـة فـى الـعـالم، تسمـى المنـاطق الموبوءة بـالملاريا مثل جنوب إفريقيا، أمريكا الجنوبية، جنوب شرق آسيا، الصين، بعض دول حوض البحر الأبيض المتوسط.

ولطفيل الملاريا أربع فصـائل، تختلف من حيث شدة المرض، وهذه الفصـائل هـى:

١ـ بلازموديوم فـالسيبيرم Falciparum: وينقل الملاريا الخبيثة.

٢ـ بلازموديوم فـايفكس Vivax: وينقل الملاريا الحميدة.

٣ـ بلازموديوم أوفـالى Ovale: وينقل الملاريـا البيضـاوية.

٤ـ بلازموديوم مـلاريا Malaria: وينقل الملاريـا الربـاعية.

وتحدث حمى الملاريا على نوبـات متكررة.

تبدأ النوبة بقشعريرة شديدة وشعور المريض بـالبرد الشديد، وبعد ساعة تقريبًا ينتهى الشعور بـالبرد وتبدأ درجة حرارة الجسم فى الارتفـاع وتصل إلى ٤٠°م أو أكثر.

ويستمر دور الحمى من ١ ـ ٣ ساعـات، تنتهى بعرق غزير، وتهبط درجة الحرارة إلى مستواهـا الطبيعى عقب دور العرق، ويعود الإنسان إلى حـالته الصحية الطبيعية، وتتكرر النوبـات (القشعريرة ثم الحرارة ثم العرق الغزير) كل ٤٨ ساعة أو كل ٧٢ ساعة حسب نوع الملاريا.

إلا أن أخطر أنواع الملاريا هـى مـلاريا المخ Cerebral Malaria التى تبدأ أعراضهـا تدريجيًا، وتشبـه أعراض نزلة البرد الشديدة.. إلا أن المريض يتعرض أحيانًا إلى مضـاعفات خطيرة قد تودى بحيـاته مثل التشنجـات والغيبوبة والفشل الكلوى الحـاد، والالتهـاب الرئوى الحـاد، وهبوط الدورة الدموية.

وعلاج الملاريا إمـا أن يكون علاجًا وقـائيًا وإمـا أن يكون علاجًا للمرض الحـاصل فى الجسم، وكلا العلاجين ميسور فى الطب الحديث.

كيفية انتقال الملاريا:

الإنسان الذى يعيش فى مناطق موبوءة، أو يسافر إلى تلك المناطق، قد يصاب بالمرض، وذلك عن طريق لدغة بأنثى البعوض الأنوفيلس الحامل لطفيل الملاريا.

٢ـ حمى الوادى المتصدع:

هى حمى يسببها فيروس يصيب الحيوانات الأليفة كالإبل والبقر والماعز، وينتقل إلى الإنسان بواسطة البعوض، وقد اكتشف العلماء طريقة انتقاله إلى الإنسان سنة ١٩٣٠م، ويوجد هذا المرض فى شرق وجنوب إفريقيا، فى أماكن تربية الماشية، ويصيبها بالمرض كوباء، وإذا حدث وباء الحمى بين الماشية انتقل إلى الناس الذين يتعاملون مع الماشية المريضة، وأشهر أوبئة المرض حدث فى كينيا فى عامى ١٩٥٠، ١٩٥١م، وسبب هلاك ما قدر بمائة ألف من الماشية، وحدث فى مصر عام ١٩٧٧م فى الحيوانات وفى الناس، وحدث الوباء فى إفريقيا الغربية عام ١٩٨٧ والحشرة الناقلة للمرض هى البعوض من نوع الـ Aedes.

وينتقل فيروس المرض من الحيوان المصاب إلى الإنسان؛ إذا تعرض لدم الحيوان المصاب وسوائل جسمه، أو بلمس اللحم الملوث أثناء الذبح، أو أثناء تقطيع اللحم.

أعراض المرض:

هى أعراض مختلفة:

١ـ قد تكون على شكل حمى متوسطة القوة واضطرابات فى الكبد.

٢ـ قد تكون شديدة على شكل حمى نزفية.

٣ـ التهاب فى الدماغ (وما يصاحبه من غيبوبة وتشنجات).

٤ـ حمى، وضعف عام، وآلام بالظهر.

وتستمر هذه الأعراض نحو ٥ ـ ٧ أيام.

المضاعفات:

١ـ ١٠٪ يصابون بفقدان البصر، وموت ١٪ من الناس المصابين، والنسبة أعلى كثيرًا فى الماشية.

العلاج:

إعطاء المريض أدوية تقتل الفيروسات.

٣ـ الحمى الصفراء Yellow Fever:

هو مرض فيروسى ينقله بعوض الإيدس المصرى (Aedes Egypti)، وبعوض الإيدس الإفريقى (Aedes Africanus)، الذى ينقل المرض فى الغابات والأدغال، بين الحيوان والإنسان.

الأعراض:

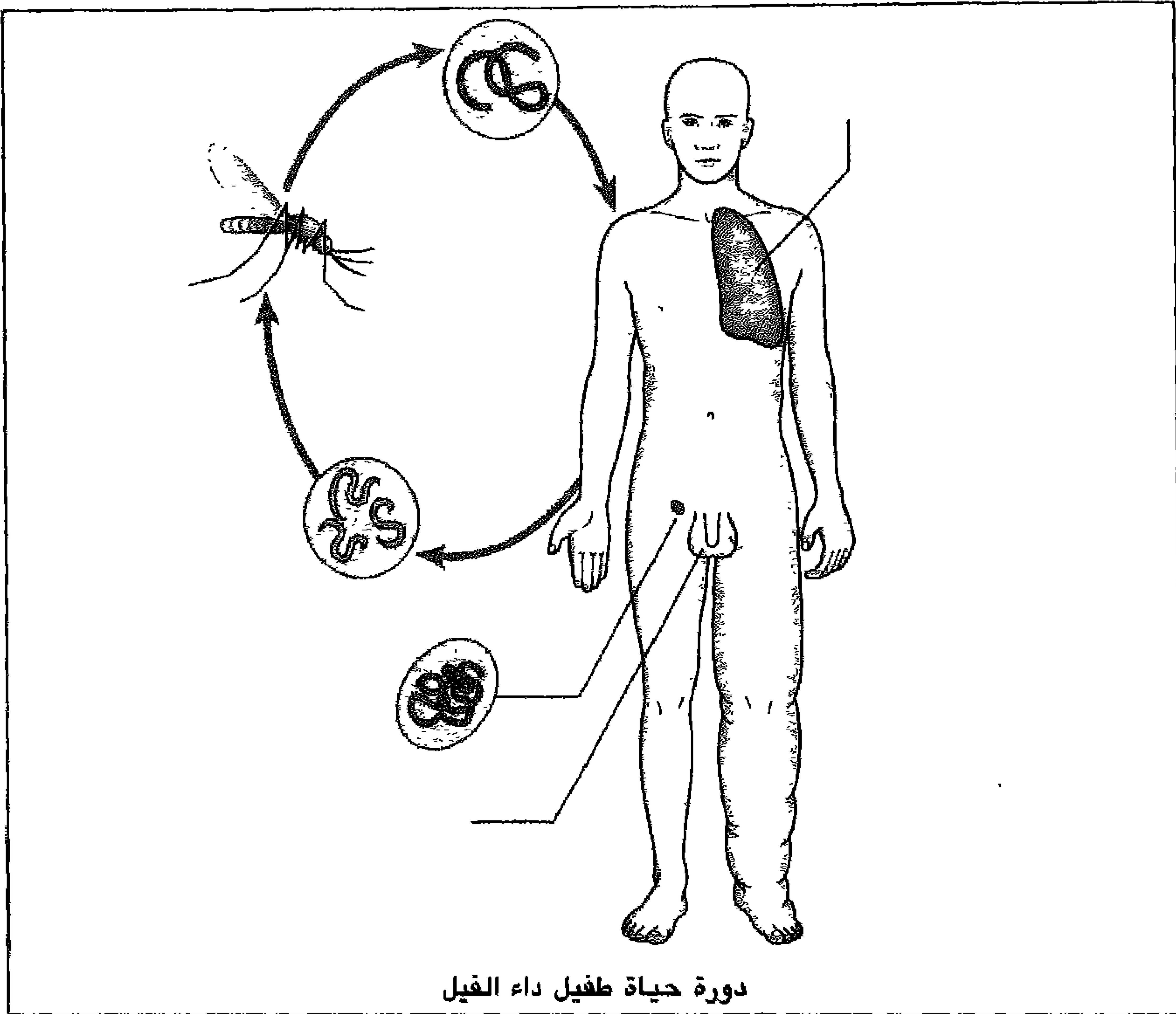
يرقان، نتيجة لإصابة الكبد بالفيروس، وقد يحدث نزيف فى أنحاء متفرقة فى الجسم وقد يحدث تسمم كلوى.

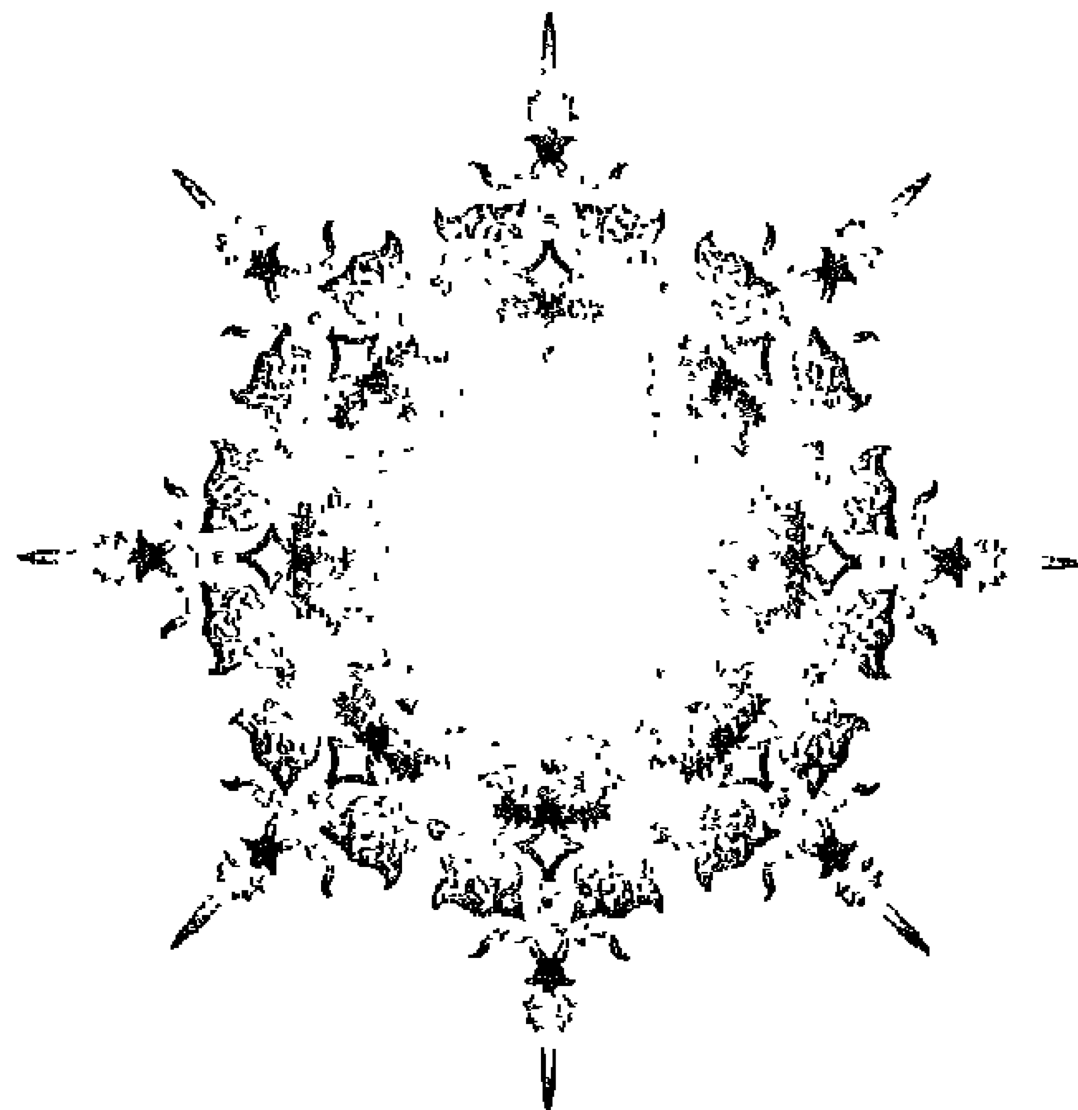
٤ـ حمى الدنج Dengue Fever:

مرض فيروسى تنقله أنثى البعوض من إنسان إلى إنسان. وتشبه أعراض هذه الحمى أعراض نزلات البرد الشديدة، وقد تزداد شدة وحينئذ تسمى (حمى الدنج النزفية) وتستمر الحمى (٣٩ ـ ٤١ درجة مئوية) من ٣ ـ ٧ أيام ويقدر عدد المصابين بحمى الدنج فى العالم بنحو مائة ألف إنسان كل عام.

٥ـ مرض الفيلاريا (داء الفيل):

هو مرض تسببه ديدان طفيلية خيطية الشكل، وتنتقل من إنسان إلى إنسان بواسطة البعوض (كيولكس)، وتستقر تلك الديدان فى القنوات الليمفاوية فى الجسم، فيتورم الساق ـ أو الطرف ـ المصاب، تورمًا دائمًا لا يزول، وتشبه الساق ساق الفيل، لذلك يسمى أحيانًا (داء الفيل).


دورة حياة طفيل داء الفيل



حشـرة القمـل


قملة

■ روى الأئمة البخارى ومسلم وأحمد، عن أنس، عن الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف أنهما شكوا القمل إلى رسول الله ﷺ. فرخّص لهما فى لبس الحرير: فرأيت على كل واحد منهما قميصًا من حرير.

ـ القمل يمتص الدم، ولدغته تسبب رغبة فى حك الجسم.. وزيادة الحكة فى الجسم تسبب التهابات فيه. والملابس الصوفية تزيد من الرغبة فى حك الجلد. كما أن الملابس الحريرية، لا تؤوى القمل مثل الملابس الصوفية.

■ روى الإمام أحمد، عن محمد بن إسحاق، عن طلحة بن عبيد الله، عن شيخ من أهل مكة من قريش قال: وجد رجل فى ثوبه قملة، فأخذها ليطرحها وهو فى المسجد. فقال له رسول الله ﷺ: «**لا تفعل.. اردها فى ثوبك حتى تخرج من المسجد**».

■ وروى الإمام أحمد، عن حجاج بن الصّواف، عن يحيى بن أبى كثير، عن الحضرمى بن لاحق، عن رجل من الأنصار، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا وجد أحدكم القملة فى ثوبه فليصرها، ولا يلقها فى المسجد**».

ـ الذى يجد فى ثوبه قملة لا يلقيها فى مكان قد تتعلق بملابس إنسان آخر، فإن انتقال القمل من جسم إلى جسم، من طرق انتقال العدوى لكثير من الأمراض. ولا يمكن التخلص منها فى المسجد بقتلها، ولابد من أن يكون التخلص منها خارج المسجد بقتلها فى أى مكان آخر.

■ أخرج الشيخان عن داود المهرى، عن ابن وهب، عن يونس بن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ يُهلُّ مُلبِّدا، أو ملبدًا رأسه وشعره بالعسل.

وهكذا علم رسول الله ﷺ الناس كيف يعالجون طفيليات شعر الرأس كالقمل بالعلاج المتاح فى عصرهم وهو العسل، وهو علاج يفيد أيضًا فى كل زمان ومكان.

القمل حشرة طفيلية تعيش على مص الدماء، ويوجد من القمل أنواع: قمل الرأس وهو أسود اللون، وقمل العانة، وقمل الجسم. كما يوجد أنواع من القمل فى الدواب والطيور.

ويعيش قمل الرأس فى الرأس المتسخ، وخصوصًا رءوس الأطفال والبنات، وأى إنسان يطيل شعره ولا يعتنى بتنظيفه، والقمل يبيض بيضًا مستطيلاً، وتلصقه القملة بالشعر بمادة لاصقة، وكل قملة أنثى تبيض كل أسبوع نحو خمسين بيضة، تفقس بعد أسبوع على الأكثر، وتبلغ الطور البالغ بعد ثمانية عشر يومًا بعد فقسها، ولا تعيش القملة أكثر من شهر واحد.

ولو تركت قملة الرأس، ولم يتم التخلص منها لمدة شهرين فقط ـ وهذا فرض جدلى ـ لبلغ عدد ذريتها من القمل ٢٥٠٠ قملة، ولكن الإنسان مهما كان قذرًا ومهملاً، فإن القمل يتساقط من رأسه.

أما قمل الجسم فهو قمل أصفر اللون يعيش فى طيات الملابس ويتعلق بها، وخصوصًا الملابس الصوفية، ويقل فى الملابس الحريرية.

والقمل حشرة غير مجنحة يبلغ طولها من ٢ إلى ٣ ملليمتر، وتنتقل من إنسان إلى آخر بطريق الزحف، ولها ست أرجل، وتستطيع الانتقال من مكان إلى مكان آخر، لذلك فإن الإصابة بالقمل شائعة جدًا، وهى مشكلة صحية فى طلبة المدارس وخصوصًا الأطفال.

بيض القمل:

أبيض اللون يمكن رؤيته بالعين المجردة، ويلتصق بالشعر بقوة، لذلك فإن من الصعب إزالته والتخلص منه، إلا بتمشيط الشعر بمشط دقيق الأسنان، أو نزع البيض يدويًا، أو التخلص منه بأدوية موضعية تقتله، أو بتدليك الشعر بالخل يوميًا عدة مرات، ويعد ذلك تدليك الشعر وتلبيده بالعسل فإن الكثير من الحشرات والجراثيم يقتلها العسل، لذلك كان العسل يستعمل فى القرون الماضية فى الوقاية من قمل الرأس، فى المواسم التى يتجمع فيها الناس مثل موسم الحج[1].

ويمكن إزالة القمل، والبق، وعثة الفراش من المفارش والأغطية، بتنفيضها جيدًا خارج المنزل، أو بالمكنسة الكهربائية.

■ روى الإمام أحمد، عن عبد الرحمن بن مالك، عن عبد الكريم بن مالك الجزرى، عن مجاهد، عن عبدالرحمن بن أبى ليلى، عن كعب بن عُجْرة، أنه كان مع رسول الله ﷺ فإذا القمل فى رأسه، فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق رأسه وقال: «**صُم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين**».

■ روى الإمام ابن ماجه، عن محمد بن الوليد، عن محمد بن جعفر، عن شعبة، عن عبد الله بن الأصبهانى، عن عبد الله بن مَعْقل، قال: سألت كعب بن عجرة عن قوله تعالى: ﴿**فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ**﴾. قال كعب: أُنزلت فىّ، وكان بى أذى من رأسى، فحُملت إلى رسول الله ﷺ وكان القمل يتناثر على وجهى، فقال: «**ما كنت أرى الجهد بلغ بك ما أرى، أتجد شاة؟**». قلت: لا، فنزلت الآية.

■ روى الإمام ابن ماجه، عن عبد الله بن نافع، عن أسامة بن زيد، عن محمد بن كعب، عن كعب بن عجرة قال: أمرنى رسول الله ﷺ حين آذانى القمل أن أحلق رأسى، وأصوم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين.

■ روى الأئمة البخارى ومسلم وأحمد وابن ماجه، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن كعب ابن عُجرة أن رسول الله ﷺ وقف عليه، ورأسه يتهافت قملاً (أى يتساقط شيئًا فشيئًا)، فقال ﷺ: «**أيؤذيك هوامُك؟**». قلت: نعم، قال: «**فاحلق رأسك**». قال: فنزلت الآية: ﴿**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ**﴾ [البقرة: ١٩٦].

- وفى رواية أخرى عن كعب بن عُجرة رضى الله عنه قال: إنه خرج مع النبى مُحرمًا فَقَمُل رأسه ولحيته، فبلغ ذلك النبى ﷺ، فأرسل إليه، فدعا الحلاق فحلق رأسه... إلخ الحديث.

■ أخرج الإمامان البخارى ومسلم، عن عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال:

«**اللهم ارحم المحلقين**». قالوا: والمقصرين يا رسول الله! قال:

«**اللهم ارحم المحلقين**». قالوا: والمقصرين يا رسول الله! قال:

«**اللهم ارحم المحلقين**». قالوا: والمقصرين يا رسول الله! قال: «**والمقصرين**».

(١) انظر العلاج بالعسل من طفيليات الجلد والتهاباته فى هذا الكتاب ص ٣٧.

وفى شرح الحديث قالوا: الحلق أبلغ فى العبادة، وأبين للخضوع والذلة، وأدل على صدق النية، والذى يقصر يبقى فى نفسه شيئًا مما يتزين به، بخلاف الحالق فإنه يشعر بأنه ترك ذلك لله تعالى، ففى الحلق إشارة إلى التجرد.

أما الإمام النووى فعلل تفضيل المحلقين على المقصرين فى الحديث الشريف، بأن المقصرين يبقون على أنفسهم الشعر، وهو زينة الرجل، والحاج مأمور بترك الزينة، بل هو أشعث أغبر.

إلا أن المؤلف يرى أن الأمر بالحلق إنما وقع بعد انقضاء مدة الأمر بالتقشف، أى أثناء الإحرام، فلابد للحلق من ضرورة أخرى عند التحلل من الإحرام، وقد تكون فى إزالة كل ما يحلق بشعر الرأس من الطفيليات ـ كالقمل مثلاً ـ قد تنتشر على رءوس الناس فى وسط ذلك الزحام، أما أثناء الإحرام، قبل الحلق، فالإنسان مأمور باستعمال مادة تقضى على الطفيليات التى تعيش فى شعر الرأس، وكانوا قديمًا يستعملون العسل يلبدون به شعورهم.

■ وأخرج الإمام البخارى، عن أحمد بن أبى رجاء، عن إسحاق بن سليمان، عن حنظلة عن نافع، عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من الفطرة حلق العانة، وتقليم الأظافر، وقص الشارب**».

ـ وفى رواية إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**الفطرة خمس: الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط**».

■ ثبت فى الحديث النبوى الصحيح أنه ليس على النساء حلق، بل عليهن التقصير فقط.

الإصابة بالقمل شائعة بين الناس، وخصوصًا فى الطبقات الفقيرة، وفى التجمعات المزدحمة، وفى طلبة وطالبات المدارس، والوقاية خير من العلاج وذلك باتباع الإرشادات التالية:

١ـ قيام الأم بكشف دورى على شعر أطفالها، بهدف اكتشاف مبكر للعدوى بتلك الحشرة.

٢ـ تعليم الأطفال عدم استعمال أمشاط الشعر التى يستعملها غيرهم، أو ارتداء غطاء رأس استعمله غيرهم.

٣ـ مراعاة عدم اقتراب الرأس من رأس إنسان آخر، وخصوصًا فى الأماكن المزدحمة.

٤ـ لابد من إزالة بيض القمل (الصئبان) من الشعر، حيث يكون ملتصقًا بالشعر وذلك باستخدام أمشاط شعر ضيقة، أو التخلص منها يدويًا، وهناك أنواع من الأدوية على هيئة محاليل مفيدة فى ذلك. ويطهر المشط بالماء الساخن جيدًا بعد الاستعمال حتى نتخلص مما يكون قد علق به من القمل والصئبان.

٥ـ من الأفضل حلاقة الرأس لإزالة الشعر الذى يتواجد ويتكاثر فيه.

٦ـ وبهذه الطرق الوقائية نتفادى ما يسببه القمل من أمراض، وأشدها ضررًا حمى التيفوس الوبائى.

والقمل من جنود الله فى الأرض يسلطه على من يشاء، كما قال تعالى يحكى عن آل فرعون: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ**﴾ [الأعراف: ١٣٣].

والقمل فى الآية الكريمة مسلط على الإنسان، وكل ما يملك من دواب وطيور ونباتات فالقمل أنواع كثيرة: منها قمل الإنسان، وقمل الدواب، وقمل الطيور، وقمل النبات.. وهى تضر كل ما تقع عليه.

والأنواع الماصة من القمل تعيش على أجساد الإنسان والدواب، وأنواع قارضة كالتى تحيا على أجساد الطيور، والقمل القارض لا يمتص الدم مثل القمل الماص، ولكنه يتغذى من نتاج الجلد كالقشور، ويحدث تهيجًا شديدًا فى الجلد.

أهـم الأمـراض التى ينقلهـا القمـل

١ـ التيفوس الوبـائى.

٢ـ الحمى الراجعة.

١ـ التيفوس الوبائى:

ينتقل هذا المرض الوبيل بواسطة القمل، فتخرج جراثيم المرض فى براز القمل المصاب بـالعدوى، فـإذا لدغ الإنسان، وأراد الإنسان أن يحك جلده مكان اللدغة بأظافره، فإنه بذلك يسبب دخول الميكروب فى الجلد، ومنه إلى دم الإنسان؛ فيصاب بـالعدوى ويمرض، ويحدث المرض على شكل وبـاء يجتـاح منـاطق واسعة.. وحدث ذلك فى عصور سابقة وفى أعقاب الحروب، وفى عصرنا هذا تحدث أوبئة التيفوس أحيانًا فى قارة إفريقيا فى كلٍ من إثيوبيا ورواندا، وفى قارة أمريكا الجنوبية، وفى قـارة آسيا، وأكثرهـا فى أفغـانستان وتظهر الأعراض بقشعريرة وارتفـاع حـاد فى درجة الحرارة، وصداع، وآلام شديدة فى جميع أنحـاء الجسم.

ويحدث إمساك بـالبطن، واحتقـان بـالوجه، واحمرار بـالعينين، ويظهر على الجلد طفح يميل إلى الاحمرار، وفى الأسبوع الثـانى يحدث هذيـان، ويجف اللسان، وتزداد الأعراض شدة، وتحدث أكثر الوفيـات فيه، وبنهـاية الأسبوع الثـانى من ظهور الأعراض تبدأ حرارة الجسم فى الـهبوط نحو مستواهـا الطبيعى.

٢ـ الحمى الراجعة Louse - borne Relapsing Fever:

هى الحمى الراجعة المنقولة بـالقمل، وينتشر الميكروب فى جسد القمل المصـاب، فـإذا حك الإنسـان جلده إذا لدغته قملة، فـإن أظافره وأصابعه تمزق جسد القملة، هنـالك تخرج الجراثيم وتدخل جسم الإنسان من خلال الجلد.

وتظهر أعراض المرض على نوبـات متكررة، تفصلهـا فترات من اختفاء الأعراض، وتبدأ كل نوبة بـارتفـاع شديد فى درجة الحرارة، وقشعريرة بـالجسم، وتسارع بـالنبض وصداع شديد، واحمرار بـالعينين، ونزيف من الأنف، ويظهر طفح جلدى، وتستمر كل نوبة من ٤ ـ ١٠ أيام، تنتهى بعرق غزير، وهبوط بـالضغط، قد يصحبه هبوط بـالدورة الدموية قد يودى بحيـاة المريض.

العلاج الوقائى للإصابة بالقمل:

القضاء على القمل:

١ـ بـالمبيدات ٢ـ بحلق شعر الرأس.

وهذا مـا ذكرته الأحـاديث النبوية المشرفة، فى ضرورة حلق الرأس فى الحج، وهو وقت يزدحم فيه النـاس ازدحـامًا شديدًا، أمـا قبل حلق الرأس فكـانت السنة النبوية بـاستعمـال مواد تقتل القمل وبيضه، ولم يكن فى العصور القديمة أفضل من استعمـال العسل وتلبيد الشعر به، وذلك يقتل القمل ويمنع انتشـاره، فـإذا لم يقتل بعض القمل فـإنه لا يتنـاثر من رأس الإنسـان المصـاب بـالقمل.

وهكذا أرشدت السنة النبوية المشرفة إلى أفضل علاج وقـائى للإصابة بـالقمل، وفى ذلك إعجاز علمى مبين.

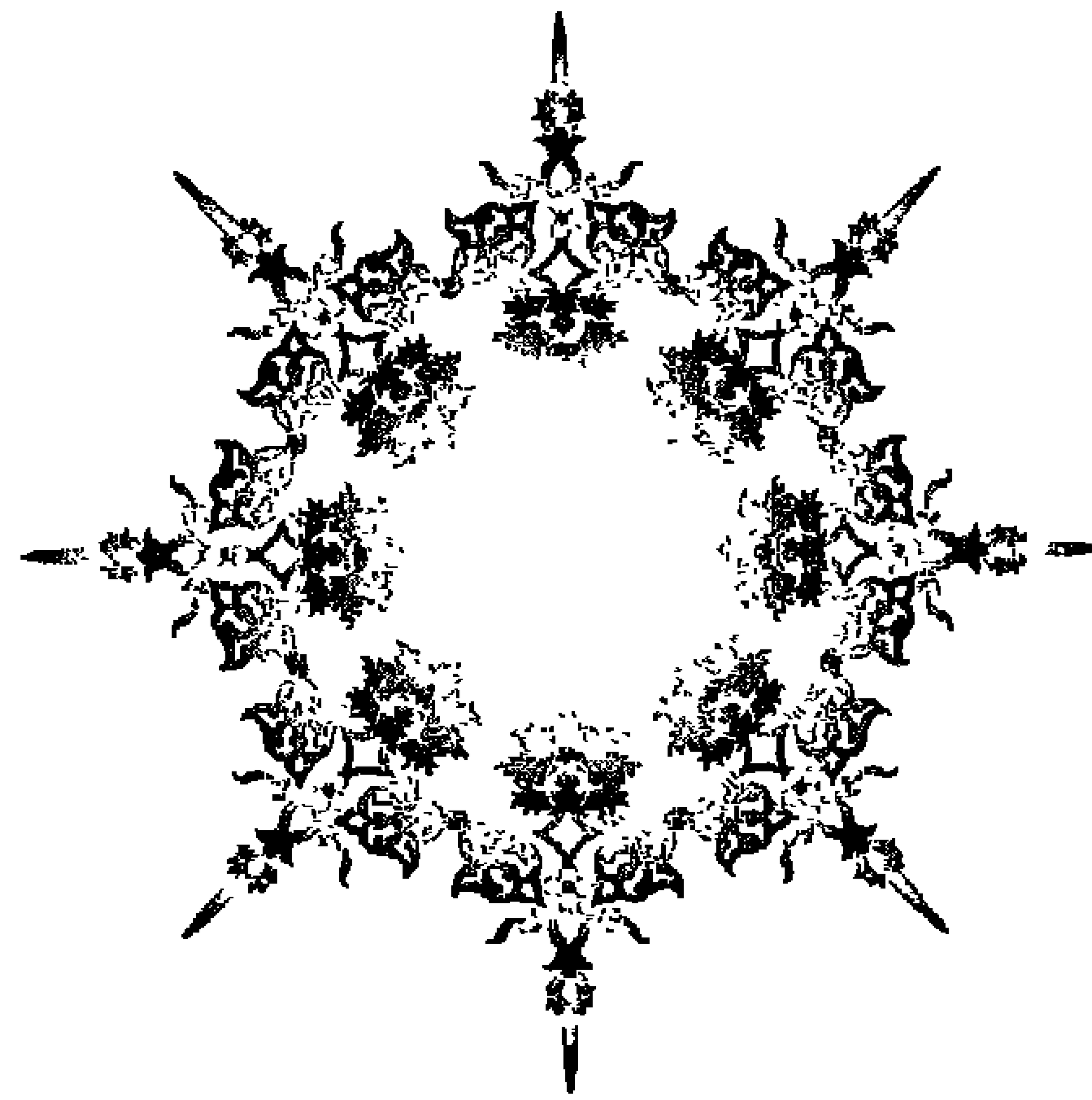
أما النساء فليس عليهن فى الحج حلق، ولكن عليهن التقصير فقط، وتتم الوقاية من انتشار القمل من رءوسهن - إن كان فيهن قمل - إلى غيرهن بواسطة غطاء الرأس الذى يمنع انتشار القمل من الرأس.

وقص القرآن الكريم قصة فرعون وقومه، وكيف أكثروا الفساد والظلم فى الأرض، وبغوا على بنى إسرائيل قوم النبى موسى عليه السلام، فأرسل الله تعالى عليهم خمس كوارث، واحدة وراء الأخرى، وكانوا بعد أن تحل بهم كارثة يهرعون إلى النبى موسى، يطلبون منه أن يدعو ربه لرفع الكارثة عنهم، ووعدوه إن فعل ذلك، ورفعت عنهم العقوبة، أن يؤمنوا برب موسى، ويدعو النبى موسى ربه، فيرفع الله تعالى عنهم العقوبة، فينكثون عهدهم، ويعودون إلى ظلمهم وبغيهم فيرسل الله تعالى عليهم كارثة أخرى، ويتكرر ما حدث فى الأولى، ويرسل الثالثة وهكذا.

قال تعالى يحكى عن قوم فرعون: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

ولم يفسر المفسرون القدامى القمل تفسيرًا صحيحًا، لأن كارثة إرسال القمل تسبب أضرارًا بالغة بالقوم، ومصائب هائلة، فاستكثروا أن يحدث ذلك من القمل، لأنهم لم يكونوا على علم بخطر القمل فى نقل الأمراض الوبيلة للجسم، وأنه السبب فى حدوث كوارث صحية رهيبة، لذلك فسروا القمل على أنه الجراد الصغير كما قال قتادة، أو السوس الذى يفسد الحنطة، كما قال ابن عباس، والقراد الذى يضر بالدواب، كما قال أبو عبيدة.

ونحن نفسر كلمة القمل على ظاهر لفظها، فهو القمل الناقل للأمراض الخطيرة التى ذكرناها والتى كانت تسبب أوبئة مهلكة لأولئك القوم.



٣ عثة الفراش

■ أخرج الإمام مسلم، عن إسحاق بن موسى الأنصارى، عن أنس بن عياض، عن عبيد الله، عن سعيد بن أبى سعيد المَقْبُرى، عن أبيه، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخلة إزاره فلينْفُضْ بها فراشه، وليسم الله، فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه، فإذا أراد أن يضطجع، فليضطجع على شقه الأيمن، وليقل: سبحانك اللهم ربى، بك وضعت جنبى، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسى فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**».

ـ داخلة إزاره: أى طرف إزاره.

■ أخرج الإمام البخارى عن أحمد بن يونس، عن زهير، عن عبيد الله، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرىّ، عن أبيه، عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال النبى ﷺ: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينْفُضْ فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدرى ما خلفه عليه. ثم يقول: باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه، إن أمسكت نفسى فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**».

قال القرطبى: حكمة الحديث تنفيض الفراش، وأما اختصاص ذلك بداخلة الإزار فلم يظهر لنا، وقد يكون ذلك خاصية طبية تمنع من قرب بعض الحيوانات.

وقال الكرمانى: إن الحكمة فيه أن يده حين النفض مستورة، لئلا يكون هناك شىء، فيحصل فى يده ما يكره.

وقال الطيبى: معناه: لا يدرى ما وقع فى فراشه بعدما خرج منه من تراب أو قذارة أو هوام.

وهكذا وصل العلماء قديمًا إلى الحكمة فى تنفيض الفراش، وإن لم يصلوا إلى الحقيقة العلمية، التى لم يصل العلماء إليها إلا فى الستينيات من القرن العشرين.

■ وأخرج الأئمة أحمد، وأصحاب السنن، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى، عن عبيد الله بن عمر، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قام أحدكم من الليل، ثم رجع إلى فراشه، فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدرى ما خلفه عليه بعده، ثم ليقل: باسمك اللهم وضعت جنبى، وباسمك أرفعه، اللهم إن أمسكت نفسى فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين**».

وفى رواية أخرى: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره، فإنه لا يدرى ما حدث عليه بعده**»... إلخ الحديث الشريف.

هذا الحديث النبوى الشريف ـ بكل رواياته ـ يتحدث عن (عثة الفراش) أو (عثة الغبار). (House dust mite) وهذه موجودة فى غبار المنزل وأغطية الفراش.. وأثبتت الدراسات الحديثة منذ السبعينيات من القرن العشرين، أن عثة الفراش أو عثة غبار المنزل هى المسئولة عن أمراض الحساسية والربو الشعبى، والأمراض الجلدية، وتزداد خطورة الإصابة بعثة الفراش بإهمال تنظيف المنازل، وتنفيض أغطية الفراش من الأتربة، وتنفيض المفروشات الأرضية.

وعثة الفراش توجد بالملايين فى الفراش الواحد الذى لم ينفض جيدًا، وهى صغيرة الحجم جدًا فطولها أقل من ½ ملليمتر، فلا ترى بالعين المجردة، وهى ليست حشرة؛ لأن لها ثمانية أرجل، وليس لها أعين، وتعيش نحو ثلاثة أشهر وتضع نحو ٥٠ بيضة كل ثلاثة أسابيع، وحتى العثة الميتة إذا انتشرت فى غبار المنزل فإنها تسبب أمراض الحساسية المختلفة، وأكثر من ٥٠٪ من المنازل فى الأحياء الراقية بها عثة الفراش، وأفضل وقاية منها هو استخدام المكانس الكهربائية التى تشفط الغبار من السجاد وأغطية الفراش، وبهذه الطريقة يمكن التخلص من أغلب العثة الموجودة بالمنزل.

ولقد أرشدنا الحديث النبوى الشريف إلى أهمية تنفيض أغطية الفراش قبل أن ننام عليها؛ لأن التنفيض يخلص الفراش من عثة الفراش.



٤ الجـــــــــــرب


عثة الجرب

■ أخرج الإمامان البخارى ومسلم، عن إبراهيم بن سعد، عن صالح، عن ابن شهاب، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى ولا صفر ولا هامة**». فقال أعرابى: فما بال الإبل تكون فى الرمل كالظباء، فيأتى البعير الأجرب فيدخل بينها فيُجربها! فقال ﷺ: «**فمن أعدى الأول؟**».

■ أخرج الإمام أحمد فى المسند عن وكيع، عن أبى جناب عن أبيه عن أبيه، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة**». فقام رجل من القوم، وقال: يا رسول الله، أرأيت البعير يكون به الجرب، فتجرب الإبل! فقال ﷺ: «**فمن أعدى الأول؟!**».

■ أخرج الإمام أحمد فى المسند عن يونس، عن حماد، عن ابن المهزم، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ مر بسخلة جرباء، قد أخرجها أهلها، فقال: «**أترون هذه هينة على أهلها؟**». قالوا: نعم، قال: «**للدنيا أهون على الله عز وجل من هذه على أهلها**».

قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى ولا صفر ولا هامة**».

الصفر: كان العرب فى الجاهلية يعتقدون أن فى البطن نوعًا من الدود يهيج أحيانًا، فيصيب المريض بآلام حادة فى البطن، قد تودى بحياته، فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك الاعتقاد المخطئ.

قال ﷺ: «**ولا هامة**».

الهامة: واحدة من الهوام، وهى الحشرات التى تؤذى الإنسان كالقمل والجرب والبعوض، وهذه حشرات موجودة، وضررها مؤكد وثابت علميًا، وإذا كان الحديث النبوى الشريف ينفيها فهو ينفى إرادتها فى إحداث الإيذاء بالإنسان، فالحشرات المؤذية جميعًا ـ أى الهوام ـ لا تضر بإرادتها، فليس لها عقل، وليس لها إرادة، ولا تضر إلا إذا أراد الله تعالى ذلك، وساقها وسخرها لإيقاع الضرر بمن أراد الله تعالى إصابته، شأنها فى ذلك شأن جراثيم المرض، إن شاء الله سبب العدوى بالمرض، وإن شاء صارت العدوى كأن لم تكن.

وبذلك تحقق قوله ﷺ: «**لا عدوى ولا صفر ولا هامة**».

وكان العرب فى الجاهلية يعتقدون أن الرجل إذا قُتل ولم يُؤخذ بثأره من قاتله تخرج من رأسه دودة ـ أى هامة ـ تدور حول قبره وتقول: (اسقونى اسقونى). ولا تزال تفعل ذلك حتى يُؤخذ بثأره، فعلّم رسول الله ﷺ أن ذلك الاعتقاد لا أساس له من الصحة.

وتعلّم السنة النبوية كيف نتقى العدوى من الأمراض، فيقول رسول الله ﷺ:

«**لا يُوردَنّ ممرض على مصح**». رواه الشيخان عن أبى هريرة، أى لا يدخل مريض على سليم فيعديه.

وفى الصحيح قوله ﷺ: «**لا عدوى**». وظنّ كثيرٌ من العلماء فى تلك الأحاديث المشرفة تعارضًا، أو خطأ علميًا، لأن العدوى حقيقة ثابتة، كما يقول الأطباء فى علومهم التجريبية.

وحتى نفهم المغزى العلمى فى الحديث النبوى، نتذكر خطوط الدفاع ضد جراثيم المرض فى الجسم ونتذكر أيضًا جهاز المناعة الذى يقاوم العدوى بالجراثيم[1].

وما إن تدخل جراثيم المرض الجسم، حتى تقوم معارك بين تلك الجراثيم وخطط الدفاع والمناعة فى الجسم، والإنسان لا يدرى ما يحدث فى نفسه، ولا دخل لإرادته فيه، كما أن جهاز المناعة وخطط الدفاع قد تنشط وتقوى حينًا، وتضعف حينًا آخر، وكذلك جراثيم المرض قد تزداد شراستها تارة، وتختفى أو تضعف تارة أخرى.

ونتيجة كل ما سبق أن العدوى بجراثيم المرض قد تصيب الجسم بالمرض حينًا، وهى هى لا تصيبه بالمرض حينًا آخر.. فالعدوى قد تصير عدوى تارة، وقد تصير لا عدوى تارة أخرى.. ولا دخل للجراثيم ولا لخطط المناعة فى ذلك، فالأمر معلق بإرادة الله عز وجل، فإذا رددنا الأمر إلى علم الأطباء نقول: هناك عدوى، ولابد من أن نتفاداها بمنع المريض من الاختلاط بالإنسان السليم، ولقد ذكر ذلك رسول الله ﷺ: «**لا يُورِدَنَّ ممرض على مصح**».

وإذا رددنا الأمر إلى إرادة الله تعالى نقول: لا عدوى.. لأن شأن العدوى تكون أو لا تكون، معلق بإرادة الله عز وجل فذلك حديث رسول الله ﷺ: «**لا عدوى**». ونجد ذلك فى قول الله عز وجل: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

وهناك دليل واضح على أن العدوى فى أصلها (لا عدوى) وأنها من أمر الله عز وجل، فإنسان أصيب بالسل مثلاً، من أعداه؟ نقول: مريض آخر بالسل، فنقول: ومن أعدى الإنسان الآخر؟ فيقولون: مريض ثالث. فنقول: إذا رددنا الأمر إلى أول الخلق، فمن أعدى أول مريض بالسل، حيث لم يكن مريض بالسل قبله؟.. وكذلك الأمر فى الجرب.. أول مريض بالجرب فى أول الخلق حيث لم يكن مريض بالجرب، من أعدى أول إنسان بالجرب؟ إنه لا عدوى.. ولكن الأمر بيد الله عز وجل الذى خلق ميكروب السل أول مرة وأدخله فى جسد إنسان فمرض بالسل، وكذلك الأمر فى العدوى بالجرب، فذلك الأعرابى الذى قال ردًّا على نفى رسول الله ﷺ للعدوى: فما بال الإبل تكون كالظباء فى الرمل فيأتى البعير الأجرب فيجربها؟ فيقول رسول الله ﷺ: «**فمن أعدى الأول؟**» أى: فمن أعدى بالجرب أول بعير فى بدء الخلق حيث لم يكن بعير آخر مصابًا بالجرب؟! فلا مناص من أن نؤمن بأن شأن العدوى، تكون أو لا تكون، معلق بقضاء الله وقدره.

وهناك جراثيم للأمراض مثل جراثيم الالتهاب السحائى الوبائى، قد تكون شديدة التأثير فتصيب الإنسان بعدوى المرض فيسقط صريع المرض، وقد يصاب إنسان بالعدوى بتلك الجراثيم نفسها، فلا يمرض، وإنما يصير حاملاً للجراثيم فقط، ولا تسبب له ضررًا ولا مرضًا.

ويسمى (حامل الميكروب فقط) ويكون مصدرًا لعدوى غيره بالمرض.

وما سبب الجرب؟ إنه عثة تسمى Sarcoptes Scabiei صغيرة الحجم جدًّا (قطرها $\frac{1}{3}$ ملليمتر) وهى ليست من فصيلة الحشرات، فلها ثمانية أرجل.

ويوجد فى العالم مائتا مليون شخص يصابون كل عام بالجرب، كما يوجد فى الدواب الأخرى، وتُنقل عثة الجرب عن طريق الاحتكاك المباشر.

وتسبب الإصابة بعثة الجرب شعورًا بالحكة الشديدة فى مكان الإصابة، وذلك يسبب طفحًا جلديًّا موضعيًّا وتختبئ عثة الجرب فى أنفاق فى الجلد، وله طرق للعلاج فى الطب.

وتخترق عثة الجرب الجلد، وتسبب حكًا وهرشًا شديدًا، وخاصة أثناء الليل.

---

(١) انظر كتاب الطب الوقائى للمؤلف ص ١٢٦ ـ ١٣٣.

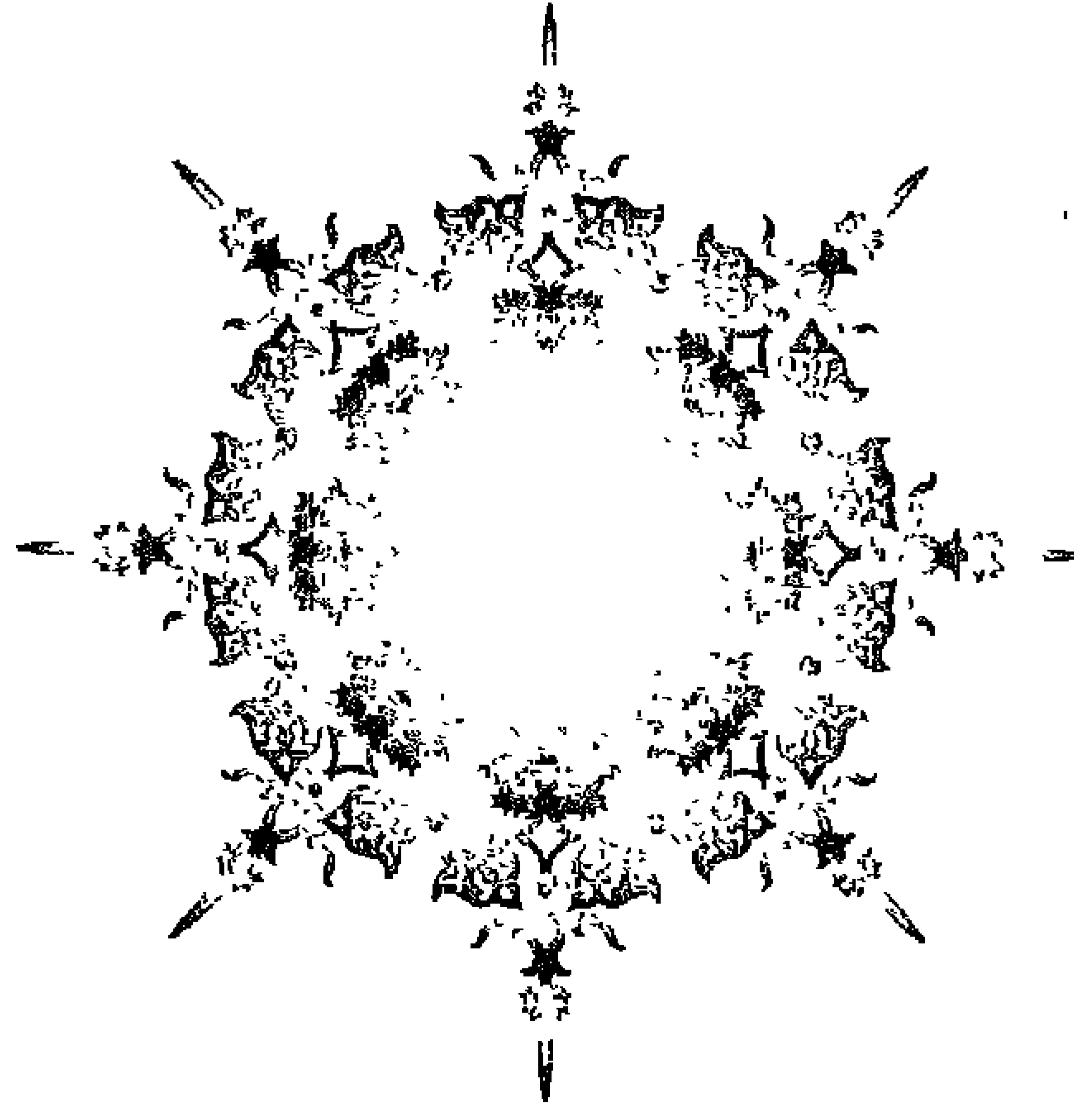
طريقة العدوى بالجرب:

عثة الجرب سريعة الانتشار جدًّا، ولا تعيش بعيدًا عن جسد دافئ ـ وطريقة العدوى احتكاك جلد إنسان لمدة طويلة، بجلد إنسان آخر مريض بالجرب، ولا ينتقل بالسلام باليدين أو لبس ملابس إنسان مريض بالجرب لم يستعملها منذ يومين مثلاً.

الإصابة بالجرب:

أورام صغيرة، وبثرات داكنة اللون بين الأصابع أو على ظاهر اليد أو بين الفخذين.

وليس كل بثرة تعنى وجود عثة الجرب، والجرب فتحات صغيرة سوداء مثل الجحر له فتحة دخول وفتحة خروج، أو على شكل نفق يتراوح طوله من ٢ ـ ٣ ملليمتر، لذلك فمن الصعب رؤيتها، وتضع الأنثى بيضها فى ذلك النفق، وتخرج من كل بيضة عثة جديدة، تظل داخل النفق تحت الجلد، وتتكاثر.. ويمكن إخراج العثة من النفق بواسطة إبرة صغيرة، لدراستها.

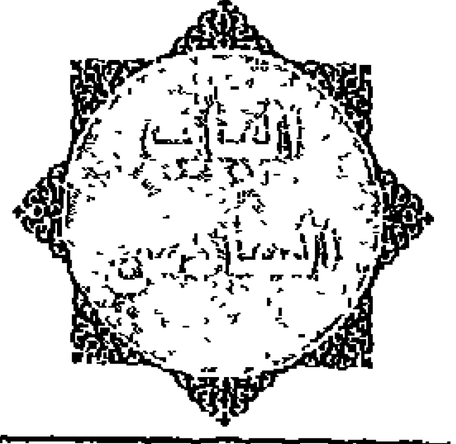




الطفيليات من الديدان

١ ـ البلهارسيا والإنكلستوما .

٢ ـ الديـــدان الخيطيـة .



الطفيليات من الديدان

١ البلهارسيا والإنكلستوما

■ أخرج الإمام البخارى عن أبى الزناد، عن عبد الرحمن بن هُرْمز الأعرج، عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يغتسل فيه**».

■ وأخرج الإمام أبو داود عن الحسن، عن أشعث بن عبد الله، عن الحسن، عن عبد الله بن مُغفّل، قال: قال رسول ﷺ: «**لا يبولنّ أحدكم فى مُسْتَحَمّه ثم يغتسل فيه**».

■ وأخرج الإمام ابن ماجه عن محمد بن رُمْح، عن الليث بن سعد، عن أبى الزبير، عن جابر أن رسول الله ﷺ نهى عن أن يُبال فى الماء الراكد.

■ وأخرج الإمام ابن ماجه، عن أبى بكر بن أبى شيبة، عن أبى خالد الأحمر، عن ابن عجلان، عن أبيه، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يبولن أحدكم فى الماء الراكد**».

■ أخرج الإمام مسلم عن زهير بن حرب، عن جرير، عن هشام، عن ابن سيرين، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يغتسل منه**».

- وفى رواية عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن هَمّام بن مُنَبِّه، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَبُلْ فى الماء الدائم الذى لا يجرى، ثم تغتسل منه**».

■ أخرج الإمامان أبو داود، وابن ماجه، عن نافع بن يزيد، عن حيوة بن شريح، عن أبى سعيد الحِمْيَرِىّ، عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد، والظل، وقارعة الطريق**».

(الملاعن) جمع ملعنة، وهى الفعلة التى يلعن صاحبها. (البراز) كناية عن التبرز.

فنهى عن التبرز فى موارد الماء، والمكان الذى لا تصله الشمس، ووسط الطريق.

■ أخرج الإمام أحمد، عن ابن لهيعة، عن ابن هبيرة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الملاعن الثلاث**». قيل: وما الملاعن الثلاث يا رسول الله؟ قال: «**أن يقعد أحدكم فى ظل يستظل فيه، أو فى طريق، أو فى نقع ماء**»، (يقعد) كناية عن التبرز.

معظم البلاد النامية تقع فى المناطق الحارة والمدارية، ويتعرض الناس فى هذه المناطق من العالم لكثير من الأمراض المستوطنة، التى لا توجد فى غيرها فى بلاد العالم الأخرى إلا نادرًا، ومن هذه الأمراض البلهارسيا والإنكلستوما.

مرض البلهارسيا:

مرض يصيب الجهاز البولى أو الجهاز الهضمى أو الكبد، وسبب هذا المرض طفيل من ذكر وأنثى يعيش فى الماء الراكد فى الترع وقنوات الماء، ويتعرض غالبية المزارعين لهذا المرض، وهو مرض واسع الانتشار فى إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية، وهو أنواع كثيرة منها ما يصيب الحيوان فقط، ومنها ما يصيب الإنسان.

والبلهارسيا مرض قديم لم يكن سببه معروفًا حتى عام ١٨٦١م عندما اكتشف العالم الإنجليزى تيودور بلهارس طفيل هذا المرض بالقاهرة، ومن هنا جاء اسم (بلهارسيا) نسبة إلى مكتشف طفيل المرض.

وقد وجدت بويضات البلهارسيا فى مومياء فرعونية يرجع تاريخها إلى ١٢٥٠ سنة ق.م.

وأهم أعراض المرض: بول دموى مع الشعور بحرقان بمجرى البول، أو براز دموى مع آلام شديدة بالبطن، وبعد ذلك فى الأطوار الأخيرة من المرض: تضخم بالكبد والطحال واستسقاء بالبطن، وهبوط وظائف كل من الكبد والكلى.

طفيل البلهارسيا

والبلهارسيا ثلاثة أنواع:

١ـ البلهارسيا البولية: وتصيب الجهاز البولى أكثر مما تصيب الجهاز الهضمى والكبد.

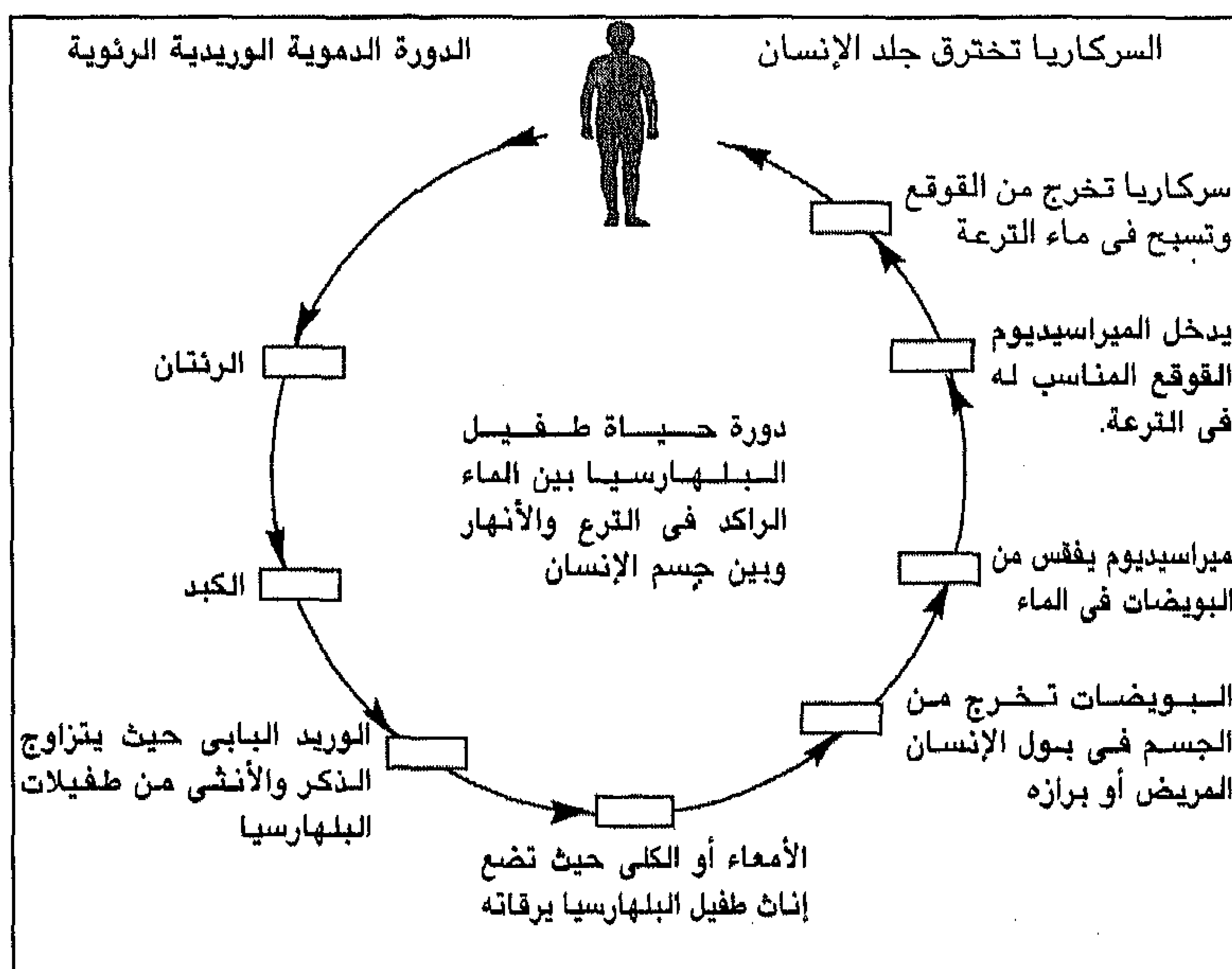
٢ـ البلهارسيا المعوية: وتصيب الجهاز الهضمى والكبد أكثر مما تصيب الجهاز البولى.

٣ـ البلهارسيا اليابانية: وتصيب الجهاز الهضمى والكبد.

وللطفيل بويضات تختلف باختلاف نوعه، ويكمن خطرها فى أن كل بويضة بها شوكة حادة، تخترق جدار المثانة، أو جدار الأمعاء، وتخرج مع البول أو البراز، وأثناء خروجها تمزق الأوعية الدموية الدقيقة فى جدار كل من الأمعاء والمثانة فيخرج الدم مع البول أو البراز.

دورة حياة طفيل البلهارسيا:

المريض هو مصدر العدوى، فإذا تبول أو تبرز فى موارد الماء الراكد الذى لا يتحرك، تصل بويضات الطفيل إلى الماء، وتفقس وتخرج منها يرقات صغيرة يسمونها (ميراسيديوم)، وتسبح فى الماء حتى تجد القوقع المناسب لها، والموجود فى الماء الراكد الذى لا يجرى فى الترع وموارد المياه، فإذا لم تجده فسوف تموت، وإذا وجدته فسوف تدخل فيه وتستقر فى كبده، وتتكاثر وتتطور إلى طور اليرقة المعدية، التى تسمى (سركاريا) تخرج من القوقع إلى الماء، وتسبح فيه بنشاط عجيب، حتى إذا وجدت جسد إنسان، اخترقت جسده، وتنطلق داخل جسمه، حتى تصل إلى الدورة الدموية، ومنها تصل إلى القلب ثم إلى الرئتين، وتسبح ضد تيار الدم، وتصل فى النهاية إلى الوريد البابى الذاهب إلى الكبد، فتثبت نفسها على جدرانه، وتمتد حتى تصل إلى الطور البالغ من الطفيل: من ذكر وأنثى.



وطول الطفيل الذكر نحو سنتيمتر واحد، وعرضه ملليمتر واحد، وتوجد فى جسده ثلاث خصى، أما الطفيل الأنثى فهو دودى الشكل طوله نحو ٢ ملليمتر وعرضه ¼ ملليمتر، ويلف الذكر نفسه على شكل نصف أسطوانة، ويحتضن الأنثى، ولا يتركها ولا تتركه، إلا حينما تذهب لتضع بيضها فى جدار المثانة أو فى جدار الأمعاء، والطفيل الذكر يحملها معظم الطريق.

لم يكن سبب مرض البلهارسيا معروفًا قط قبل القرن التاسع عشر ولم تكن دورة حياة طفيل البلهارسيا معروفة أيضًا، ولم يكن أحد يتخيلها قبل عام ١٨٦١م. فإذا ذكر الحديث النبوى الشريف ما يتوافق تمامًا مع المكتشفات العلمية الحديثة فإن ذلك يعد إعجازًا علميًّا عظيمًا.

علاج البلهارسيا:

العلاج الوقائى، هو أهم أنواع العلاج، وأساسه عدم التبول فى الماء الراكد والاغتسال فيه، وهناك أدوية فعالة لقتل طفيل البلهارسيا، إلا أن العلاج الأهم هو العلاج الوقائى.

ولم يكتشف العلاج الوقائى إلا فى أوائل القرن العشرين، ولكن الحديث النبوى الشريف ذكره منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان.

فقد ذكرت الأحاديث النبوية صراحةً: «**لا يبولَنَّ أحدُكم فى الماء الراكد ـ أو الدائم ـ ثم يغتسل منه**».

«**أو يغتسل فيه**».. الدورة تتم بالتبول أو التبرز فى الماء الدائم الراكد.. ويَنتهى الأمر بخروج اليرقات المعدية للمرض «السركاريا». فإذا اغتسل إنسان أو استحم فى ذلك الماء، أصابته العدوى، وبدأت فى جسده دورة حياة الطفيل من جديد..

مرض الإنكلستوما:

سببه الرئيسى التبرز على شواطئ الأنهار والطريق وفى الظل.. تخرج اليرقات المعدية من ديدان الإنكلستوما وتخترق جلد الإنسان حافى القدمين، وتأخذ طريقها فى جسده إلى أن تصل إلى الأمعاء وتثبت نفسها على جدرانها وتمتص دمه وتصيبه بأنيميا أو فقر دم. ولا علاج إلا العلاج الوقائى وهو عدم التبرز فى موارد المياه والطرق. وهذا ما نهى عنه الحديث النبوى الشريف: «**إياكم والملاعن الثلاث: البراز فى الموارد، وقارعة الطريق والظل**».

ولقد ظل العالم يعانى منذ فجر التاريخ، ومنذ أربعة عشر قرنًا ـ من البلهارسيا والإنكلستوما، ولو اتبع الناس الهدى النبوى، وما جاء بالحديث النبوى عن الطب الوقائى لوفروا على أنفسهم ويلات ذلك المرض قرونًا وقرونًا.

ونلاحظ أن الحديث النبوى يتحدث عن الماء الدائم الذى لا يجرى ـ وهو فى الأنهار ـ وليس فى الجزيرة العربية أنهار.. مما يقوم دليلاً على أن الإسلام لم ينزل للعرب فى الجزيرة العربية وحدها، ولكن نزل للعالم كله. ولكل مكان وزمان.

ومن العجيب أن تخرج علينا بعض الكتب العلمية فى العالم العربى بآراء علمية فى منتهى الغرابة، وفيها تجنٍّ على الإسلام، تقول تلك الكتب: إن السبب الرئيسى فى استمرار مرض البلهارسيا، هو تعاليم الإسلام التى تحتم على كل مسلم أن يتبول أو يتغوط فى ماء النهر ثم يغتسل ويتوضأ منه!

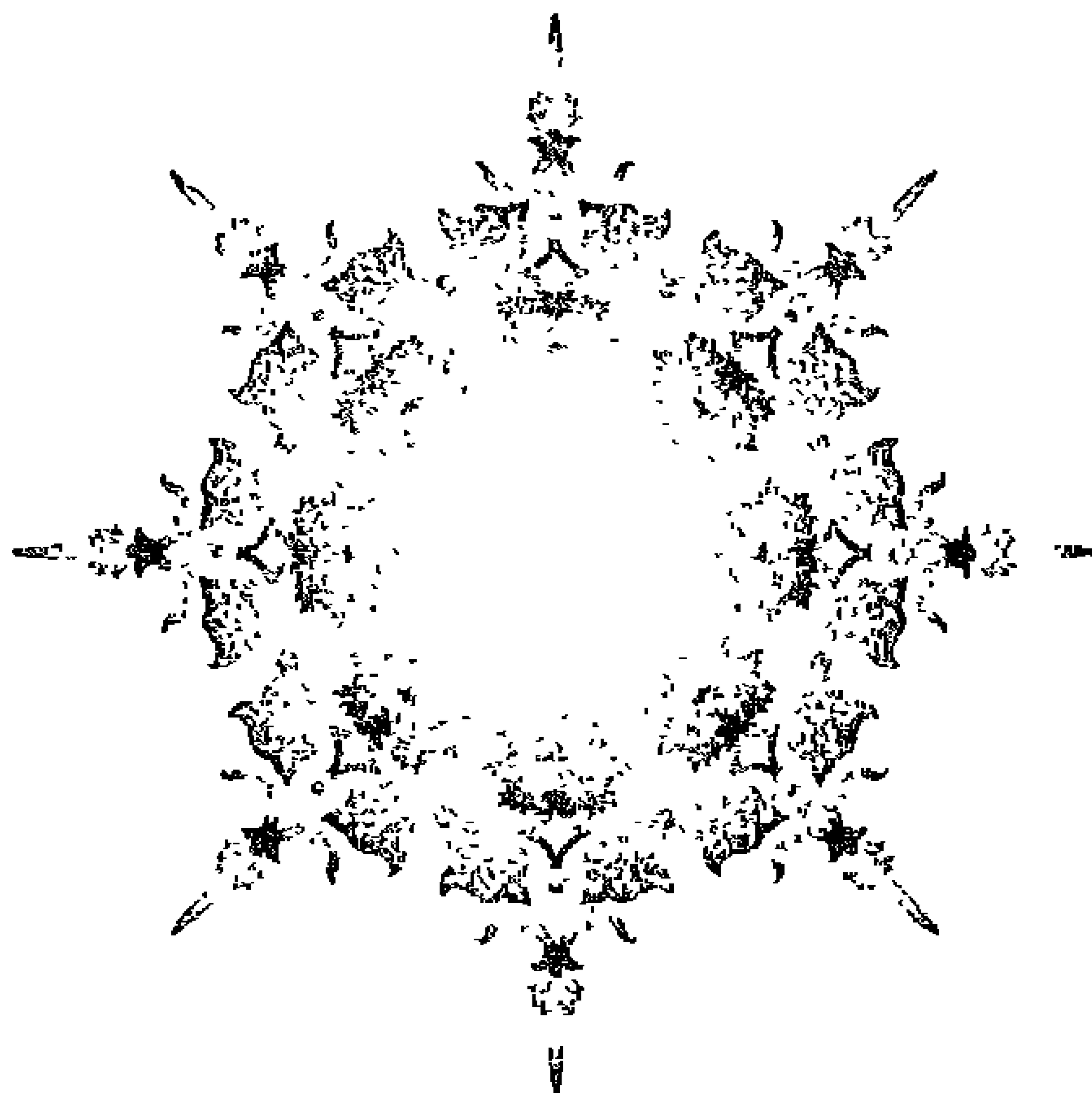
إن الهجوم على الإسلام لم يتوقف منذ نزول الرسالة وإلى اليوم، وإلى ما شاء الله.

والافتراءات والأكاذيب ضد الإسلام وصلت إلى الكتب العلمية والتخلى عن الأمانة العلمية فى الدراسة!!.. وكذبهم واضح ومفضوح، فهل المسلمون هم سبب انتشار البلهارسيا فى أوغندا وكينيا، أو فى فنزويلا والبرازيل؟!! أو فى الصين واليابان؟!!

.. وقد ثبت أن المصريين القدماء كانوا يعانون من مرض البلهارسيا.. فهل كانوا مسلمين يتوضئون فى ماء الأنهار؟!!

إن الأحاديث النبوية نهت عن التبول والتبرز فى ماء الأنهار والترع والماء الدائم الذى لا يجرى ثم نغتسل منه.

وهذا أساس العلاج الوقائى لكل من البلهارسيا والإنكلستوما، والذى لم يكتشفه العلماء إلا بعد عصر النبوة بثلاثة عشر قرناً من الزمان!



٢ الـــديـــدان الخيـــطـــيـــة

■ أخرج الإمام أحمد، والأئمة أصحاب السنن، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب، عن أبى سلمة بن عبدالرحمن، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا استيقَظَ أحدُكم من الليل فلا يُدخل يده فى الإناء حتى يُفرغ عليها مرتين أو ثلاثًا. فإن أحدكم لا يدرى أين باتت يده**»، (يُفرغ عليها) أى يصب عليها الماء ويغسلها.

■ وفى رواية عبد الملك بن أبى سليمان، عن أبى الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قامَ أحدكم من النوم، فأرادَ أن يتوضأ، فلا يُدخل يده فى وَضوئه حتى يغسلها، فإنه لا يدرى أين باتت يده، ولا على ما وضعها**».

ـ الحديث النبوى الشريف يرشد الناس إذا قام أحدهم من نومه، فلا يضع يده فى طعام أو شراب، إلا بعد أن يغسل يده جيدًا، لأن فى ذلك حكمة طبية، فإنه لا يدرى أين باتت يده، ولا على ما وضعها. وفى ذلك إعجاز علمى سنذكره فى شرح الحديث الشريف.

■ وأخرج الإمام أحمد فى المسند عن همام، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يضَعْ يدَهُ فى الوَضوء حتى يغسلها، إنه لا يدرى أحدكم أين باتت يده**».

رواية الإمام أحمد تذكر الوضوء، وأن الإنسان يجب ألا يدخل يده فى ماء الوضوء حتى يغسلها جيدًا، لأن ماء الوضوء يصل إلى الفم، فإذا علق بأصابع الإنسان شىء، ولم يغسلها، وصل ذلك الشىء إلى فمه.

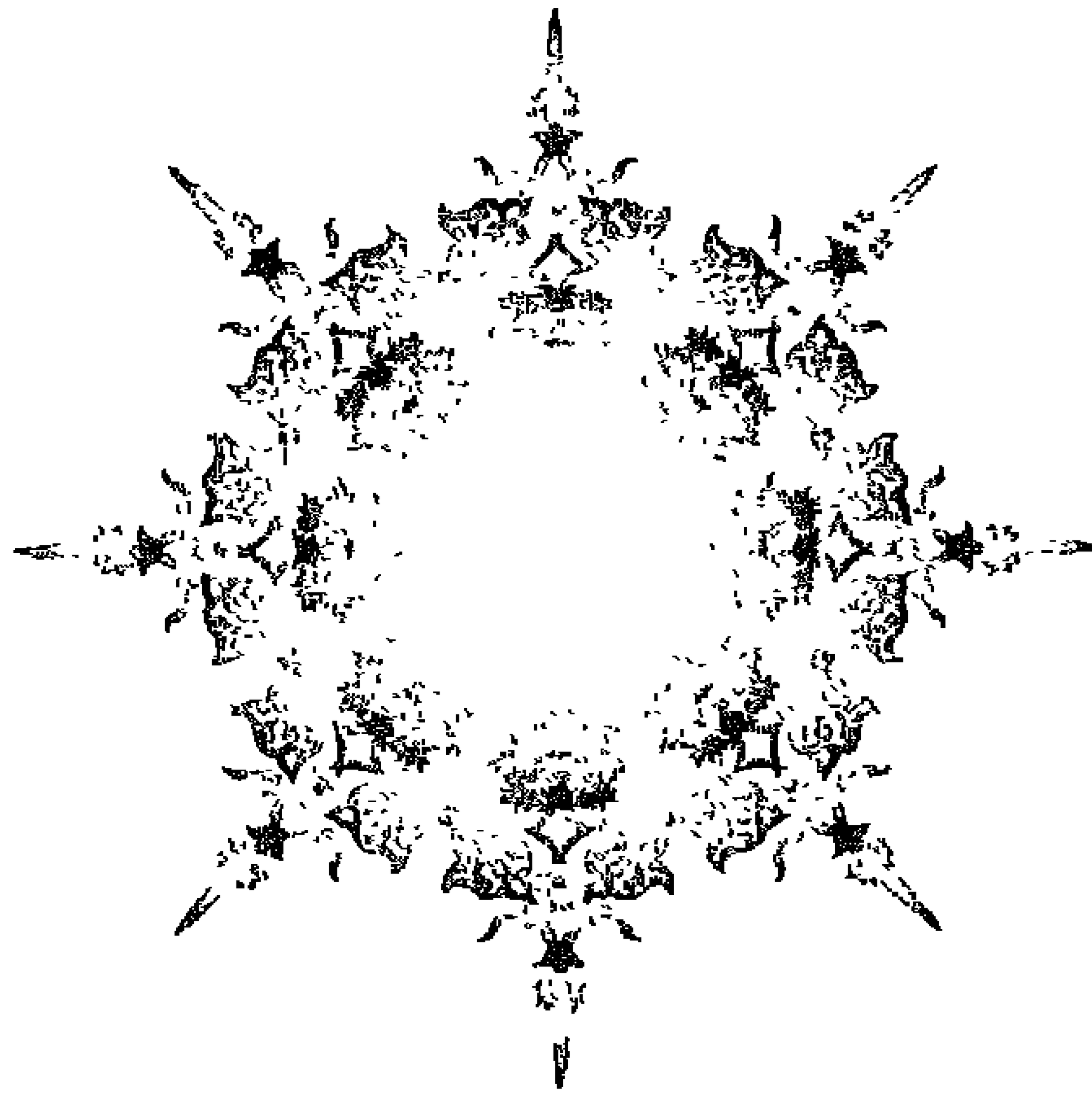
ـ وفى رواية محمد بن جعفر، عن شعبة، عن خالد، عن عبد الله بن شقيق عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**إذا استيقظ أحدكم من منامه، فلا يغمس يده فى إنائه حتى يغسلها ثلاثًا، فإنه لا يدرى أين باتت يده**».

الديدان الخيطية نوع من الديدان الطفيلية، على شكل خيوط دقيقة، وهى من ذكر وأنثى، طول الدودة الذكر من ٢ إلى ٥ ملليمترات، والدودة الأنثى أكبر، فطولها من ٨ ـ ١٢ ملليمترًا، أى أن هذه الديدان طولها من ربع سنتيمتر إلى سنتيمتر تقريبًا، فهى ديدان صغيرة، إلا أن دورة حياتها عجيبة، فتلقح الدودة الذكر الدودة الأنثى داخل أمعاء الإنسان (الأمعاء الغليظة)، وتخرج الدودة الأنثى أثناء النوم ليلاً إلى خارج الأمعاء عبر فتحة الشرج، وتضع بيضها فى المنطقة المحيطة بها، وهى إذ تضع بيضها تثبته فى الجلد بمادة تسبب تهيجًا بالجلد، الأمر الذى يدفع الإنسان إلى أن يحك الجلد مكان وضع البيض، فيتعلق البيض بأظافره وأطراف أصابعه، فإذا قام من نومه ليلاً واستيقظ صباحًا، فإن يده ـ أصابعه وأظافره ـ تكون حاملة لبيض تلك الديدان، وهذا البيض يحتوى على يرقات كاملة النمو، أى إنها تخرج من البويضة دودة كاملة النمو، فإذا لم يغسل يده جيدًا ليخلصها من تلك البويضات، ثم وضعها فى طعام أو شراب أو ماء وضوء، فإن تلك البويضات تصل إلى الفم، وتسبب عدوى جديدة بهذا النوع من الديدان.

وأكثر الناس إصابة بتلك الدودة هم الأطفال وأمهاتهم، اللاتى يعتنين بأطفالهن المصابين بهذه الديدان. وغسل اليدين جيدًا بعد القيام من النوم يوقف دورة حياة هذه الدودة، وهو أفضل علاج وقائى... ولم يكن ذلك معروفًا لأحد قط، إلا أن رسول الله ﷺ هدى الناس إلى الأسلوب الطبى الوقائى الصحيح، فأمرهم بغسل اليدين جيدًا بعد القيام من النوم، وقبل وضعها فى طعام أو شراب أو ماء وضوء.

وفى هذا إعجاز علمى مبين.

وقد ينام الإنسان فى القيلولة نهارًا، ولكن أثناء ذلك النوم، لا تخرج الديدان من فتحة الشرج، ولا تفعل ذلك إلا بعد القيام من النوم أثناء الليل فذلك حديث رسول الله ﷺ: «**إذا استيقَظَ أحدكم من الليل**» وفى كلمة الليل حقيقة علمية هامة، وفى رواية أخرى: «**فإنه لا يدرى أين باتت يده، ولا على ما وضعها**».. إنها حقائق لم تعرف إلا حديثًا، مما يدل على إعجاز علمى كبير فى الحديث النبوى، والذين ينكرون الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى لا يتكلمون عن فهم، ولا يقولون عن علم صحيح.



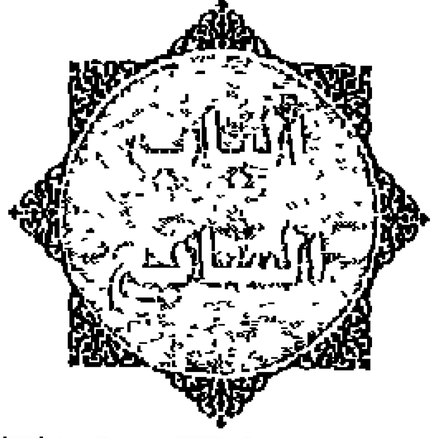


العنكبوتيات

١ ـ تقديم للموضوع.

٢ ـ العنكبوت.

٣ ـ العقارب.



العنكبــوتيـــــات

١ تـــقـــديــم لــلـــمـــوضـــوع

العنكبوتيات لها ثمانية أطراف، فهى ليست من الحشرات، ولكنها حيوانات أو دواب.

والعناكب والعقارب من العنكبوتيات، وللعنكبوتيات زوجان من الأطراف أو الفكوك تستخدم للقبض على الأشياء، وتسمى الملاقط واللوامس القدمية، ولها ثمانى أرجل.

١ـ العناكب:

يقول العلماء إن منها أربعين ألف نوع، ولها مقدرة فائقة فى غزل الحرير، واستخدامه فى بناء بيوتها ومصائدها، ومن أشهر أنواع العناكب:

١ـ عنكبوت المنازل.

٢ـ عنكبوت الحدائق.

٣ـ عنكبوت مجالو مورف، وهو أكبر العناكب حجمًا، طوله ٧ ـ ٨ سم، ويعيش فى المناطق الاستوائية.

٤ـ عنكبوت الأرملة السوداء، ويعيش فى أمريكا الشمالية، وعضته قاتلة.

٥ـ عنكبوت تارانتولا، ويستوطن جنوب أوروبا، وعضته قاتلة.

٦ـ عنكبوت الماء، ويعيش فى البرك والمستنقعات، وينتشر فى بريطانيا.

٧ـ أنواع أخرى وكثيرة من العناكب.

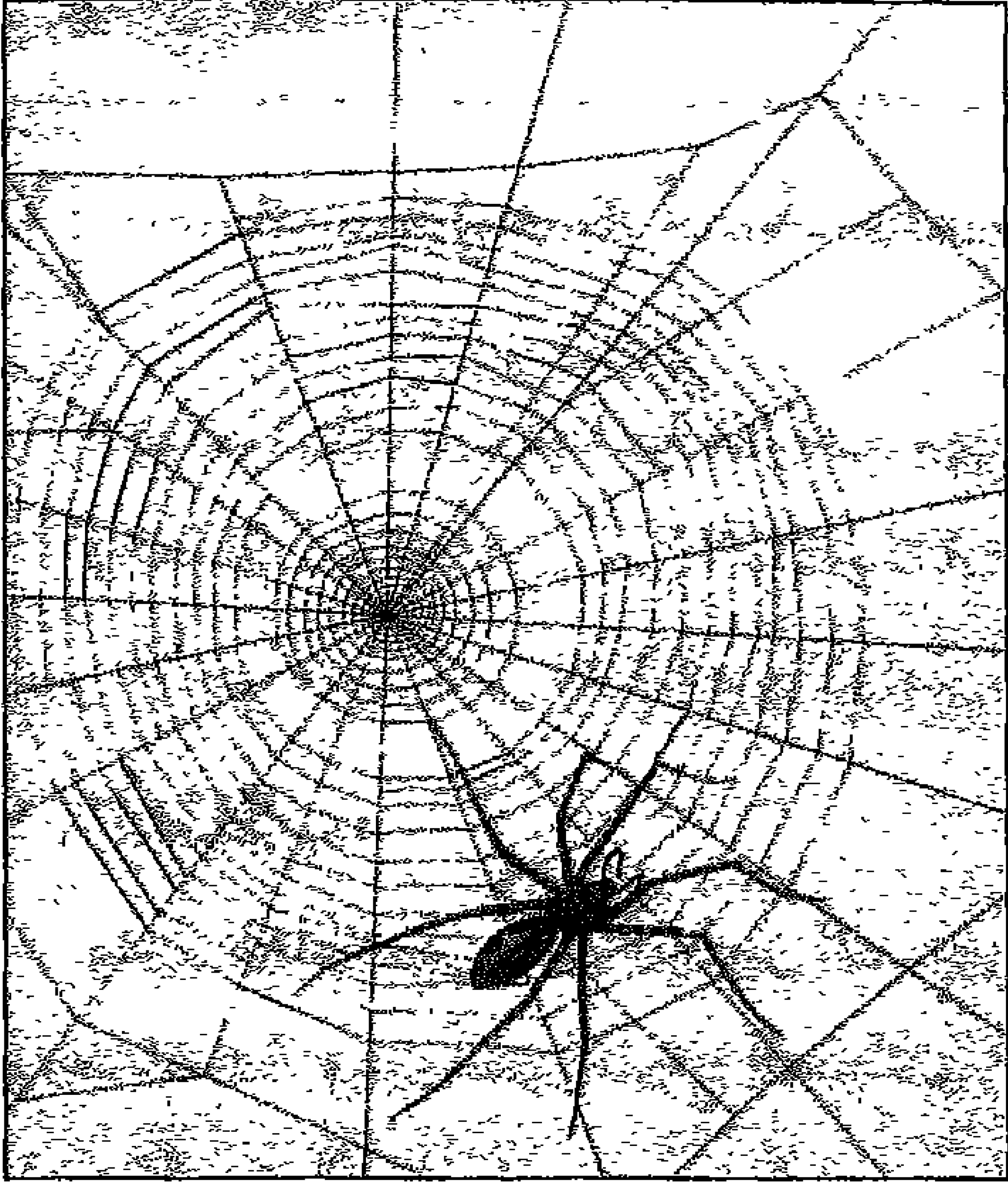
٢ـ العقارب:

يتركب جسم العقرب من جزءين: جسم وذيل، ويتكون الجسم من الرأس والصدر والبطن، ويتكون البطن من سبع قطع، ويتكون الذيل من ست قطع وفى مؤخرتها آلة اللسع، أو الزبان، والعقرب يدافع عن نفسه بالقبض على عدوه ثم لدغه، وذلك بتقويس ذيله فوق رأسه.

وتتكون اللوامس القدمية فى العقرب من مخالب كبيرة، يمسك الفريسة بها، وتوجد الملاقط فى مقدمة الرأس، وهى فكوك العقرب، بواسطتها تقطع فريستها، وتتغذى العقارب على الحشرات والعناكب وصغار العقارب أيضًا، فالعقارب يفترس بعضها بعضًا، ويتجنب الذكر الأنثى، إلا وقت التزاوج، وغالبًا تفترس الأنثى الذكر بعد التزاوج.

وفى غابات وسط إفريقيا أكبر أنواع العقارب حجمًا، فيصل طول العقرب إلى عشرين سنتيمترًا.

٢ العـنكبـوت



■ أخرج الإمام أحمد فى المسند، عن عبد الرزاق، عن عثمان الجزرى، عن مقسم مولى ابن عباس، أنه سأل ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾، قال: (تشاورت قريش ليلةً بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح (يقصدون النبى ﷺ) فأثبتوه بالوثاق، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله نبيه على ذلك فبات علىٌّ على فراش النبى ﷺ تلك الليلة، وخرج النبى إلى الغار) إلى قوله: (قالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدرى، فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل خُلط عليهم (أى تحيروا) فصعدوا الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسيج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ها هنا لم يكن نسيج العنكبوت على بابه).

■ أخرج الإمام مسلم عن حَبَّان بن هلال، عن همام، عن ثابت، عن أنس بن مالك، أن أبا بكر الصديق حدثه فقال له: نظرت إلى أقدام المشركين على رءوسنا، ونحن فى الغار. فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا. فقال ﷺ: «**يا أبا بكر.. ما ظنك باثنين الله ثالثهما**».

■ أخرج الإمام البخارى عن إبراهيم بن موسى، عن هشام بن معمر، عن الزهرى، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها فى حديث لها قالت: (... فجهزا الراحلتين، ووضعا لهما سُفرةً فى جِراب، فقطعت بنتُ أبى بكر قطعة من نطاقها، فأوكأت به الجراب ـ لذلك كانت تسمى ذات النطاقين ـ ثم لحق النبى ﷺ وأبو بكر بغار فى جبل يقال له ثور، فمكثا فيه ثلاث ليال... إلخ الحديث).

ـ وفى (الدر المنثور فى التفسير بالمأثور) للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى، قال: أخرج ابن أبى حاتم عن عطاء، قال: نسجت العنكبوت مرتين: مرة على النبى داود عليه السلام، والثانية: على النبى محمد ﷺ.

■ وروى الإمام الحافظ جلال الدين السيوطى قال: أخرج الخطيب، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**دخلت أنا وأبو بكر الغار، فاجتمعت العنكبوت فنسجت بالباب.. فلا تقتلوهن**».

العناكب من أشهر العنكبوتيات، وقيل إنها أربعون ألف نوع، وأهم صفات العنكبوتيات مقدرتها على غزل الحرير، واستخدامه فى عمل مصائد للحشرات.

والعنكبوت حيوان من مفصليات الأقدام، وتشمل العنكبوتيات: العنكبوت والعقرب والقراد. ومعظمها يعيش فى حياة برية.

وينقسم جسم العنكبوت إلى رأس وصدر وبطن، الرأس يلتحم مع الصدر، تتصل به أربعة أزواج من الأقدام، وزوجان من اللوامس، وزوجٌ من القرون على هيئة مخالب تحتوى على غدد السم، والبطن هو الجزء الخلفى، ويتصل البطن بالصدر بخصر رفيع، وله جلد سميك مغطى بالشعر، وللعنكبوت ثمانى عيون بسيطة، والعنكبوت حيوان مفترس، يعيش على صيد الحشرات ومص عصارة أجسامها.

وفـى أسفـل بـطـن أنـثـى الـعـنـكـبـوت ثـلاثـة أزواج مـن النتوءات، بها ثقوب دقيقة يخرج منها سائل خاص، هو المادة الخام لصناعة خيوط الحرير، وذلك السائل يجف فورًا عند ملامسته الهواء، وينشأ عن ذلك خيوط حرير العنكبوت، مثله فى ذلك مثل حرير دودة القز - وخيط العنكبوت مكون من عدد كبير من الخيوط: وهو خيط متين، بل هو من أقوى الخيوط بالنسبة لسُمْكه.


صورة لخيوط العنكبوت وهى تنتج من غدد الحرير كأنه معمل لإنتاج الخيوط

كيف تبنى أنثى العنكبوت البيت؟

١- أولاً تنسج خيطًا واحدًا من الحرير.

٢- ثم تكمل الإطار الخارجى ومن وسط الخيط العلوى تنسج خيطًا آخر إلى أسفل.

٣- وتبدأ من وسط هذا الخيط فتنسج خيطًا من كل اتجاه فى زوايا متساوية تشبه أسلاك عجلة الدراجة.

٤- وبعد أن تنتهى من ذلك تبدأ من الوسط وتصل الخيوط بعضها ببعض فى اتجاه دائرى.

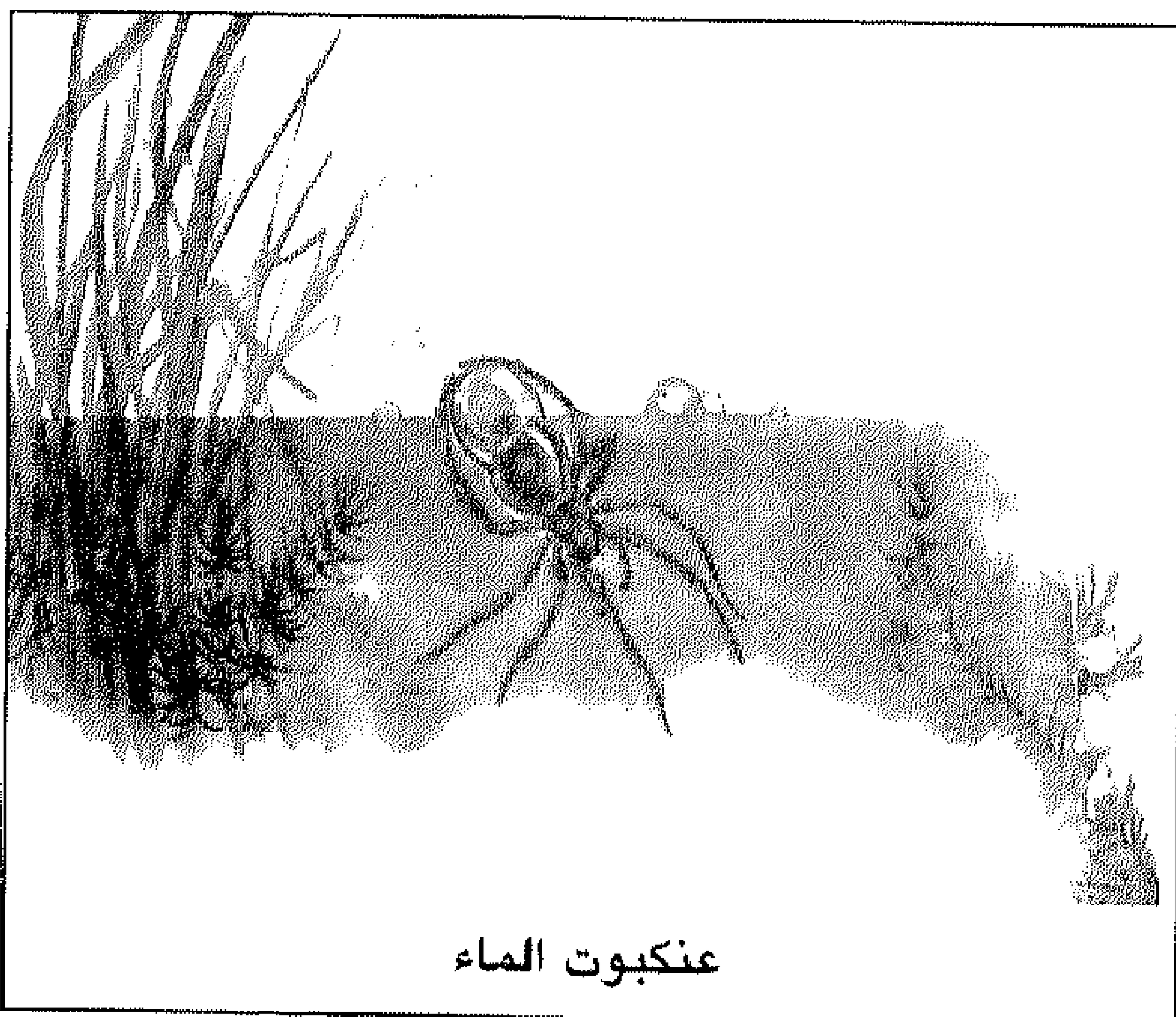
٥- حتى ينتهى بناء البيت.

وتصمم أنثى العنكبوت البيت ليكون مصيدة للحشرات، وتضع أنثى العنكبوت مواد لاصقة على الخيوط، فما إن تصل حشرة إلى بيت العنكبوت حتى تلتصق أقدامها بالخيوط اللزجة، فتسرع أنثى العنكبوت، وتحيط فريستها بخيوطها، وكأنها تكفِّنُها بعد أن تلدغها بسمها.. وبعد ذلك تمتص عصارة جسم الحشرة وتتغذى عليها.


عنكبوت منزلى

وينسج العنكبوت المنزلى بيته من خيوط حريرية متشابكة، وتقبع أنثى العنكبوت فى ركن البيت حتى إذا وقعت حشرة فى شراك البيت، أسرعت إليها ولدغتها بسمها وافترستها.

ولا دور لذكر العنكبوت فى بناء البيت ولا فى صيد الحشرات، وهو صغير الحجم جدًا بالنسبة للأنثى. ولا عمل له إلا تلقيح الأنثى، وبعد ذلك تفترسه الأنثى.


عنكبوت الماء

وتوجد أنواع عديدة من العناكب، حتى أن هناك عناكب تغوص تحت الماء، وتستعمل فقاعة من الهواء حول رأسها، وعندما تستهلك كل ما فيها من هواء، تعود إلى سطح الماء لتمسك بفقاعة هواء أخرى، وتعيش على الحشرات الصغيرة التى تعيش فى الماء.

عنكبوت الأرملة السوداء:


الأرملة السوداء

هى أخطر أنواع العناكب، وتعيش فى قارة أمريكا، ولدغتها سامة وقاتلة.

والعنكبوت آكل ومأكول، فالعنكبوت الأنثى يفترس الحشرات كالنحل والجراد والنمل، ولكنها تكون فريسة للضفادع، وبعض الزواحف.

وذكر العنكبوت فى القرآن الكريم فى قول الله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣)﴾ [العنكبوت: ٤١ ـ ٤٣].

قال رسول الله ﷺ: «**مثل المسلم كمثل النحلة تأكل طيبًا وتضع طيبًا**».

فضرب النحلة مثلاً للمسلم، ومجتمع النحل ينتج عسلاً يستفيد هو منه، ويفيد غيره من المخلوقات، فكذلك المجتمع المسلم ينتج ما يفيده ويفيد غيره، ومجتمع النحل يسوده التعاون والتعاطف والتراحم والنظام المثالى، فكذلك المجتمع المسلم يسوده الخلق الكريم والنظام القويم، والود والتراحم والتعاطف، كما قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد» (إلخ الحديث الشريف)، وهو مجتمع يتخذ الله تعالى له وليًّا كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وماذا عن المجتمع غير الصالح الذى يتخذ من دون الله أولياء؟

لقد ضرب الله تعالى له مثلاً بمجتمع العنكبوت كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١].

أجمعت أمهات كتب التفاسير على أن المقصود ببيت العنكبوت فى الآية الكريمة هو البيت الذى نسجته العنكبوت من خيوطها، وأنه أضعف البيوت لأنه لا يقيها حرًّا ولا بردًا، وأقل شىء يمزقه ويهدمه.

إلا أن العلم الحديث أثبت عكس ذلك، فخيوط العنكبوت من أقوى الخيوط الطبيعية وأكثرها صلابة فهو يقاوم أشد الرياح، وبالتالى فبيت العنكبوت من أقوى البيوت ولما كان من المحال أن يتعارض ما ذكره القرآن الكريم مع الحقائق العلمية الثابتة، فرجّحت أن نفسر الآية على المجاز.

ونرى أن (بيت العنكبوت) لابد أن يفسر على معنًى آخر، فقد جاء فى لسان العرب أن كلمة (بيت) تعنى الزوج وزوجه وأولاده، فإذا علمنا أن الترابط الأسرى فى بيت العنكبوت من أسوأ أنواع الترابط، والعلاقة بين العنكبوت وضيوفه من أسوأ العلاقات، فكل فرد فى بيت العنكبوت يبيت الخداع لغيره، ويعتزم قتله وافتراسه ـ لعلمنا أن العلاقات والروابط فى بيت العنكبوت هى من أضعف العلاقات، وأوهن الروابط.

فالوهن فى بيت العنكبوت ليس فى خيوطه، ولكن الوهن فى العلاقات ونظام الحياة فيه.

وبيت العنكبوت يختلف عن بيت النحل، بل هما على طرفى نقيض:

فبينما يؤسس بيت النحل على نظام مثالى، وخلق عظيم، يسود بيت العنكبوت نظام عدوانى، وانحطاط خلقى، وبينما يعيش النحل فى بيته على الود والتعاون، والتراحم والتعاطف، يعيش العنكبوت فى بيته على الخداع والغدر، والأنانية والظلم.

هل نتصور أمًا تأكل أولادها؟ أو أولادًا يقتلون آباءهم ويأكلونهم؟ يحدث ذلك فى مجتمع العنكبوت!!، وهل نتصور أهل بيت ينصبون الشراك لضيوفهم، ليقعوا فيها ويأكلوهم؟ يحدث ذلك فى بيت العنكبوت!! فأى حشرة تمر ببيت العنكبوت وتظن فيه ملجأ، وتتوسم فيه أمنًا لها وحماية، ما إن تدخله وهى تُمنّى نفسها بطعام وراحة وكرم ضيافة، حتى تجد فيه شركًا خادعًا لها، وهلاكًا محققًا.

فكل ما يعيش فى بيت العنكبوت، حتى ذكر العنكبوت، وصغاره فى خطر داهم من أذى أنثى العنكبوت، وأى حشرة تسول لها نفسها الاقتراب من البيت وتضع أقدامها على أعتابه، إنما تضع أقدامها فى بداية النهاية لها، فبيت العنكبوت بيت تتمزق فيه الصلات، ويسوده الغدر والخداع؛ فما أشبهه بالمجتمعات من شعوب الأرض التى تتخذ لها من دون الله أولياء، وتكفر بالله! وما أشبه بيت العنكبوت ببعض الأيديولوجيات التى سادت فى الأرض وبغت وطغت زمنًا طويلاً، وكان لها مظهر خارجى براق خادع لمن يراه، ولكن ما إن يدخل فيه، حتى يجد نفسه واقعًا فى شرك من الضياع لا يستطيع الفكاك منه!

فما أبعد هذه المجتمعات عن مجتمع النحل، وما أقربها من بيت العنكبوت!

ولم يكتشف العلماء النظام الخادع فى بيت العنكبوت إلا فى عصر العلم الحالى، وما كان معروفًا من قبل لدى الناس، ولكن الله تعالى ضرب به مثلاً لمن يتخذ من دون الله أولياء، إنها أمثال نراها أمامنا، ونعلم ما يدور فيها، وما يعقلها إلا العالمون.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، فالذى يتخذ من دون الله أولياء، أو يتخذ قانونًا غير كتاب الله، يكون كمثل العنكبوت التى اتخذت بيتًا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت!

ونجد فى الآية مغزًى علميًا رائعًا، لم يعلمه المفسرون القدامى رحمهم الله، فلقد كان الاعتقاد أن خيط العنكبوت أضعف الخيوط وأوهنها، وبالتالى كان الاعتقاد قديمًا أن بيت العنكبوت أضعف البيوت وأوهنها، ولو كان الأمر كذلك، ما عقبت الآية الكريمة بالقول: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

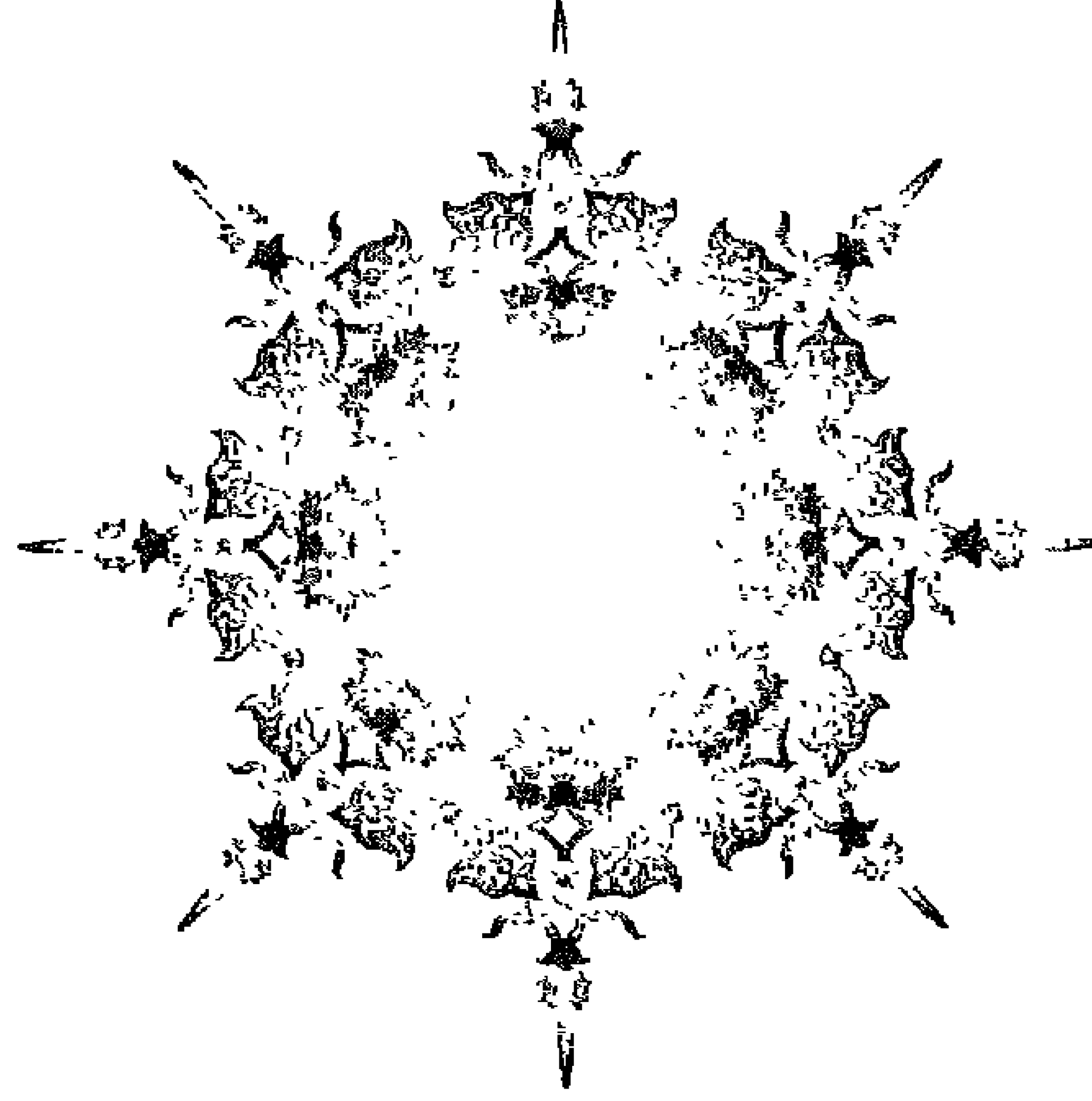
و(لو) حرف امتناع الشرط لامتناع الجواب، فقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يشير إلى أن ما كان الناس يعلمونه وقت نزول القرآن، عن وهن البيت، ليس كما يعتقدون.

وفى عصر العلم الحالى، اكتشف العلماء سر خيط العنكبوت، فوجدوه مكونًا من آلاف الخيوط الدقيقة، وهو من أقوى الخيوط، بل هو أقوى من خيط من الصلب سُمْكًا بسُمْك.

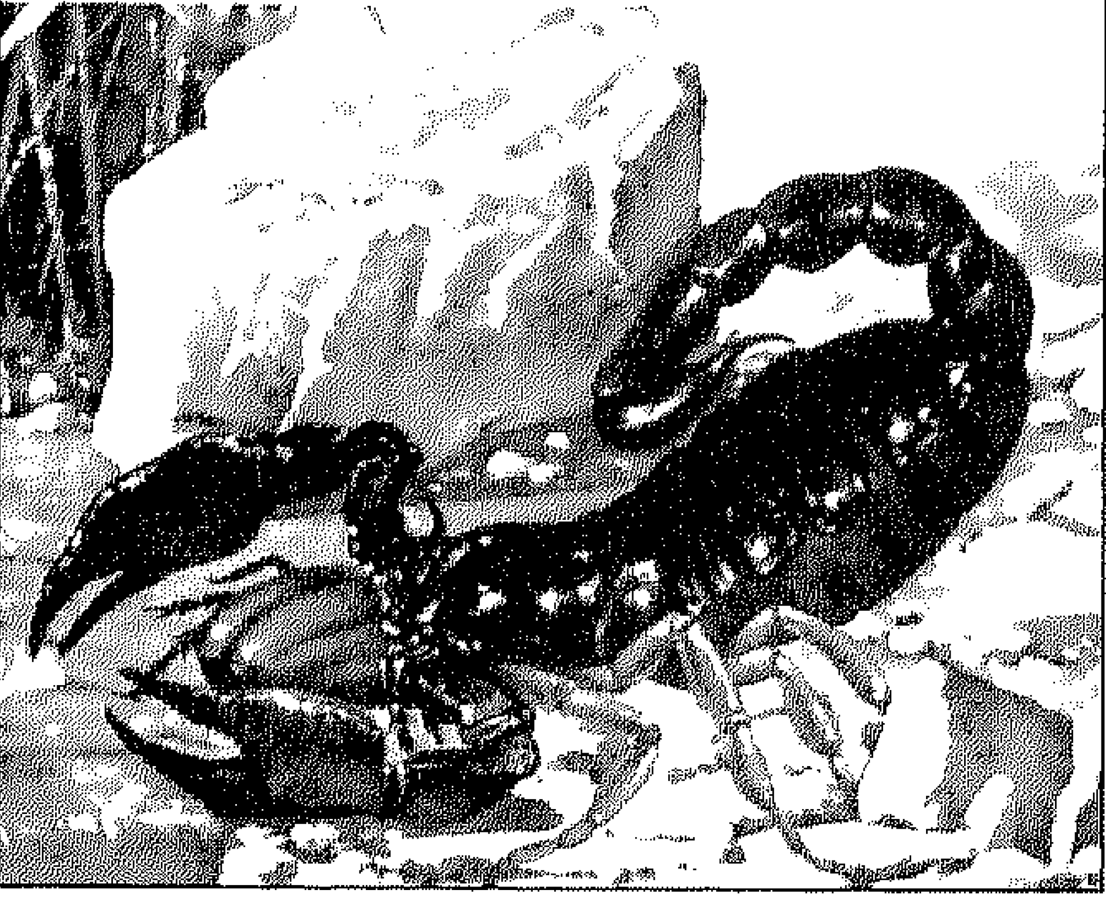
لذلك نجد أن خيوط العنكبوت تقاوم أشد الرياح، إذن بيت العنكبوت كبنيان هو من أقوى البيوت، وما أشارت إليه الآية الكريمة من وهن البيت هو وصف للوهن الذى يصيب نظام الحياة فى بيت العنكبوت، وللضعف فى الروابط والصلات بين أهل البيت وأضيافه، فليس الضعف فى خيوط بيت العنكبوت، ولكن الضعف فى تمزق الصلات فيه. إن خيوط العنكبوت خيوط قوية، إلا أن أنثى العنكبوت استعملت كل فنها فى هندسة البنيان فى صنعه ليكون شركًا لكل من يدخله من الحشرات، واستعملت إنتاجها من لعابها الصمغى، لتجعل كل قدم لحشرة تطأ البيت تلتصق به، فلا هى وجدت الراحة والأمان فى بيت العنكبوت، ولا وجدت وسيلة للهروب والفرار منه! وما وجدت إلا الهلاك المحقق، والمصير الرهيب، فما أشبه بيت العنكبوت ببعض المجتمعات الصناعيّة اليوم، التى تنتج الكثير من أسلحة الدمار الشامل للناس.

فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ فن التمثيل اللغوى، وبعض العلماء يعتبره ضربًا من ضروب الاستعارة، ففى الآية مثل ما اتخذوه من دون الله أولياء، مثل قوم اتخذوا بيتًا، هو فى قمة الضعف والوهن فى نظامه الداخلى وصلات أفراده بعضهم ببعض. فكما صح أن تكون الصلات والروابط والقيم والخلق فى منتهى الضعف والانحطاط فى بيت العنكبوت، فقد صح الضعف والوهن فيما تدعو إليه أديانهم.

وفى الآية الكريمة لفتة علمية دقيقة: فلقد توصل العلماء فى عصر العلم الحالى إلى أن أنثى العنكبوت هى التى تبنى البيت، وهى التى تدير شئونه وتحكمه، أما الذكر، فهو صغير الحجم جدًا، ولا يقيم فى البيت، وليس له دور فى بناء البيت، لذلك جاء الكلام فى الآية الكريمة عن أنثى العنكبوت التى بيدها أمور البيت كلها فقال: ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾، وفى هذا إعجاز علمى لا ينكره العلماء.



٣ العقــــــــــــارب


عقرب أسود (يوسكوربيس كارباثيكس) يفترس خنفساء

■ أخرج الإمامان: أحمد، ومسلم عن ابن جريج، عن أبى الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: لدغت رجلاً منا عقرب ونحن جلوس مع رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله.. أرْقى؟ (يعنى هل أقرأ عليه رقيةً) فقال النبى ﷺ: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**».

والحديث الشريف يدل على أن النبى ﷺ لم يوافق الرجل الذى طلب الرقية، وحدثهم عن معنًى عام لا يخص لدغة العقرب وحدها.

■ روى الحافظ أبو نعيم فى تاريخ أصفهان، والمستغفرى فى الدعوات، والبيهقى فى الشعب، عن على رضى الله عنه قال: لدغت النبى ﷺ عقرب وهو فى الصلاة. فلما فرغ من صلاته قال: «**لعن الله العقرب، ما تدع مصليًا ولا غيره، ولا نبيًا ولا غيره إلا لدغته**»، وتناول نعله فقتلها به. ثم دعا بماء وملح، فجعل يمسح عليها ويقرأ: (قل هو الله أحد، والمعوذتين).

■ وأخرج الإمامان: أحمد، ومسلم أيضًا عن وكيع، عن الأعمش، عن أبى سفيان، عن جابر قال كان لى خال يرقى من العقرب، فنهى رسول الله ﷺ عن الرُّقى، قال: فأتاه فقال: يا رسول الله إنك نهيت عن الرقى، وأنا أرقى من العقرب، فقال ﷺ: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**».

■ وأخرج الأئمة: مسلم، وأحمد، وأصحاب السنن، عن أبى ربيع الزهرانى، عن حماد بن زيد، عن هشام بن عروة عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خمس فواسق يقتلن فى الحرم: العَقرب، والفأرة، والحُديًا، والغراب، والكلب العقور**».

يتركب جسم العقرب من جزءين: جسم وذيل، والجزء الأمامى من الجسم يكوِّن الرأس والصدر وتتصل به الأطراف واللوامس القدمية. والجزء الخلفى من الجسم يكون القطع السبع من البطن والذيل، ويقبض العقرب على فريسته بمخالبه، ثم يلدغها بعد ذلك، وتوجد الملاقط (القرون الكلابية) فى مقدمة الرأس، وتستخدم كما تستخدم الفكوك.

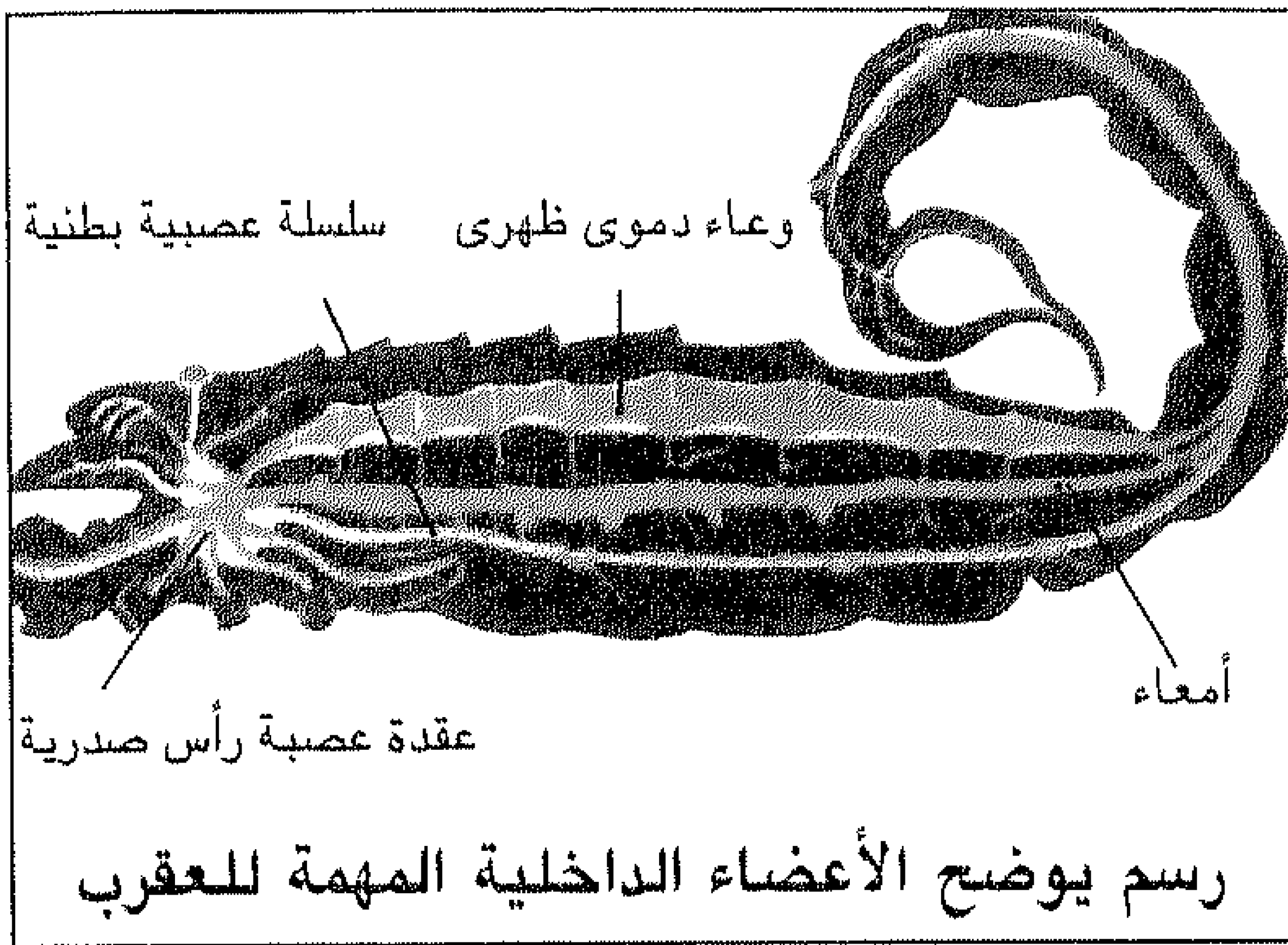
وينتهى الذنب بالحمة، وتحتوى على غدتين تفرزان السم. والغدتان محاطتان بأوتار تعمل على عصر الغدتين وضخ السم منهما عند الحاجة. والعقرب لا تلدغ إلا للدفاع عن نفسها، وليس لمجرد الإيذاء. فإذا لمسها إنسان مصادفة، تلدغه لخوفها من أن يصيبها بضرر.

وتتغذى العقارب على الحشرات والعناكب. والعقارب تنشط ليلاً، وتختفى نهارًا، تحت الحجارة والجحور، ولا تجتمع الأنثى مع الذكر إلا وقت التزاوج. والعقارب تتحمل الجوع شهورًا عديدة وتصبر عليه.

ولدغة العقرب فى المناطق الاستوائية سامة، وتحتاج لعلاج خاص، ولا تجدى فيها الرقى، كما كانوا يعتقدون قديمًا، ولقد أرشدهم الحديث النبوى الشريف إلى ذلك، ودعاهم إلى أن يجتهدوا فى البحث عن علاج نافع ومفيد، وليس مجرد الرقية.

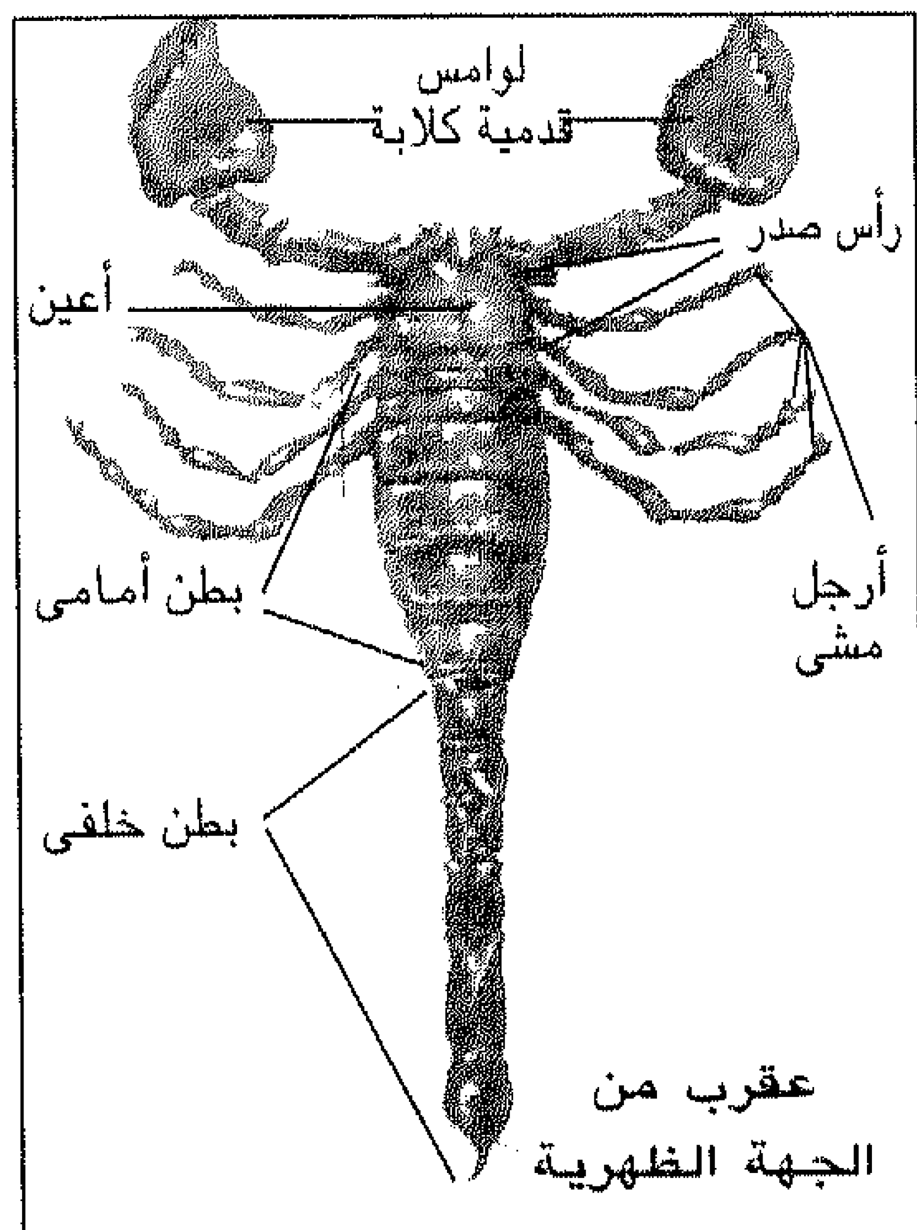
لذلك لما لدغته عقرب وهو يصلى لم يقطع صلاته، وبعد صلاته أخذ بأسباب العلاج وبعد ذلك دعا الله تعالى وقرأ المعوذتين.

وجاء فى كتب العرب (أن العقرب دويبة من الهوام تكون للذكر والأنثى بلفظ واحد (عقرب) والجمع (عقارب). وقد يقال للأنثى: عقربة وللذكر: عُقْربان. وتختلف العقارب لونًا وحجمًا. وتضع العقربة من ٥٠ إلى ٦٠ بيضة وتفقس بعد ذلك إلى صغار تحملها الأنثى على ظهرها.



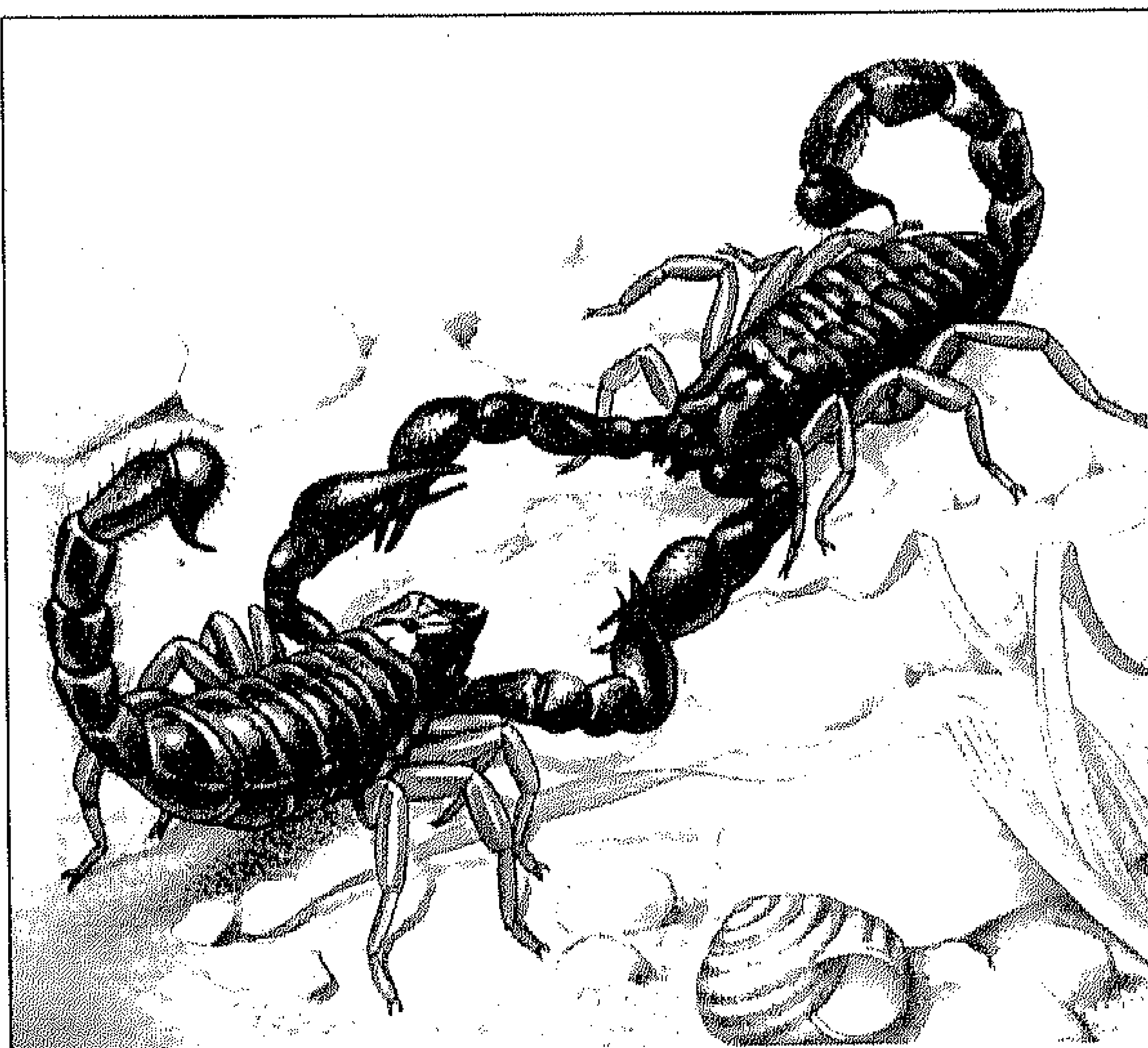
رسم يوضح الأعضاء الداخلية المهمة للعقرب

والعقارب من العنكبوتيات وهى دواب مفصلية وتعيش فى المناطق الاستوائية والمناطق المدارية فى العالم. وتتغذى العقارب على الحشرات والحيوانات الصغيرة.. فهى من آكلات اللحوم. وتمسك جسد الفريسة بواسطة أرجلها التى تنتهى بما يشبه الكماشة وتلدغ الحشرة وتقتلها، وتمزقها إربًا إربًا. وتلتهمها بعد ذلك.



وتختلف أنواع العقارب - وهى أكثر من ألف نوع - فى الحجم من ١٧ سم كما فى بعض أنواع العقارب فى إفريقيا الاستوائية، إلى أقل من ١,٥ سنتيمتر كما فى بعض أنواع العقارب فى حضرموت. وتتحمل العقارب أقصى درجات البرودة، كما تتحمل أقصى درجات الحرارة. ولو حدث انفجار ذرى فى مكان لأهلك كل ما فيها من دواب وأناسى، ولا يبقى حيًّا فيها إلا العقارب.

والعقارب تنام نهارًا وتستيقظ ليلاً، وتخرج من مخابئها لتبحث عن رزقها. وكثير من أنواع العقارب تحفر لنفسها أنفاقًا تحت سطح الأرض تمتد إلى ثلاثين سنتيمترًا، وتقضى النهار فيه، أو تخزن غذاءها فيه، ويكون بياتها الشتوى فيه أيضًا.


هذان العقربان يمسكان ببعضهما بالملاقط. وعكس ما يبدو فى الظاهر فإنهما لا يتخاصمان بل إنهما يؤديان رقصة الزفاف تحضيرًا للتزاوج

وتستخدم العقرب أنفاقها فى أهداف أخرى، مثل وضع صغارها لحمايتها من الدواب الأخرى التى قد تفترسها، وكملجأ تلجأ إليه فى الظروف المناخية القاسية، كما تتخذ من تلك الأنفاق مصيدة للحشرات الأخرى، كما تضع أنثى العنكبوت.. ولِمَ لا؟ فإنهما لتربطهما قربى ونسب، فكل منهما من طائفة واحدة، طائفة العنكبوتيات.

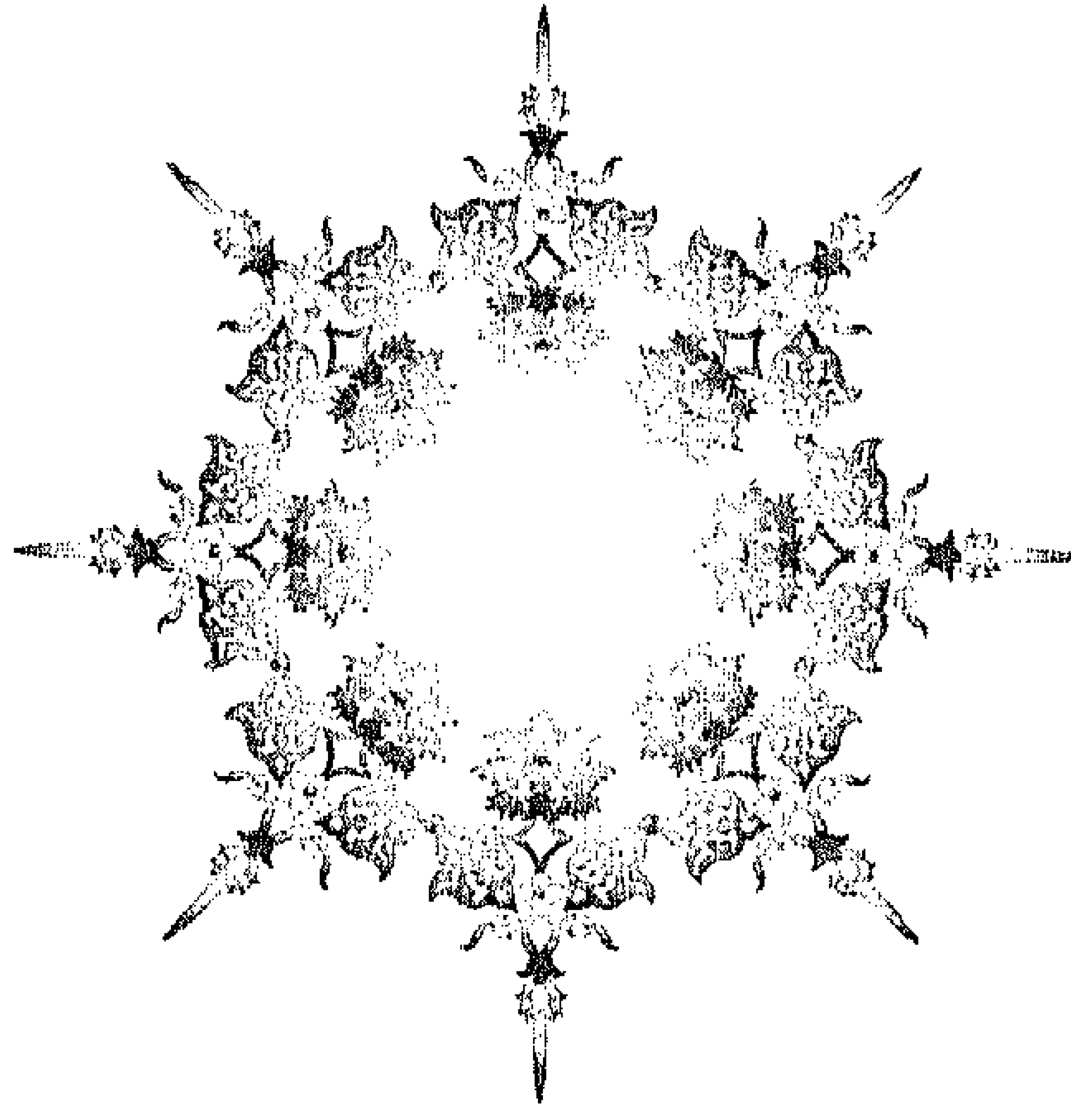
رقصة الزفاف:

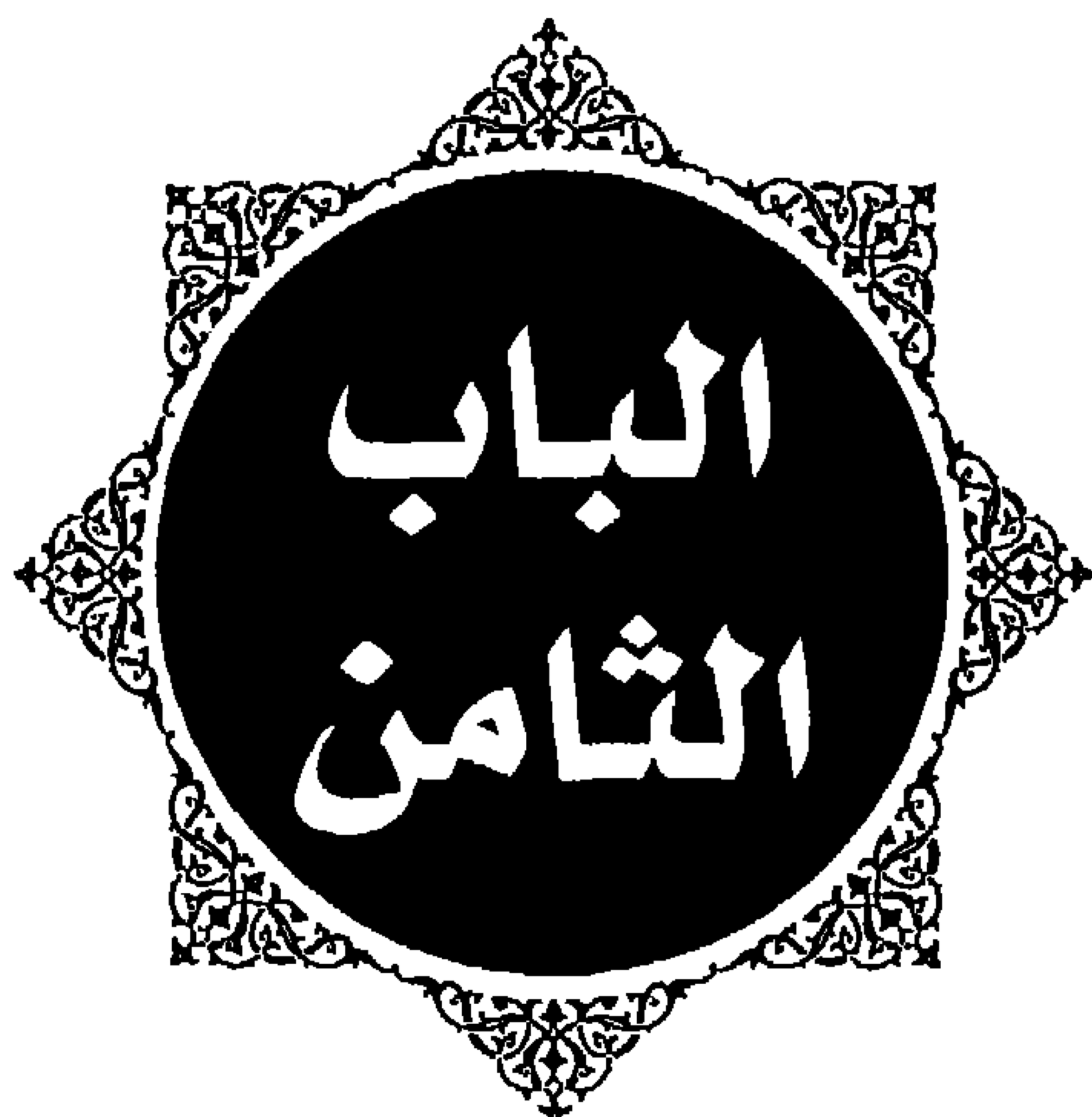
يقوم الذكر بهذه الرقصة تشاركه فيها الأنثى. يتجه كلّ من الذكر والأنثى فى مواجهة الآخر. ويمسك الذكر بأرجله الأمامية الكلابية، كلابتى الأنثى. ثم يقتربان ويتلامسان وكأنهما فى قبلة

الزفاف. فى هذه اللحظة يقذف الذكر منيه فى أنبوبة منوية، يثبتها على الأرض بشكل عمودى، ويسحب الذكر أنثاه ذهابًا وإيابًا حتى تدخل الأنبوبة المنوية الفتحة التناسلية للأنثى، ويتم الإخصاب بهذه الطريقة.

وبعض العقارب يبيض. وبعضها الآخر يلد صغارًا، تضعها الأم على ظهرها وترعاها حتى تكبر. إلا أن ذلك لا يمنع الأم إذا شعرت بالجوع، أن تفترس بعضًا من صغارها.

ولا تصل العقرب إلى طور البلوغ الجنسى إلا بعد سنوات عديدة.. والعقرب شديدة التحمل لكل الظروف المناخية التى لا تتحملها المخلوقات الأخرى، لذلك ظلت حية منذ أكثر من خمسمائة مليون سنة!





الفراش ودودة الحرير



الفراش ودودة الحرير

١ الفــــــــراش

■ أخرج الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدى، عن داود بن عبد الرحمن، عن ابن خثيم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، أنها سمعت رسول الله ﷺ يخطب فى الناس يقول: «**يا أيها الناس الذين آمنوا: ما يحملكم على أن تتابعوا فى الكذب كما يتتابع الفراش فى النار؟!**».

فالفراش ضعيف البصر، يسرع إلى أى ضوء ينبعث من مصابيح أو نار، ويتهافت فيها، ويقتحمها فيهلك، فشبه الحديث النبوى الشريف تتابع الفراش فى النار، وهو واقع فيها لا محالة، بالذى يتتابع فى الكذب، ويصر عليه.

■ وأخرج الإمام أحمد، عن عبد الله عن أبيه، عن كثير، عن جعفر، عن يزيد بن الأعصم، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**مثلى ومثلكم أيتها الأمة، كمثل رجل استوقد نارًا بليل، فأقبلت إليها هذه الفراش والدواب التى تغشى النار، فجعل يذبها وتغلبه إلا تقحمًا فى النار، وأنا آخذ بحجزكم أدعوكم إلى الجنة. وتغلبونى إلا تقحمًا فى النار**».

الرسول ﷺ يضرب مثلاً به وبأمته برجل استوقد نارًا بليل، فأقبل الفراش إلى النار ليقتحم فيها ويحترق، والرجل يمنعه أن يقتحم النار ويحترق فيها.

وقال: «**استوقد نارًا بليل**»: لأن النار أثناء النهار لا تجذب الفراش إليها.. والفراش لا يهدف إلى السقوط فى النار، وإنما يجتذبه الضوء، فيسرع إليه فيسقط فى النار!

والرسول ﷺ يمنع الناس من وقوعهم فى نار جهنم بمعاصيهم، وهم مصرون على المعصية، ويقتحمون بسبب ذلك نار جهنم وسيحترقون فيها.

■ أخرج الإمام أحمد عن عبد الرزاق بن همام، عن معمر بن همام بن منبه قال: «**مثلى كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حولها، جعل الفراش وهذه الدواب التى يقعن فى النار، يقعن فيها. وجعل يحجزهن ويغلبنه فتتقحم فيها**»، قال: «**فذلكم مثلى ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار: هلم عن النار.. هلم عن النار. فتغلبونى، تقتحمون فيها**».

(استوقد نارًا فلما أضاءت ما حولها): دلالة على أنها نار أوقدت بليل، كما ذكر الحديث السابق.

■ أخرج البخارى عن أبى اليمان، عن شعيب، عن أبى الزناد، عن عبد الرحمن عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلى ومَثَل الناس كمثل رجل استوقد نارًا. فجعل الفراش وهذه الدواب تقع فى النار**»، هكذا رواه البخارى.

وقال النووى: المعنى أن النبى ﷺ شبه المخالفين له بالفراش، وتساقطهم فى نار جهنم، بتساقط الفراش فى نار أوقدت فى الدنيا، مع حرصهم على الوقوع فى النار، ومنعه إياهم وهم مصرون على إهلاك أنفسهم.

وقال القاضى أبو بكر بن العربى: المقصود أن الخلق لا يأتون إلى النار على قصد الهلكة، وإنما يأتون على قصد المنفعة، واتباع الشهوة، كما أن الفراش يقتحم النار، لا ليهلك نفسه فيها، ولكنه يقتحم النار لما يعجبه من الضياء فيحترق، وذلك بسبب ضعف بصره..

وقال الغزالى: الحديث فيه فن تمثيل فى صورة انكباب الإنسان على شهوات الدنيا، بانكباب الفراش على التهافت فى النار. ولكن جهل الإنسان أشد من جهل الفراش، لأن اغترار الفراش بظواهر الضوء يقحمه النار ويموت وينتهى عذابه فى الحال، أما الإنسان فيبقى فى النار خالدًا فيها.

■ أخرج الإمام أحمد عن أبى كامل ويزيد، عن المسعودى، عن الحسن بن سعد، عن عتبة النهرى، عن عبد الله بن مسعود، أن النبى ﷺ قال: «**إن الله لم يحرم حرمة إلا وقد علم أنه سيطلعها منكم مطّلع. ألا وإنى ممسك بحُجُزكم أن تهافتوا فى النار كتهافت الفراش والذباب**».

فالفراش يتجه بطبعه إلى مصدر الضوء، ويسرع إليه يدفع بعضه بعضًا، يظن فيه شيئًا حسنًا، وما علم أن فيه الهلاك له. وكذلك العصاة يندفعون إلى شىء يعجبهم ويحسبون أن فيه النجاة لهم، وفيه متعة من متع الدنيا فإذا هو طريق النار لهم، والرسول ﷺ يجاهد فى سبيل حمايتهم من النار وهم يسرعون فى طرق المعاصى المؤدية إلى النار.

وشبه الحديث النبوى العصاة وقلة عقولهم، وشدة جهلهم، بالفراش واندفاعهم فى ارتكاب المعاصى، والسعى الحثيث إلى متع الدنيا، بالفراش الذى يغريه ضوء النار، فيندفع إليها، فيسقط فيها ويحترق.

الفراش وأبو دقيق، ينتميان إلى رتبة الحشرات.

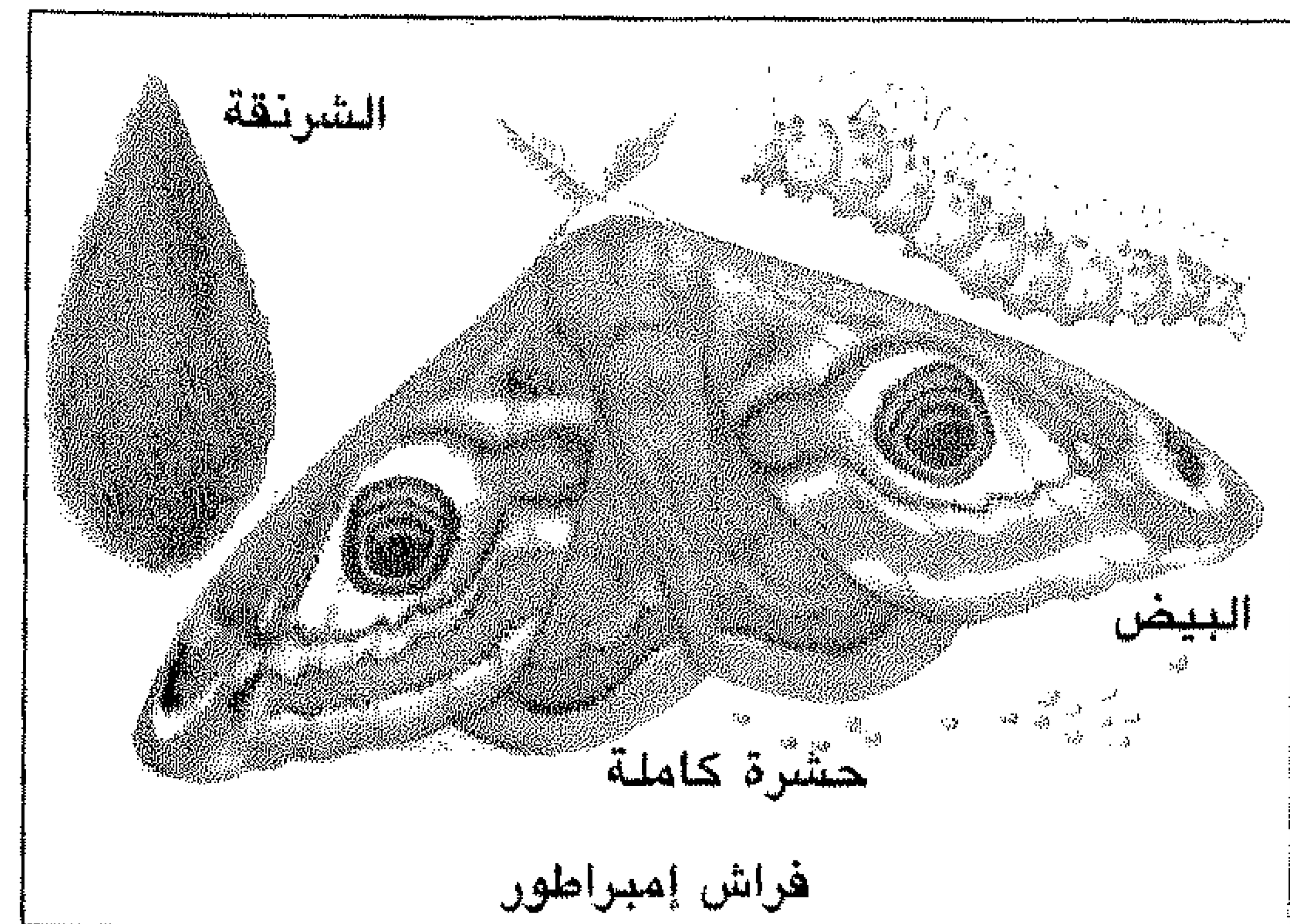
والفراش حشرة moth، وأبو دقيق حشرة من نوع آخر يشبه الفراشة، ويوجد فى العالم أكثر من مليون نوع من الحشرات، إلا أن نسبة لا تزيد على ١٥٪ منها فقط يعرفه العلماء.

وأبو دقيق Butterfly من عائلة حرشفيات الأجنحة، وإذا أمسك إنسان بأجنحتها، فإن ألوان الأجنحة الزاهية الجميلة تتلطخ، وتلحق بأصابع يد الإنسان مسحوقًا متعدد الألوان، وإذا فحصنا هذا المسحوق تحت الميكروسكوب لوجدناه عبارة عن حراشف Scales ـ أى قشور ـ دقيقة ذات ألوان متعددة، وتعكس الضوء بألوان زاهية أخرى.

وهذه القشور أو الحراشف تكون متراكبة بعضها فوق بعض مثل الأرميد الذى يُركب بعضه فوق بعض، ويُغطى به سقوف المنازل. وتعطى منظرًا فى غاية الجمال لأبى دقيق.

ويمكننا أن نفرّق بين الفراش وأبى دقيق: فالفراش يطير ليلاً، ويجذب انتباهه ضوء المصابيح أو النار، وله قرون استشعار على شكل ريشة. أما أبو دقيق فيطير نهارًا فقط، وله قرون استشعار تنتهى بعقدة مستديرة.

ويتغذى أبو دقيق ـ والفراش أيضًا ـ على رحيق الزهور، يمتصه بواسطة أنبوب طويل فى فمه، هو لسانه.



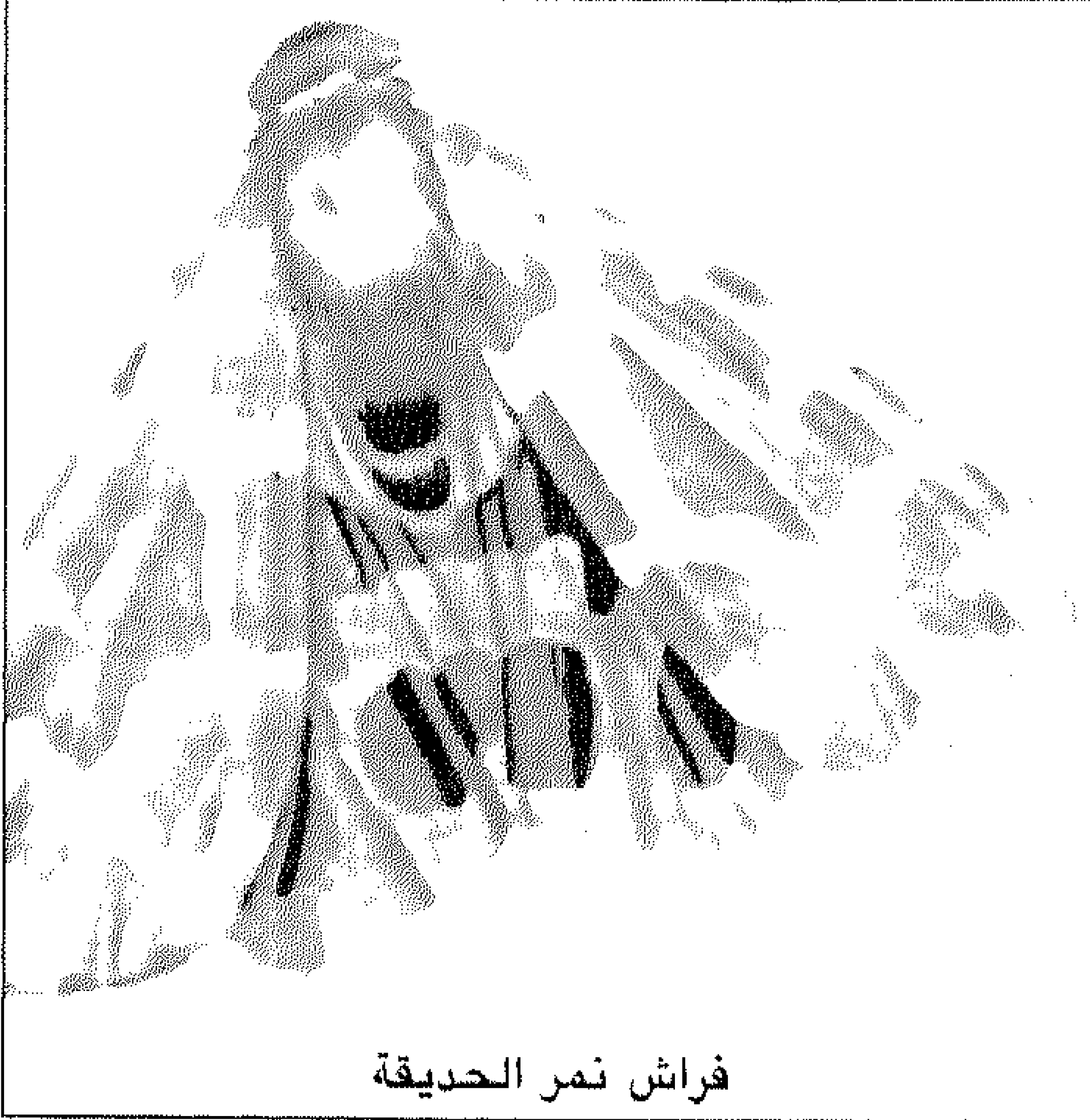
فراش إمبراطور

وهناك أنواع كثيرة من الفراش، وأنواع كثيرة من أبى دقيق، وتختلف باختلاف المناطق التى تستوطنها. ففى المناطق المعتدلة نجد فراشات فى منتهى الجمال، وأنواعًا أقل انتشارًا من أبى دقيق. ومن هذه الآتى:

١ ـ فراش الإمبراطور Emperor moth:

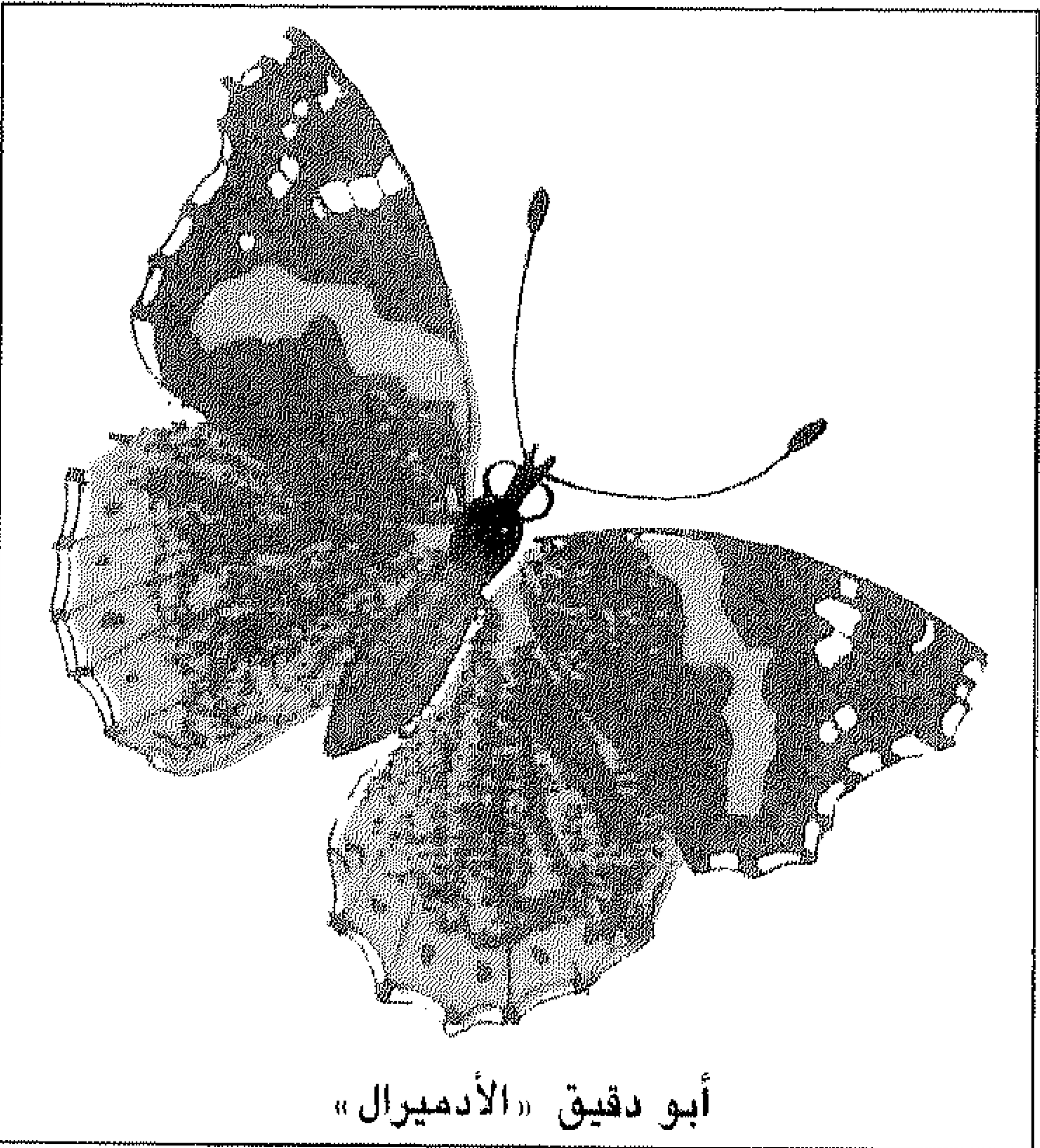
وهو فراش كبير الحجم، جميل الشكل، وعلى أجنحته الأربعة علامات تشبه العيون.

٢ـ فراش نمر الحديقة Garden tiger moth:
وهو فراش زاهى الألوان. وواسع الانتشار. ويرقاته كثيرة الشعر.


فراش نمر الحديقة

ومن أنواع أبى دقيق:

١ـ أبو دقيق أدميرال الأحمر Red Admeral Butterfly:
وهو حشرة تنتشر أثناء فصل الصيف. وتستوطن قارة أوروبا.

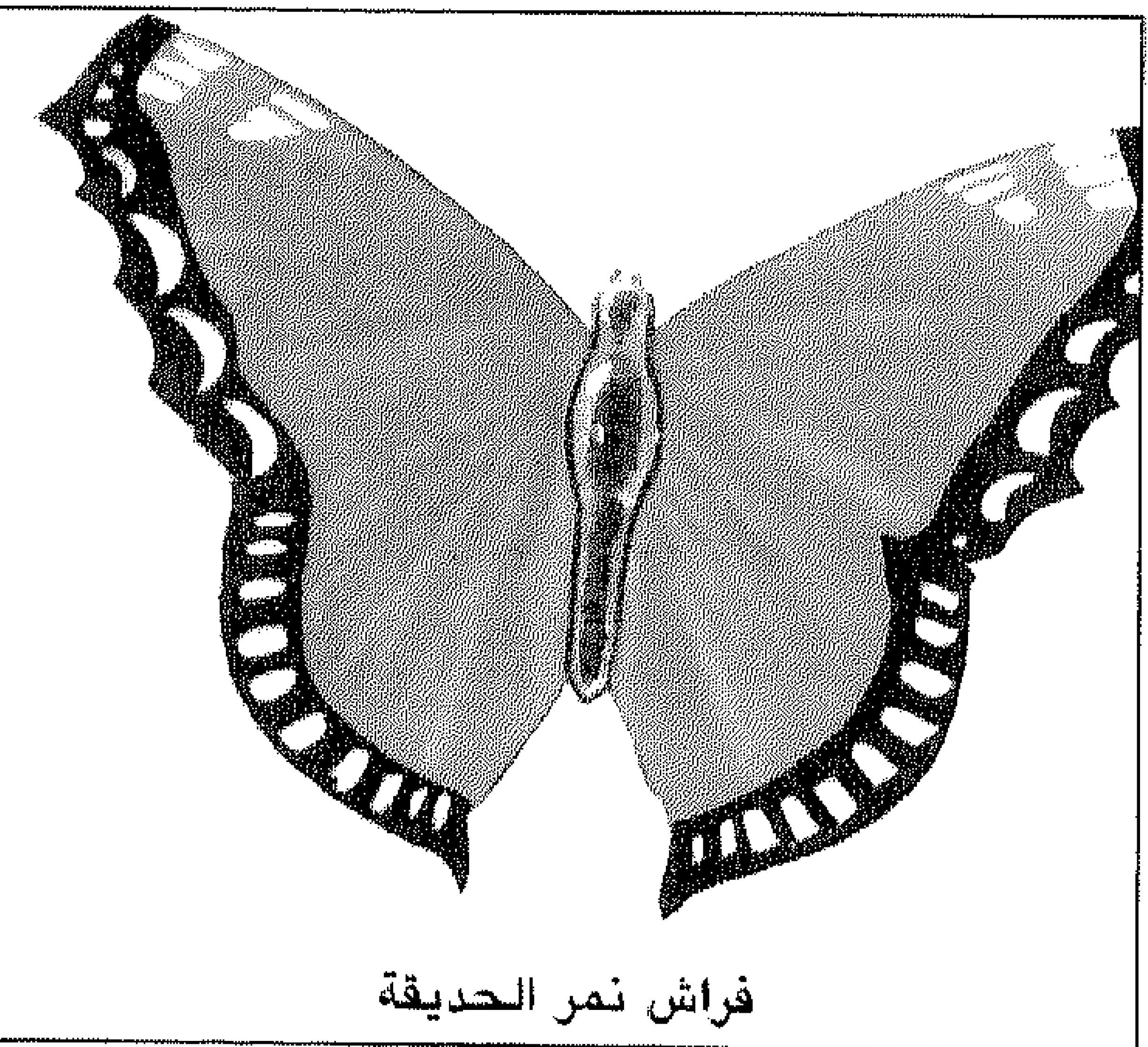

أبو دقيق «الأدميرال»

٢ـ أبو دقيق مختلف الألوان:
حشرة جميلة جدًّا تستوطن أمريكا الشمالية.

٣ـ أبو دقيق الأبيض الكبير Large white Butterfly:
حشرة واسعة الانتشار، إلا أنها ضارة جدًّا، لأن يرقاتها تلتهم أوراق الكرنب، وتقضى على المحصول.

وفى أمريكا الوسطى، على شواطئ البحر الكاريبى، تعيش فراشات برتقالية اللون تتخللها خطوط سوداء. وتسمى (الفراشات الملوك). ولها طرق للهجرة مثل هجرة الطيور، تهاجر فى فصل الشتاء من شمال أمريكا إلى مناطق البحر الكاريبى الدافئة وفى فصل الصيف تحدث هجرة من الجنوب إلى الشمال!

خلال فصل الربيع تغطى أغصان الأشجار فى أمريكا الوسطى أعداد هائلة من ذلك الفراش ذى الأجنحة البرتقالية اللون، المخططة بخطوط سوداء. ولها طرق هجرتها الفريدة من وإلى منطقة الكاريبى وكندا. والفراشة تزن نحو جرام واحد، ولكنها تطير مئات الكيلو مترات أثناء هجرتها والفراش، يهاجر بأعداد كثيفة جدًّا، لذلك شبه القرآن الكريم الناس يوم البعث بالفراش المبثوث، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] أى الفراش المنتشر بأعداد كثيفة جدًّا، ويطير فى كل اتجاه، يصطدم بعضه ببعض، ويختلط بعضه ببعض.


فراش نمر الحديقة

دورة حياة الفراشة وأبى دقيق:

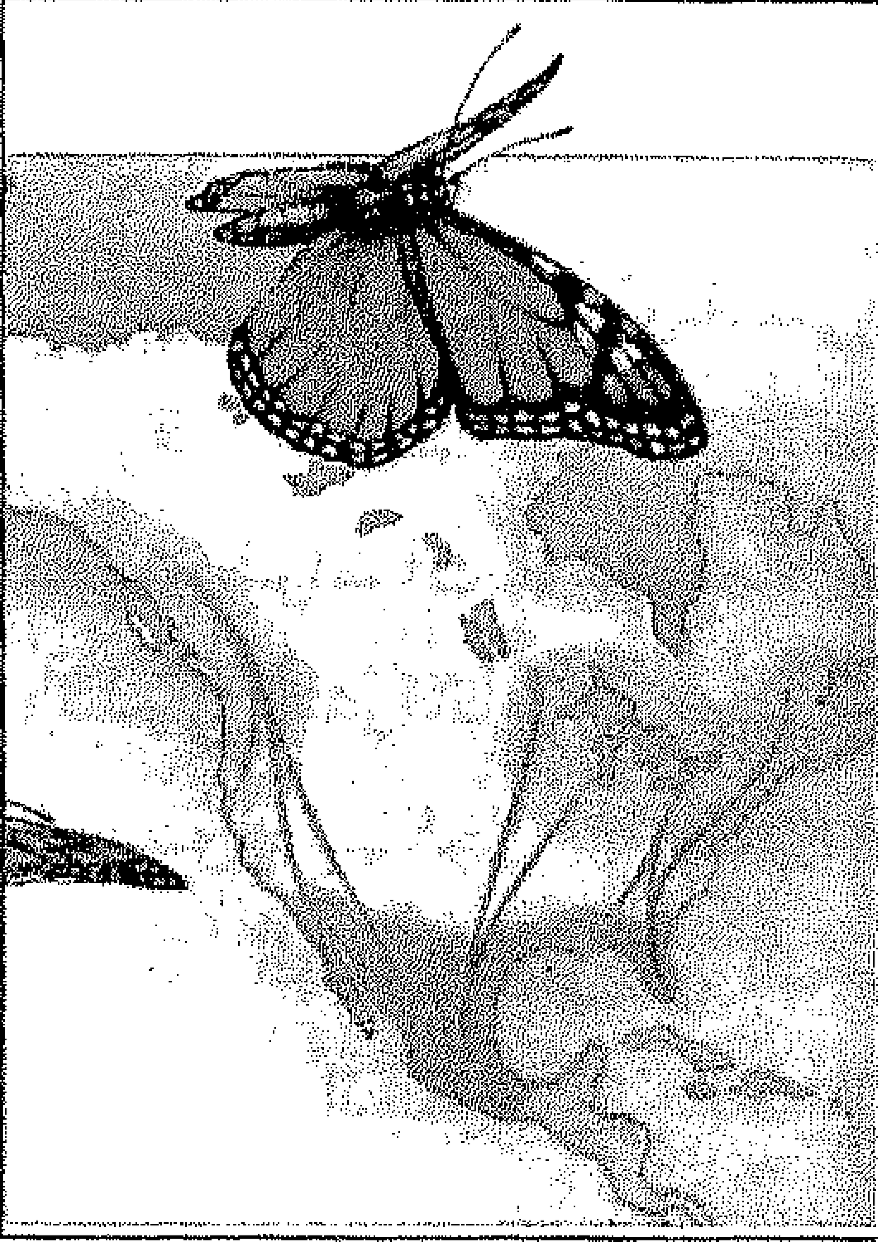
يفقس البيض، وتخرج منه يرقات (دودات) سرعان ما تنمو وتكبر فى الحجم، ولما كان جلدها صلبًا، لا يتسع لحجمها المتنامى، فإنه ينشق مرات عديدة، وتخرج اليرقة بعد انشقاق الجلد، وقد صارت أكبر حجمًا. وجميع اليرقات تعيش على النباتات، إلا أن القليل منها يعيش على اللحوم.

وبعد طور اليرقة، تتحول إلى عذراء، حيث تخلد إلى السكينة، ولا تتناول طعامًا، وبعد ذلك تنشق العذراء، وتخرج منها حشرة كاملة.


الطرق التى تسلكها الفراشات الملكات فى هجرتها

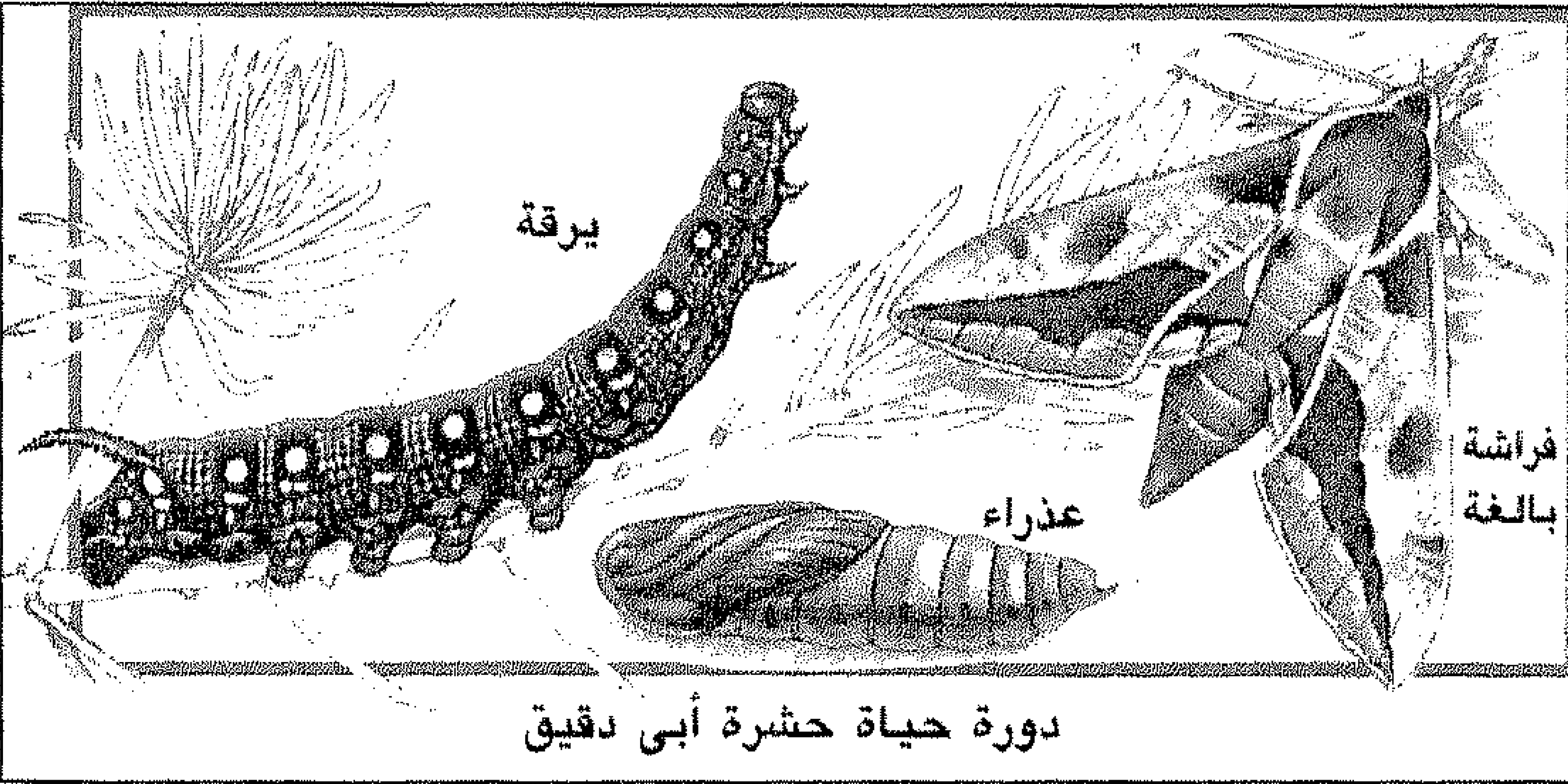
فطور الحياة كالآتى: حشرة كاملة تضع بيضًا، البيض يفقس وتخرج منه يرقات، ومنها إلى عذراء وشرنقة، ومنها تخرج حشرة كاملة.

وفم اليرقة مزود بفكوك وقواطع، أما فم الحشرة فهو مختلف، فهو مزود بخرطوم طويل ماص هو لسانها، بواسطته تمتص الحشرة رحيق الزهور.



ومن عجائب يرقات الفراش وأبى دقيق:

بعض اليرقات مغطاة بشعر كثيف، وبعضها يحرك رأسه فى الهواء، وتوجد يرقات لها ما يشبه الوجه المقنع، وجميع يرقات الفراش، تستطيع غزل خيوط حريرية من غدد بفمها كما تفعل أنثى العنكبوت! وتعيش اليرقات الصنوبرية داخل خيام مصنوعة من خيوط حريرية تنسجها بنفسها! وتقضى اليرقة معظم وقتها فى الأكل، وتكبر فى الحجم، وتنسلخ أكثر من خمس مرات، تاركة وراءها جلودها القديمة. وبعد ذلك تتحول إلى عذراء وتروح فى سبات عميق يشبه البيات الشتوى لبعض الحيوانات وتعيش العذارى فى شرنقة حريرية.



دورة حياة حشرة أبى دقيق

وعندما ينشق جلد العذراء، يخرج منه حشرة كاملة! وتعيش الحشرة أقل من شهر، وتقضى عمرها القصير فى امتصاص رحيق الزهور. ولا تسبب الحشرة الكاملة أى خسائر، وإنما الخسائر تحدث فى طور اليرقات.

دورة حياة الفراشة البيضاء الكبيرة:

فراشة نبات الكرنب:

إنها دورة حياة مدهشة. تبدأ بالحشرة الكاملة تتغذى على رحيق الزهور فى فصل الربيع. وفى فم الحشرة لسان كالخرطوم الطويل، يتقوس وينحنى فى أى اتجاه، حتى يدخل فى أى زاوية من الزوايا إلى أسفل كأس الزهرة. وهذا الخرطوم يشبه الزنبرك، فهو يلتف حول نفسه فى حالة الانتهاء من امتصاص رحيق الزهور.

وهناك العديد من أنواع أبى دقيق والفراش إلا أن حشرة أبى دقيق أكثرها عجبًا!

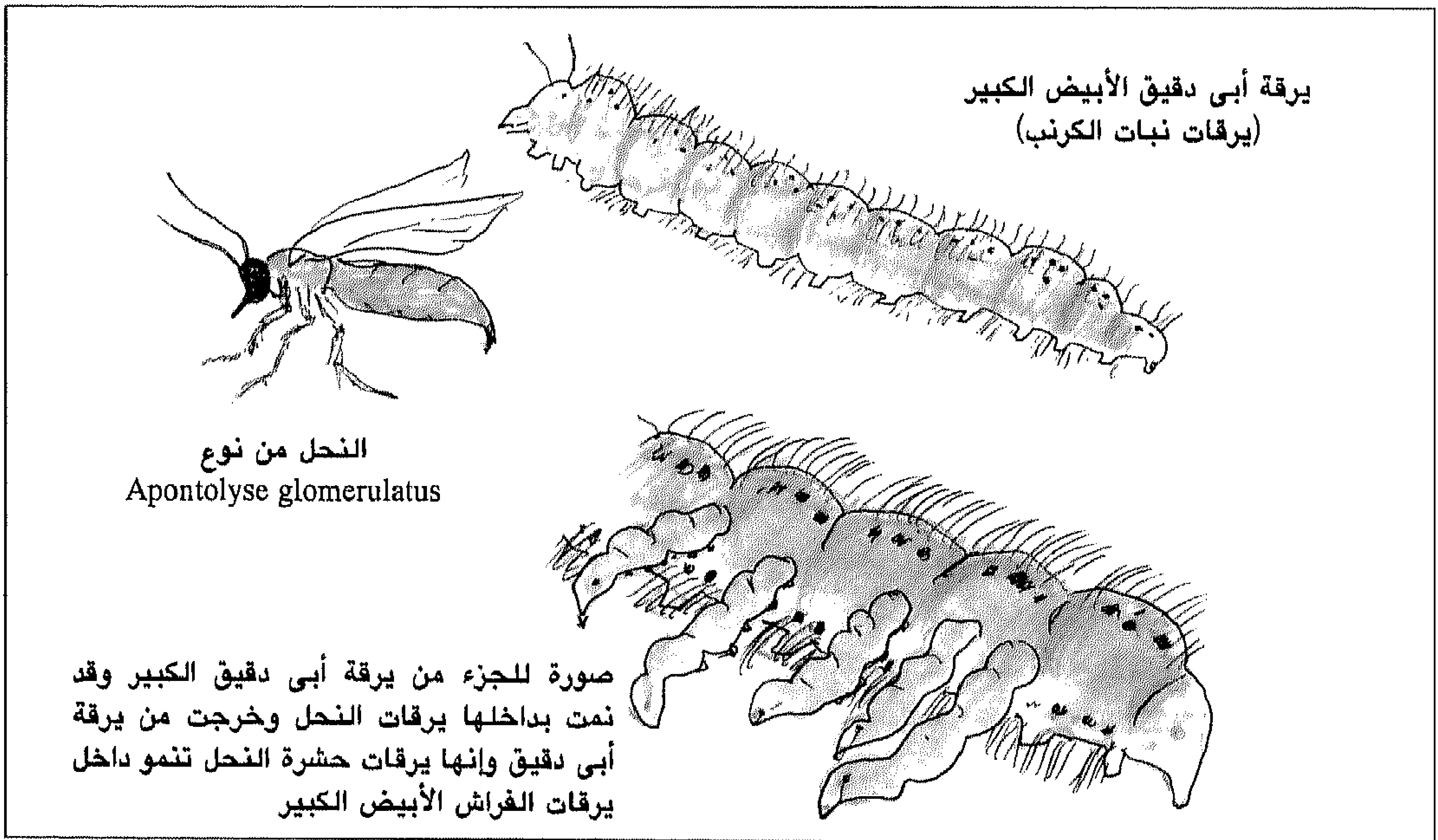
يحدث تزاوج بين الأنثى والذكر. وتختار الحشرة الأنثى المكان الذى تضع عليه البيض على ورق الكرنب، ويكون مكانًا آمنًا، لذلك تضعه على السطح السفلى من الورقة، بعد أن تكون قد أفرزت مادة صمغية، تلصق البيض بالورقة لصقًا قويًّا.

ويمكن أن تضع الحشرة الأنثى مئات البيض فى نصف ساعة! وما أن تضع الفراشة بيضها حتى تموت، فقد انتهت مهمتها. وبعد عشرة أيام يفقس البيض وتخرج منه المئات من اليرقات. وتجد طعامها فى ورق الكرنب فتلتهمه، وتسبب خسائر جسيمة للمحصول. ولون اليرقة مثل لون ورقة الكرنب، فلا تكاد تبين! ولليرقة أرجل عديدة، ولكنها لا تستعمل فى وقت واحد إلا أربعة أرجل.. ولها بطن ورأس.

ويحدث أمر عجيب أثناء دورة حياة يرقة فراش الكرنب، وهو أن نوعًا من النحل يسمى Apontolyse glomerulatus، وله دورة حياة أعجب، فدورة حياة ذلك النحل تعتمد أساسًا على يرقات فراشة الكرنب. فأنثى ذلك النحل تنتقى بعض اليرقات التى عمرها نحو أسبوع، وتغرس مؤخرتها داخل اليرقة، وتضع بيضها داخل جسد اليرقة!! وبذلك تتخذ النحلة من اليرقة حضانة لصغارها!

ولا ينمو بيض هذا النوع من النحل إلا داخل جسم تلك اليرقات ولو لم تُوجَد تلك اليرقات، لتوقفت دورة هذا النوع من النحل نهائيًّا.

تحقن النحلة بيضها داخل جسم اليرقة، وهناك ينمو، ثم بعد ذلك يفقس، وتخرج منه يرقات، تجد طريقها إلى الخارج عبر جدار بطن اليرقة ويحدث منظر من أعجب المناظر، يمثل أعجب دورة حياة فى عالم الحشرات: إنها يرقات حشرة من الحشرات، تنمو داخل يرقة حشرة من نوع آخر!!



ولماذا اختار هذا النوع من النحل، يرقات نبات الكرنب بالذات؟! ولماذا اتخذ تلك اليرقات رحمًا لبيضه؟!.. لا ندرى.. والأعجب من ذلك أن الجسم ـ أى جسم ـ يرفض أى جسم غريب عنه، ويكوّن مواد مضادة وقاتلة، تقتل الجسم الغريب. ولا يقبل الجسم إلا إذا كان من نفس النوع، ومن نفس المناعة. فلماذا لم يرفض جهاز المناعة فى جسم يرقة نبات الكرنب بيض ويرقات ذلك النوع من النحل وهو

غريب عنه تمامًا، لا هو من نفس الجنس، ولا من نفس النوع، ولا من نفس الفصيلة؟.. لا ندرى!! إنه أمر محيّر للعلماء.. وتتجه رءوس يرقات حشرة النحل التى نمت داخل جسم يرقة الفراش، إلى الخارج، تخترق جلد اليرقة، وتخرج منها!

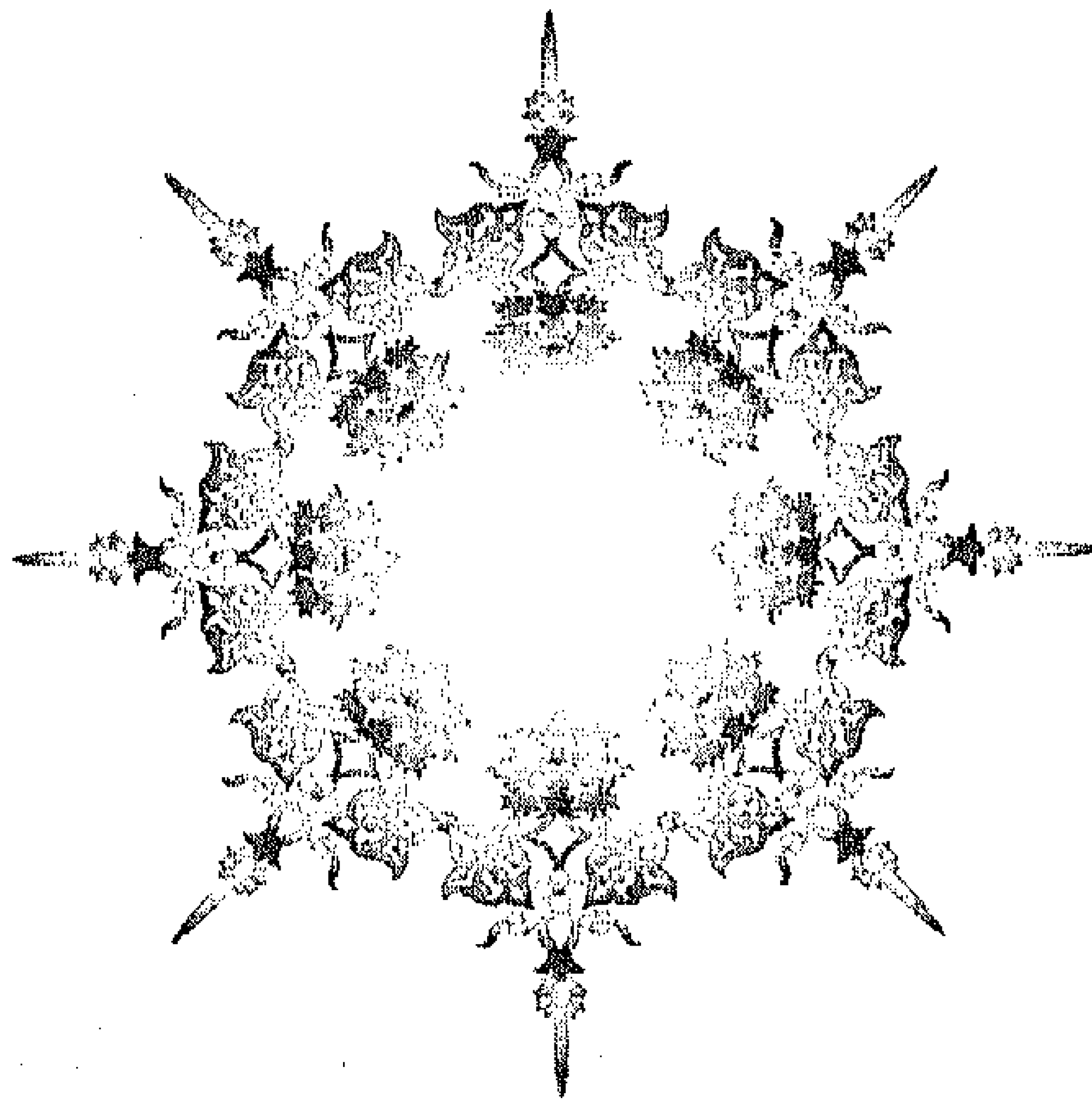
وتعانى يرقة فراش الكرنب آلامًا حادة.. وسرعان ما تموت بعد خروج يرقات النحل منها، ولم يبق منها إلا هيكلها الخارجى! إن خروج يرقات النحل حية، من جسم يرقة الفراشة البيضاء الكبيرة الميتة مثل من أمثلة خروج الحى من الميت كما قال تعالى: ﴿**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ**﴾ [الأنعام: ٩٥] أما يرقات الفراشة التى لم تهاجمها النحلة، فإنها تتم دورتها الحيوية إلى شرنقة، تنشق عنها فراشة كاملة جديدة وهكذا تستمر دورة حياتها.

أما يرقات النحل التى خرجت من جسم يرقة الفراشة، فتسير فى دورة حياتها الخاصة بها، من يرقة إلى عذراء وشرنقة تنشق عن نحلة وليدة كاملة النمو، وتنطلق طائرة فى الجو. تمتص رحيق الزهور، ثم يحدث التزاوج بين الذكر والأنثى من ذلك النحل Apontolyse glomerulatus وتبحث النحلة الأنثى عن يرقة الفراش الأبيض الكبير (يرقة الكرنب) وتحقن فيها بيضها. وتتكرر دورة حياة ذلك النحل مرة أخرى.. بل مرات ومرات.

إنها من أعجب دورات الحياة فى عالم الحشرات! كما أنها من أعجب دورات الحياة فى عالم الفراش وأبى دقيق أيضًا.

أما الفراش فهو ينشط ليلاً.. وحاسة بصره ضعيفة، لذلك ينجذب إلى أى ضوء يصدر عن مصباح أو نار ويقتحمه لعله يجد فيه متعة أو ملجأ، ولكنه لا يجد فيه إلا الهلاك، إنه مثلٌ ضربه رسول الله ﷺ للناس، الذين يسعون إلى ملذات الدنيا، فيقعون فى المعاصى ويهلكون، كما قال ﷺ: « **يا أيها الناس الذين آمنوا: ما يحملكم على أن تتابعوا فى الكذب، كما يتتابع الفراش فى النار** »؟

وقال أيضًا: « **مثلى كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب يقعن فى النار، فجعل يحجزهن ويغلبنه، فيقتحمن فيها** ».



٢ دودة الحـــــــــريـــــــــر

■ أخرج الإمام مسلم عن سفيان بن عيينة، عن أبى فَرْوة، عن عبد الله بن عُكَيْم، قال: كنا مع حذيفة بالمدائن فجاءوه بشراب فى إناء من فضة، فرماهم به. وقال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تشربوا فى إناء الذهب والفضة. ولا تلبسوا الديباج والحرير. فإنه لهم فى الدنيا، وهو لكم فى الآخرة يوم القيامة**».

الديباج: الحرير الفارسى.

■ أخرج الإمام مسلم عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، قال: استسقى حذيفة، فسقاه مجوسى فى إناء من فضة. فقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا فى صحافها. فإنها لهم فى الدنيا**».

■ أخرج الإمام مسلم عن روح بن عُبَادة، عن ابن جريج، عن أبى الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: لبس النبى ﷺ يومًا قُبَاءً من ديباج أُهدى له: ثم أوشك أن نزعه[1]. فأرسل به إلى عمر بن الخطاب. فقيل له: قد أوشك ما نزعته يا رسول الله[2]. فقال: «**نهانى عنه جبريل**». فجاءه يبكى. فقال: يا رسول الله كَرِهْتَ أمرًا وأَعْطَيْتَنِيه. فما لى؟ قال ﷺ: «**إنى لم أُعْطِكَهُ لتلبَسَه، إنما أَعْطَيْتُكَهُ تَبِيعُهُ**». فباعه بألفى درهم.

■ أخرج الإمام مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة، وزهير بن حرب، عن إسماعيل، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لبس الحرير فى الدنيا، لم يلبسه فى الآخرة**».

■ أخرج الإمام مسلم والإمام ابن ماجه عن أبى كُرَيْب، عن أبى أسامة، عن سعيد بن أبى عَرُوبة، عن قتادة، أن أنس بن مالك أنبأهم أن رسول الله ﷺ رَخّص لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام فى قُمُصِ الحرير فى السفر، من حِكَّةٍ كانت بهما. أو وَجَعٍ كان بهما.

■ أخرج الإمام البخارى عن قتيبة بن سعيد، عن الليث عن يزيد بن أبى حبيب، عن أبى الخير عن عُقبة ابن عامر أن أُهدِى لرسول الله ﷺ فروجُ حرير. فلبسه. ثم صلى فيه، ثم انصرف فنزعه نزعًا شديدًا ـ كالكاره له ـ ثم قال: «**لا ينبغى هذا للمتقين**».

■ أخرج الإمام البخارى عن أبى اليمان، عن شعيب عن الزهرى، قال أخبرنى أنس بن مالك أنه رأى على أم كلثوم ـ رضى الله عنها ـ بنت رسول الله ﷺ بُرْد حرير.

■ وفى رواية عن أحمد والطحاوى، وصححه من حديث مسلمة بن مخلد أنه قال لعقبة بن عامر: قم فحدث بما سمعت من رسول الله ﷺ فقال: سمعته يقول: «**الذهب والحرير حرام على ذكور أمتى، حل لإناثهم**» والتزين بالحرير إنما يكون للأزواج فقط.

حشرة الحرير موطنها الأول كان فى الصين. واستأنسها الإنسان منذ أربعة آلاف سنة.. وكان الصينيون أول من عرفوا صناعة الحرير. وحافظوا على سر مهنتهم واحتكروا تجارة الحرير عشرين قرنًا من الزمان. لذلك لم تعرف شعوب العالم صناعة الحرير إلا منذ ألفى عام فقط. وكان من أشهر شعوب العالم الذين اهتموا بإنتاج الحرير شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط.

(١) الوَشْك: السرعة. أوشك أن نزعه: أى: أسرع إلى نزعه.
(٢) (قد أوشك ما نزعته): أى قد أسرع نزوعك إياه.

وطور اليرقة هو الذى يصنع الحرير.. وليس لها من طعام إلا أوراق شجر التوت وتكبر اليرقة، وتنسلخ من جلدها القديم. حتى تصل إلى دودة الحرير البالغة التى تبدأ فى غزل خيوط حريرية تكون شرنقة حولها. وداخل الشرنقة تتحول دودة الحرير إلى عذراء.

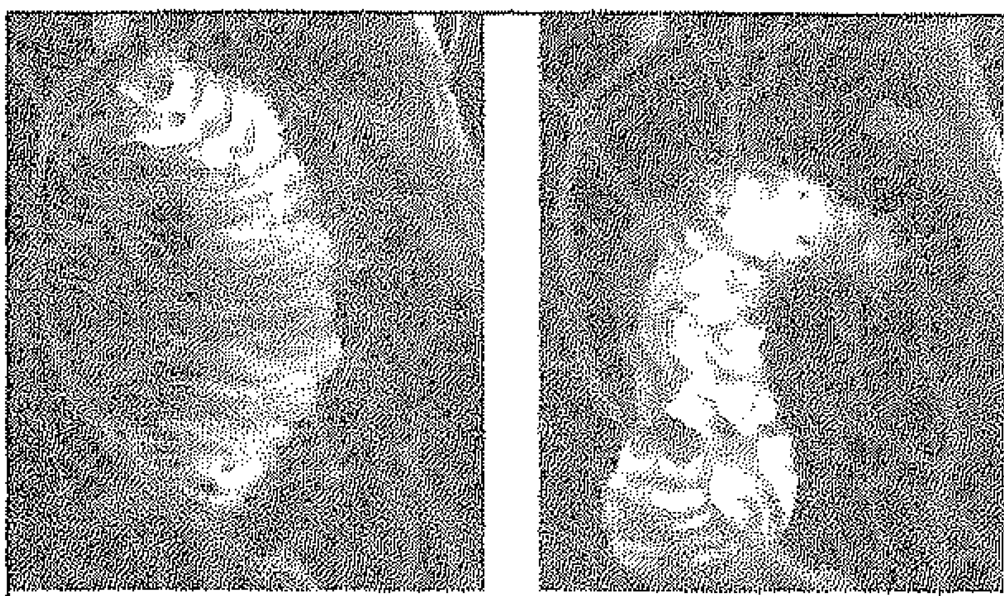
وبعد مضى أسبوعين تقريبًا من بدء التحويل إلى عذراء، تتحول إلى فراشة جميلة تخرج من الشرنقة. وبعد تزاوج الأنثى وتلقيح الذكر لها، تبدأ فى وضع البيض وتضع الفراشة الواحدة نحو ٥٠٠ ـ ٦٠٠ بيضة كل يوم.



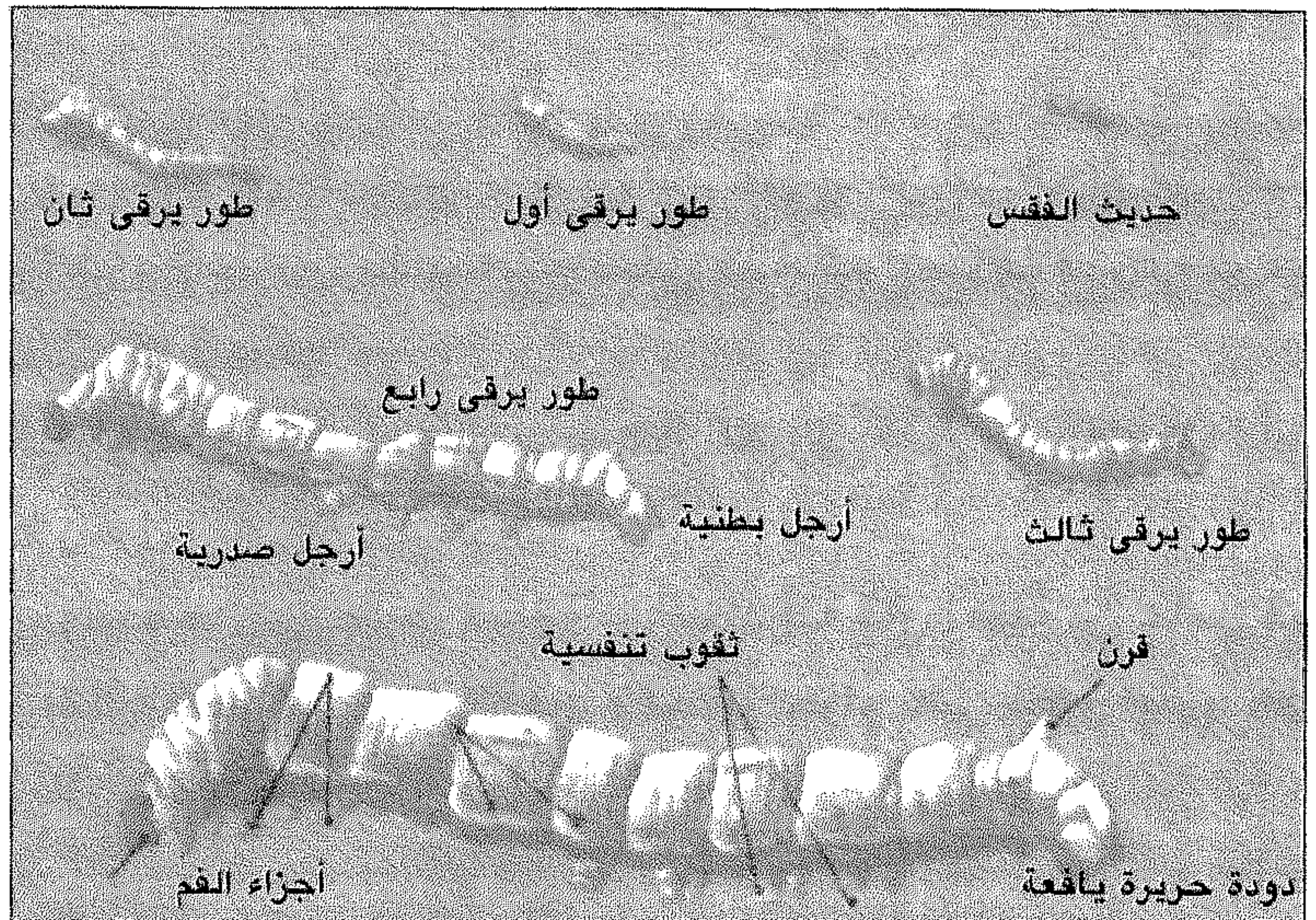
منظر لجزء من شجرة، يبين خمس شرانق مغزولة بين الأغصان

إنتاج خيوط الحرير:

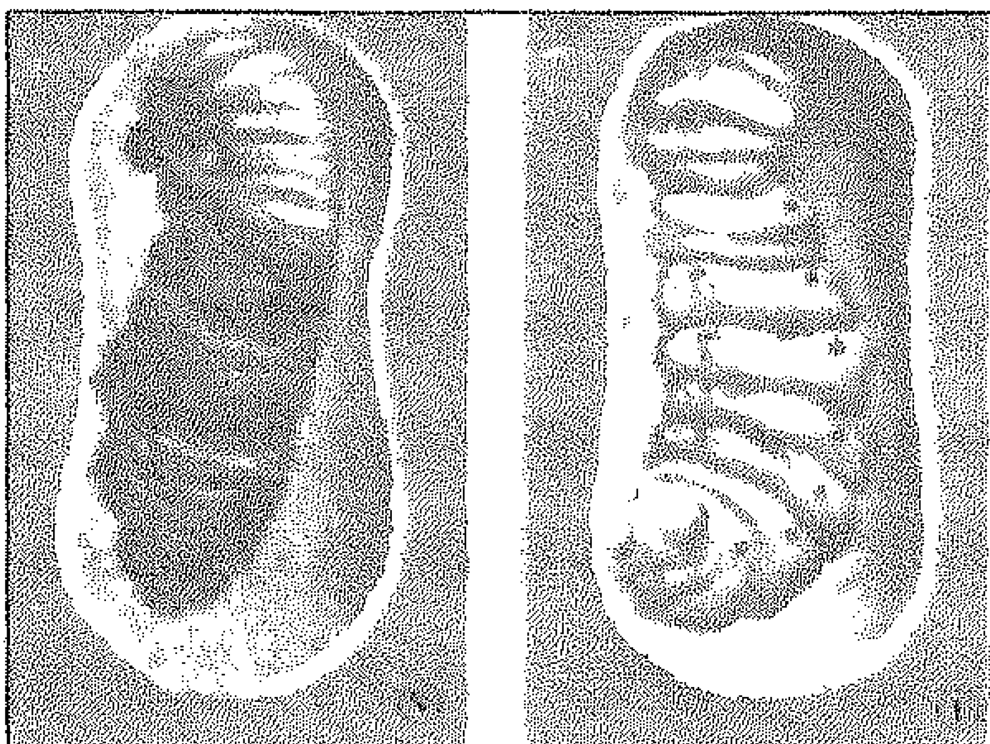
توضع الشرانق قبل أن تفقس منها الحشرة فى أفران ذات هواء حار لقتل العذارى داخل الشرانق، لأن الحرير لا يمكن فكه من شرنقة بها ثقب. وتتركب الشرنقة من خيط واحد ومتصل من الحرير. وتوضع الشرانق فى ماء ساخن، وهذا الماء يذيب الصمغ الذى يلصق خيط الحرير فى الشرنقة. وفى معامل صناعة الحرير يجدون طرف الخيط وبذلك يمكن سحب الخيط الموجود بالشرنقة، وقد يبلغ طوله نحو كيلومترا!



أربعة أطوار لتكوين الشرنقة
«حجم طبيعى»



الأطوار اليرقية فى نمو دودة الحرير
تستكن كل يرقة لمدة يوم، على فترات تتراوح بين أربعة أو خمسة أيام، وبعدها تسلخ جلدها القديم، وتسمى الأطوار بين كل انسلاخ وآخر «أطوارًا يرقية»





داخل الشرنقة تتحول دودة الحرير إلى عذراء



الحشرات الضارة بالاقتصاد

١ ـ الجــراد .

٢ ـ الســوس .

٣ـ الخنـافس .



الحشرات الضارة بالاقتصاد

١ الجـــــــــــــــــــــراد

جاء ذكر الجراد كجند من جنود الله فى الأرض فى سورة الأعراف فى الحديث عن إهلاك آل فرعون:
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

■ أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن السيدة عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الطوفان: الموت**».

■ وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال: أرسل الله على قوم فرعون الطوفان ـ وهو المطر الدائم ليل نهار ـ فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا المطر ـ السيل ـ فنؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل. فدعا ربه فكشف عنهم، فأنبت الله لهم فى تلك السنة شيئًا لم ينبته قبل ذلك من الزرع والكلأ، فقالوا: هذا ما كنا نتمنى، ولم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الجراد فسلطه عليهم فلما رأوه عرفوا أنه لا يُبْقى الزرع، فقالوا مثل ذلك للنبى موسى، فدعا ربه فكشف عنهم الجراد فلم يؤمنوا، فأرسل عليهم القمَّل ـ فأصابهم بكثير من الأمراض المهلكة... إلخ الحديث.

■ وفى رواية أخرى بنفس الإسناد: بعد أن كشف الله عنهم المطر المنهمر الذى أغرقهم وأخصبت أرضهم، قالوا: لن نؤمن لك يا موسى، ولن نترك آلهتنا، ولن نرسل معك بنى إسرائيل، فدعا النبى موسى عليهم فأرسل عليهم الجراد فأتى على زرعهم ومحاصيلهم ومعايشهم، وخشى آل فرعون الهلاك فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف الجراد عنا وسنؤمن بك ونرسل معك بنى إسرائيل... إلخ الحديث.

■ وأخرج أبو بكر البرقى، فى «معرفة الصحابة»، والطبرانى، وأبو الشيخ فى «العظمة»، والبيهقى فى «شعب الإيمان»، عن أبى زهير النميرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقتلوا الجراد فإنه من جند الله الأعظم**».

قال البيهقى: إن صح هذا الحديث أراد به الجراد الذى لا يفسد الزروع. فإذا بدا منه الفساد جاز دفعه ومقاومته، فإن تعذر مقاومته، فيقتل. وفى الحديث النبوى الشريف الذى رواه ابن ماجه أن الرسول ﷺ دعا على الجراد فقال: «**اللهم أهلك كباره، واقتل صغاره...**» إلخ الحديث الشريف.

وذكر القرطبى: الطوفان: المطر الشديد حتى عاموا فيه.

ذكر سفر الخروج العاشر من العهد القديم: (ثم قال الرب لموسى: مد يدك على أرض مصر لأجل الجراد، ليصعد على أهل مصر، ويأكل كل عشب الأرض. فمد موسى عصاه على أرض مصر، فجلب الرب على الأرض ريحًا شرقية، كل ذلك النهار وكل الليل، ولما كان الصباح حملت الريح الشرقية الجراد، فصعد الجراد على كل أرض مصر، وحلّ فى جميع تخوم مصر شىء ثقيل جدًا لم يكن قبله جراد هكذا مثله، ولا يكون بعده كذلك، وغطى وجه كل الأرض حتى أظلمت الأرض، وأكل جميع عشب الأرض، وجميع ثمر الشجر. حتى لم يبق شىء أخضر فى الشجر، ولا فى عشب الحقل فى كل أرض مصر).

ما ذكرته التوراة فى سفر الخروج، يبين مدى خشية الناس فى العصور القديمة من إغارات أسراب الجراد، وكان الناس فى تلك العصور يقفون لا حيلة أمامهم لصد غزو الجراد لحقولهم وحدائقهم ومزروعاتهم، ولا يزال الجراد يهدد الناس حتى يومنا هذا، إلا أن خطورته قد قلت كثيرًا نظرًا لتوصّل المتخصصين لصناعة المبيدات التى تقضى على الجراد.

الجـراد حشـرات ضـارة بالإنســان

■ روى الإمامان الترمذى وابن ماجه، عن زياد بن عبد الله، عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه، عن جابر وأنس بن مالك قالا: إن النبى ﷺ كان إذا دعا على الجراد قال: «**اللهم أهلك كباره، واقتل صغاره، وأفسد بيضه، واقطع دابره، وخذ بأفواهها عن معايشنا وأرزاقنا، إنك سميع الدعاء**».

■ روى الإمام أبو داود، عن محمد بن معمر، عن أبى عاصم، عن ابن جريج، عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن بعت لأخيك تمرًا فأصابته جائحة، فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئًا**»، وقيل: المعنى: إذا باع أحد ثمار نخل قبل نضجه فأصابته آفة أفسدته فلا يأخذ من مال المشترى شيئًا، لأن المحصول فسد ولم يعد صالحًا للأكل.

وأوردنا هذا الحديث الشريف لنعرف منه معنى كلمة (الجائحة).

فقد روى الإمام أبو داود، عن داود المهدى، عن ابن وهب، عن عثمان بن الحكم، عن ابن جريج، عن عطاء قال: (الجوائح) كل ظاهر مفسد من مطر أو بَرَدٍ أو جراد، أو ريح، أو حريق.

الجائحة: الشدة التى تجتاح الحرث والنسل، أى تستأصلهم، والجائحة النازلة العظيمة المهلكة.

أخرج الإمامان أحمد ومسلم عن عبد الله، عن عفان، عن سليم بن حيان، عن سعيد بن ميناء، عن جابر ابن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها، وهو يذبهن عنها. وأنا آخذ بحُجُزكم عن النار، وأنتم تَفَلَّتُون من يدى**».

(الجنادب): جمع جندب: وهى نوع من الجراد، وقال أبو حاتم: الجنادب على خلقة الجراد. وله أربعة أجنحة كالجرادة وأصغر منها، ويصر بالليل صرًّا شديدًا.

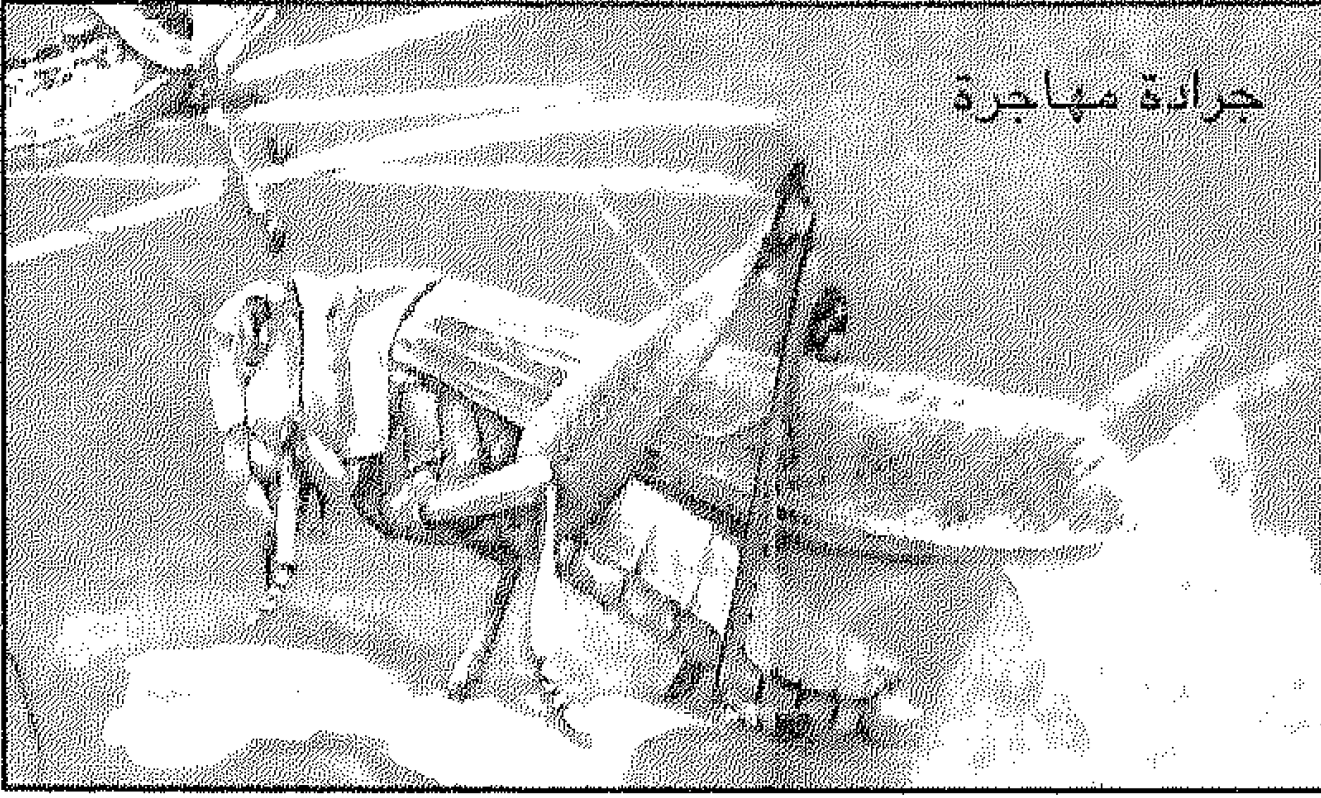
تَفلَّتُون: روى بوجهين تَفَلَّتُون وتُفْلِتُون. وكلاهما صحيح.

الجراد من الحشرات المسماة (مستقيمة الأجنحة) التى تضم ثمانيًا وعشرين عائلة من الجراد، ويوجد فى العالم نحو عشرين ألف نوع من الجراد.

والجراد نوع من حشرات الجندب التى فيها زوج من الأرجل الخلفية القوية، تساعدها على القفز، وتستطيع القفز إلى مسافة تقدر بعشرين ضعفًا لطول جسمها. ولو كان الإنسان له مثل هذه الأرجل لاستطاع أن يقفز أكثر من خمسة وثلاثين مترًا!

ويوجد نحو ثمانية عشر ألف نوع من الجنادب فى العالم، وهى حشرات آكلة للنبات، وطول جسم الجرادة الناضجة يتراوح ما بين ٤ إلى ١٢ سنتيمترًا، ويُقسم جسمها إلى:

١ـ الرأس.　　　　٣ـ البطن.
٢ـ الصدر.　　　　٤ـ ست أرجل.



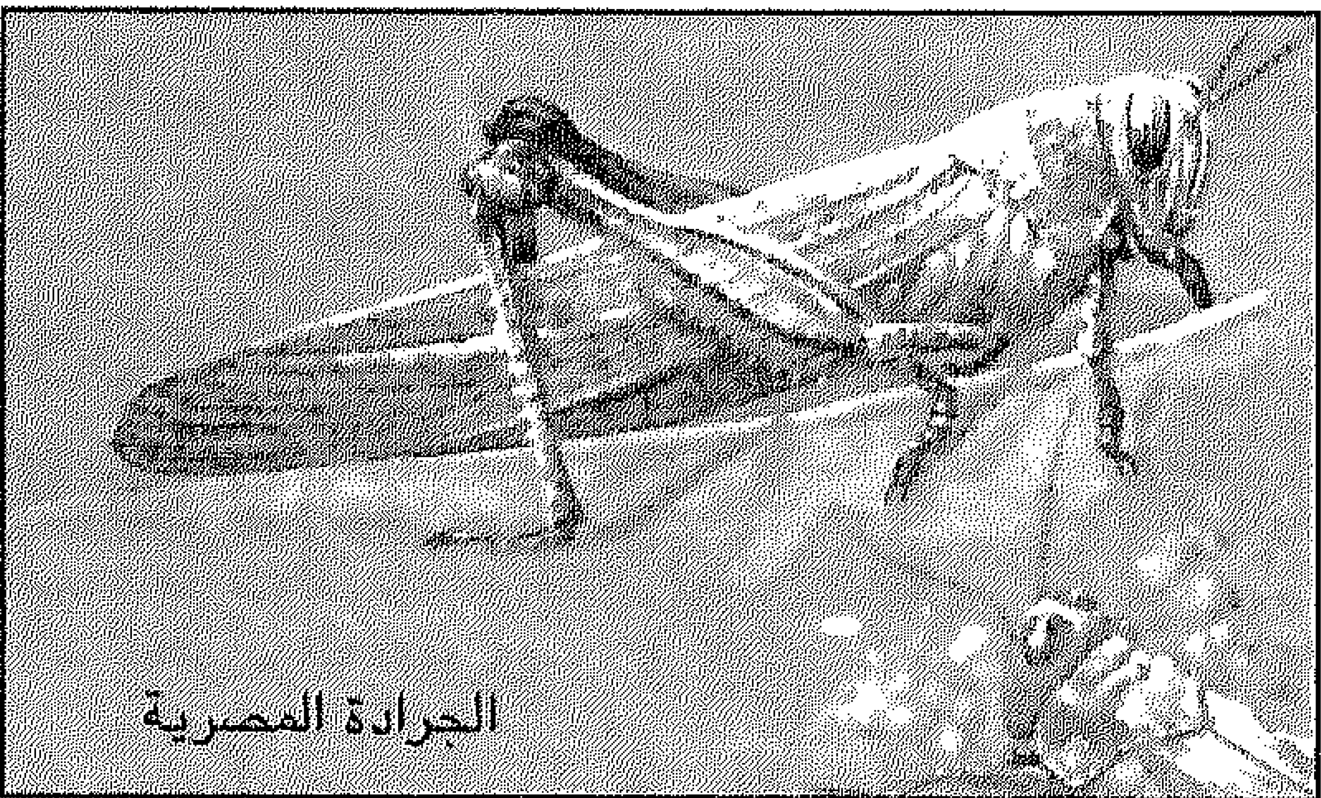
ويصدر عن الجراد أصوات موسيقية بسبب احتكاك الأرجل الخلفية بالأجنحة، أو احتكاك الأجنحة الأمامية مع الجسم، وهى الحشرة الموسيقية الوحيدة.

وتضع الأنثى بيضها فى حفر تحت الأرض، وتغطيه لتحميه من البرد أو الحر، ويفقس عن حورية تتطور حتى تصل إلى طور البلوغ بعد شهر، وتخرج من تحت الأرض وتنطلق على سطح الأرض بعد ذلك.



أشهر أنواع الجراد

١ـ الجراد الصحراوى: ويستطيع السفر لمسافات طويلة، ويتناسل بأعداد كثيرة، فتضع الأنثى من مائة إلى مائة وخمسين بيضة ثلاث مرات أثناء حياتها، ويستوطن الصحراوات الإفريقية والآسيوية، فنجده فى موريتانيا والمغرب والجزائر والسودان وشبه الجزيرة العربية واليمن وعمان، ومناطق جنوب شرق آسيا.



وتوجد مناطق محددة للتكاثر الموسمى للجراد الصحراوى:

١ـ منطقة التكاثر الصيفى للجراد:

توجد فى الهند والباكستان، وجنوب الجزيرة العربية، ومعظم مناطق إفريقيا الاستوائية وخاصة إثيوبيا والصومال والسودان وموريتانيا.

٢ـ منطقة التكاثر الربيعى للجراد:

تمتد فى شمال إفريقيا، والمناطق المدارية فى قارة آسيا والقرن الإفريقى.

٣ـ منطقة التكاثر الشتوى للجراد:

تشمل مناطق واسعة على شاطئ البحر الأحمر الشرقى والغربى، وعلى شواطئ الخليج العربى.

مناطق انطلاق غارات الجراد الهائلة:

هى من مناطق التكاثر المذكورة، وبعد الغارة تعود إلى مناطق تكاثرها مرة أخرى، وغارات الجراد التى تستهدف مصر والشرق الأوسط، تنطلق من مناطق التكاثر الصيفى، وهناك غارات أخرى للجراد على شمال شرق إفريقيا، تنطلق من منطقة التكاثر الشتوى للجراد.

وهذه الغارات تسبب كوارث اقتصادية، لأن الجراد يقضى على المزروعات والمحاصيل، ولهذه الغارات مواعيد غير منتظمة، لذلك لا يتوقعها المتخصصون، إلا أن هطول الأمطار يساعد على تكاثر الجراد، ويعقبه غالبًا غارات كثيفة للجراد.

وقارة إفريقيا أكثر مناطق العالم تعرضًا لغارات الجراد، لذلك فإن الجراد من الأسباب الهامة لحدوث المجاعات فى دول إفريقيا.

والجراد الصحراوى هو من أخطر الحشرات، التى تسبب خسائر اقتصادية فادحة.

وتلتهم الجرادة قدر وزنها من النباتات الخضراء - ووزنها يتراوح بين ٢ - ٣ جرامات وإذا علمنا أن السِرْب المتوسط للجراد يضم نحو ٥٠٠ مليون جرادة، فمن المتوقع أن يلتهم السرب الواحد من الجراد نحو ألف طن من النباتات الخضراء كل يوم! وقد يغير أكثر من سرب من الجراد على منطقة ما.. وهذا ما يهدد موارد الغذاء، وينذر بوقوع المجاعات.

وقد يكون هذا ما حدث فى مصر القديمة عندما سلط الله الجراد على أهلها كما قال تعالى عن إهلاك آل فرعون: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، ونحن نعلم أن الغارات المدمرة للجراد تحدث غالبًا بعد هطول الأمطار الغزيرة. لذلك أشارت الآية الكريمة إلى ذلك، فذكرت حدوث الطوفان، قبل غارات الجراد!

٢- الجراد الإفريقى المهاجر.

٣- الجراد الشرقى المهاجر فى جنوب شرق آسيا.

٤- الجراد الأحمر فى شرق إفريقيا.

٥- الجراد البنى فى جنوب إفريقيا.

٦- الجراد الأسترالى.

٧- جراد الأشجار فى حوض البحر الأبيض المتوسط.

٨- الجراد المغربى.

٩- الجراد المصرى.

ويصل عدد الجراد فى الأسراب المهاجرة عشرات البلايين، ويغطى مساحة ألف كيلو متر مربع أو أكثر، وكتلة الجراد فى تلك الأسراب آلاف الأطنان، ويأكل فى اليوم الواحد قدر وزنه من المزروعات والمحاصيل، وتهاجر أسراب الجراد على ارتفاعات مختلفة من سطح الأرض، وتزدحم بكثافة كبيرة بحيث يقدر عددها فى الكيلو متر المربع الواحد عشرة بلايين جرادة.. ويطير الجراد فى اتجاه الرياح السائرة، ويهاجر الجراد أثناء النهار، ويحط ليلاً على المزروعات فيلتهمها ويقضى عليها، وتبدأ دورة حياة الجراد بوضع البيض تحت الأرض، حتى يفقس فى شهر مايو من كل سنة، لتخرج الحوريات، التى تغير جلدها عدة مرات، حتى تصل إلى حجم الحشرة البالغة.

ومع معرفة دورة حياة الجراد، إلا أن غارات أسرابه لا يمكن التنبؤ بموعدها.

وتستطيع الجرادة أن تطير لمسافة طويلة كل يوم تعبر أثناءها الجبال والأنهار، وذلك بسبب قوة عضلاتها التى تغذى أرجلها الخلفية وجناحيها، وقد تستمر الجرادة فى الطيران ساعات عديدة، دون الحاجة للنزول على الأرض، وهذه الأسراب المهاجرة مدمرة للخضراوات والمزروعات التى تمر بها؛ لأنها طوال رحلة الهجرة الطويلة لا تأكل، وبالتالى تصير فى شدة الجوع عندما تحط على الأشجار والخضراوات والمزروعات فتجتاحها وتأتى عليها، ومما سبق نفهم بعض المعانى التى وردت فى الأحاديث النبوية المشرفة.

مكافحة الجراد

■ أخرج الإمام ابن ماجه، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبى سعيد الخدرى، أن رسول الله ﷺ قال - يحكى عن إهلاك أعداء الإسلام فى قصة يأجوج ومأجوج: «... **فبينما هم كذلك إذ بعث الله دواب مثل الجراد، فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد، يركب بعضهم بعضًا...**» إلخ الحديث الشريف.

■ أخرج الإمام ابن ماجه، عن وكيع، عن حماد بن سلمة عن أبى المُهزّم، عن أبى هريرة قال: (**خرجنا مع النبى ﷺ فى حجة أو عمرة، فاستقبلنا رِجلٌ من جراد، أو ضَرْب من جراد، فجعلنا نضربهن بأسواطنا ونعالنا**).

■ وفى شرح الأحوذى برواية الترمذى فى كتاب الحج: زاد فى الرواية الآتى: فأسقط فى أيدينا، فقلنا: ما نصنع ونحن محرمون؟

فسألنا رسول الله ﷺ فقال: «**لا بأس بصيد البحر**».

وفى رواية أخرى: «**كلوه فإنه من صيد البحر**».

أى إنه ﷺ ألحق صيد الجراد بصيد البحر، فكما أن صيد البحر حلال للمحرم؛ فكذلك صيد الجراد أكله حلال للمحرم.

تهاجر أسراب كثيفة العدد من الجراد، وتطير فى اتجاه الرياح، ولا تطير عكسها أبدًا.

وتسبب تيارات الحمل من الهواء الساخن الصاعد من الأرض إلى الطبقات العليا فى الجو، تسبب رفع أسراب الجراد المهاجر إلى طبقات الجو العليا إلى ما فوق الكيلو متر من سطح البحر، وإذا لم تنشط تيارات الحمل من الهواء، فإن أسراب الجراد قد تكون قرب سطح الأرض، أو أعلى منها بعشرات الأمتار.

ولما كانت أسراب الجراد تضر ضررًا بليغًا بالمزروعات والأشجار والمحاصيل، فإن الهيئات المعنية بمكافحة الجراد تتصدى لذلك بالتعاون مع منظمة الأغذية والزراعة الدولية.

١- بواسطة رش المبيدات بواسطة الطائرات على أسراب الجراد فتقضى عليها.

٢- بالقضاء على الحشرات حديثة الفقس وحرقها فى خنادق تحفر خصوصًا لذلك.

٣- برش زيوت تحتوى على فطر خاص يفتك بالجراد خلال أيام.

ويشترك البنك الدولى بمساهمة مالية كبيرة لتغطية تكاليف حملات مكافحة الجراد.

وحدث فى موريتانيا أن السماء تحولت إلى اللون البنى، واختفى ضوء الشمس بسبب كثافة عدد الجراد المهاجر، وأتى على كل الأخضر واليابس.

وقام السكان بمحاولات بدائية فى مكافحة الجراد بضربها بالعصى والجريد، وإحداث ضوضاء بالطبل، وهز علب الصفيح المملوءة بالأحجار، وقد دمر الجراد فى إحدى غاراته على موريتانيا مليون هكتار من المزروعات، ودمر أكثر من مائة ألف هكتار فى السنغال، ومثل ذلك فى كثير من الدول الأخرى، الأمر الذى يسبب مواسم من المجاعة للسكان.

فالخطر الأكبر يسببه الجراد البالغ، والذى يتسبب فى ظهور الجراد الكبير هو وصغاره، ومن أين جاءت صغاره، إنها من بيض الجراد؛ لذلك دعا رسول الله ﷺ على كل أطوار خلق الجراد من أول البيض، حتى فقسها عن الجراد الصغير، الذى إذا كبر صار حشرة بالغة تأكل أرزاق الناس، وتأتى عليها بأفواهها، وتهجم على المزروعات بأسراب هائلة؛ لذلك دعا رسول الله ﷺ ليس على الجراد وكل طور من أطوار خلقه فحسب ولكنه دعا ربه أن يقطع دابره إذ لم يكن لدى الناس قديمًا من طرق مقاومة

الجراد إلا الضرب بالعصي والجريد، وهذه طريقة لم تكن تجدى شيئًا فى مكافحة الجراد. لذلك أمر رسول الله ﷺ الناس بالدعاء على الجراد وأن يدفع الله خطره عنهم. ولابد للإنسان من أن يأخذ بالأسباب أولاً ثم يدعو ربه بعد ذلك.

وأهم طرق المكافحة هو رش أسراب الجراد بالمبيدات بواسطة الطائرات.

و يسقط الجراد الذى يموت مندفعًا إلى الأرض يركب بعضه بعضًا، حتى يصير أكوامًا على الأرض، (كما وصفه الحديث النبوى الشريف).

أكل الجــراد

■ روى الإمام ابن ماجه، عن زكريا بن يحيى بن عمارة، عن ابن العوام، عن أبى عثمان النهدى، عن سلمان قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكل الجراد فقال: «**أكثر جنود الله، لا آكله، ولا أحرمه**».

■ روى الإمام ابن ماجه عن أحمد بن منيع، عن سفيان بن عيينة، عن أبى سعيد، أنه سمع أنس بن مالك يقول: كن أزواج النبى ﷺ يتهادين الجراد فى الأطباق. (أى تهدى إحداهن إلى الأخرى).

■ وروى الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «**أحلت لكم ميتتان ودمان، أما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال**».

ولماذا الكبد والطحال فقط؟

١ـ لأنهما العضوان الوحيدان اللذان لا يمكن إخراج الدم من قنوات الدم داخلهما.

٢ـ وسبب آخر أنه دم خالٍ من الميكروبات؛ لأن خلايا جهاز الدفاع توجد فى جدران أوعيتهما الدموية، فكل ميكروب فى الدم فى كل من الكبد والطحال تلتقطه خلايا جهاز الدفاع وتلتهمه.

وفى رواية أخرى بنفس الإسناد: «**أحلت لكم ميتتان، الحوت والجراد**».

■ روى الإمام ابن ماجه عن حماد بن سلمة، عن أبى المُهَزِّم، عن أبى هريرة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى عمرة، فاستقبلنا رِجْلٌ من الجراد، فجعلنا نضربهن بأسواطنا ونعالنا، فقال النبى ﷺ: «**كلوه فإنه من صيد البحر**».

■ أخرج الإمام البخارى عن أبى كامل الحجورى، عن أبى عوانة، عن أبى يعفور، عن عبد الله بن أبى أوفى قال: غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات وكنا نأكل الجراد معه.

■ أخرج الإمام مالك، عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر قال: سئل عمر بن الخطاب عن الجراد، قال: وددت أن عندى قَفْعة نأكل منه.

والقفعة: وعاء كبير.

■ وروى البيهقى عن أبى أمامة الباهلى ـ رضى الله ـ عنه أن النبى ﷺ قال: «**إن مريم ابنة عمران سألت ربها أن يطعمها لحمًا لا دم له. فأطعمها الجراد**».

يشكل الجراد وجبة طعام لكثير من السكان وخصوصًا فى المدن الصحراوية.

الوصفة المعتادة لطهى الجراد وأكله، تقول بنزع أجنحة وأرجل الجراد، ثم يسلق فى الماء، وبعد أن يتم ذلك يخرج من الماء، ويضاف عليه قليل من الملح ويؤكل، وقد يُشوى على النار، ويؤكل الجذع والبطن فقط.

وفى بعض مناطق جنوب إفريقيا، يُقدم الجراد المسلوق للضيوف كوجبة شهية.

وتوجد طرق عديدة ومختلفة لطهى الجراد وتحضيره للطعام.

ويقال إن شعب اليمن هو الشعب العربى الوحيد الذى يحتفى بقدوم أسراب الجراد إلى أراضيه، إذ هو من أكثر الوجبات الغذائية عندهم، ويفضلون تناول الجراد بطريقتين: إما محمصًا بالأفران وإضافة الملح له بعد تحميصه، وإما بتمليحه ثم تركه معرضًا للشمس حتى ييبس، وبذلك لا يتلف حتى بعد خزنه لأسابيع أو شهور.

وفى كثير من البلدان الإفريقية يشكل جمع الجراد وتسويته تجارة هامة، ففى النيجر مثلاً يجمع الناس كميات هائلة من الجراد الصحراوى، ويضعونه فى أكياس زنة كل منها مائة كيلو جرام، ويوزعونها فى الأسواق، والجراد من الوجبات المحببة لهم.

قال رسول الله ﷺ عن الجراد: «**إنه أكثر جنود الله**».

أى أكثرهم عددًا، وقد سلطه الله على آل فرعون فأهلك زرعهم وأصابهم بالمجاعة، فهو وسيلة من عذاب الله لعباده، وهو بهذا المعنى من جنود الله فى الأرض.

وقال ﷺ عن الجراد: «**كلوه فإنه من صيد البحر**»، وقال أيضًا: «**أُحلت لكم ميتتان الحوت والجراد**».

«**فإنه من صيد البحر**»: أى حلالٌ أكله؛ لأن الله أحل صيد البحر، ومعنى الحديث: كلوا الجراد فإن الله أحله كما أحل صيد البحر.

وقوله ﷺ: «**أُحلت لكم ميتتان الحوت والجراد**». الحوت: كل دواب البحر حكمها حكم الحوت، وكل سمكة كبيرة يطلق عليها اسم (حوت)، وكل ما جزر عنه البحر من ميتة دواب البحر وأسماكه فأكله حلال، كما قال رسول الله ﷺ عن البحر: «**هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**».

الجراد عذاب أرسله الله على العصاة

لقد سخر الله تعالى للإنسان الكثير من الدواب كالخيلِ والبغالِ والحميرِ، وسخر له الأنعام كالبقرِ والأغنامِ والإبلِ.

فنجد جملاً ضخمًا يسوقه طفل صغير وينصاع الجمل له؛ لأن الله تعالى سخره للإنسان، ولكن الله تعالى لم يسخر له الحشرات مثلاً فنجد بعوضة صغيرة تهاجم الإنسان وتمتصُّ دمه وتصيبه بالأمراض، ونجد القمل والبراغيث كذلك، ونجد الجراد ينتشر فى الأرض فيهلكُ ما زرع الإنسان وما حصد.

والجراد من الحشرات مستقيمةِ الأجنحة.. وله أرجلٌ خلفية قوية، ويقفز بها قفزات عالية، ولو قبضت بيدك على جرادة فسوف تدهش من قوة ضربات أرجلها الخلفية.

وغزو الجراد فى بعض الأحيان يكون أسوأ وباءٍ لحشرة عرفه الإنسان، فهو يهلك كلَّ شىء يهاجمه، ويقضى على كل الأشجار والثمرات، ويهاجر من منطقةٍ إلى منطقةٍ أخرى عندما تزداد أسرابه عددًا، ويتوالد فى طريق هجرته، ويأكل الأشجار والنباتات والثمار التى تقابله فى طريقه.

ويهاجر فى أسراب كثيفةٍ لمسافات طويلة، وبعض أنواع الجراد تكون فى حشودٍ قليلةِ العدد نسبيًّا وبالتالى يكون ضررُها بسيطًا ويبدأ الحشدُ من مناطق تسمى «مناطق الانفجار».

ومعرفةُ هذه المناطق على جانب كبير من الأهمية لمراقبة الجراد ومكافحته والجراد الصغير المسمى النطاط أو القافز Hopper قد يُحدث كثيرًا من التدمير والتلف أيضًا.

والجراد قادر على الطيرانِ لمسافاتٍ طويلةٍ، ويمكن لسربٍ منه الطيرانُ بصورةٍ متواصلة ليوم كامل قاطعًا مئات الكيلومترات وأكثرُ أنواع الجراد ضررًا ما يسمى «بالجراد الصحراوى» لأنه يحتشد فى مجموعاتٍ كبيرة وأسرابٍ أو جيوش كثيفة فى أى منطقة يحتشد فيها، ثم ينطلق منها لغزو مناطق أخرى واسعة.

والجراد الصحراوى أخطر أنواع الجراد على الإنسان ويتوالد ويتكاثر بشكل سريع وكثيف، ويسبب التلف والدمار للمحاصيل والأشجار.

ويحكى لنا التاريخ عن حوادث التدمير والتخريب التى أحدثها الجراد فى مناطق كثيرة فى العالم عبر العصور، وكيف كان آفةً مخرِّبةً لأرزاق الناس فى كل مكان يغزوه.

ويُغيرُ الجرادُ بأسرابٍ كثيفة العدد جدًّا، وقد شبّه القرآن الكريم خروج الكفار من أجداثهم يوم القيامة بأعداد كثيفة جدًّا بالجرادِ المنتشر فقال فى سورة القمر:

﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧].

وخشوع الأبصار كنايةٌ عن الذل لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران فى عيونهما، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾: شبه كثرتهم بكثرة الجراد المنتشر.

قال: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ أى يخرجون من القبور فى مجموعات كثيفة العدد، كأنهم جراد منتشر، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ١٤]، أى الذى ينطلق فى اتجاهات شتى. ولكن الجراد أكبر حجمًا من الفراش وأقوى. فلماذا شبّه شيئًا واحدًا بالصغير والكبير؟.. ذلك لأنه شبههما بحالين مختلفين من أهوال يوم القيامة.

الحال الأول: شبه الكفارِ بالفراش المبثوث الذى يذهب كل منهم فى اتجاه مختلف عن اتجاه الآخر، فلا يعرفون أين يتجهون؛ لأن الفراش لا يقصد جهةً معينة، لذلك يدخل بعضها فى بعض.

الحال الثانى: إنهم إذا سمعوا المنادى قاموا مسرعين، خائفين فزعين.

فهم كانوا فى الدنيا كالحشرات الضارة التى لم يأتِ من ورائها فى الدنيا إلا البغض والظلم لغيرهم مثل ما أتى من الجراد من تدمير للناس وإتلاف لأرزاقهم.

وهكذا يأتى التشبيهُ فى القرآن الكريم تشبيهًا بليغًا، فإذا المشبَّه عين المشبه به قولاً وفعلاً، ومظهرًا ومخبرًا وأثرًا وصفات.

وتقوم منظمة الفاو التابعة للأمم المتحدة ـ والتى اتخذت روما مقرًّا لها ـ بمراقبة تحركات الجراد الصحراوى ومحاولة الكشف عن أماكن تكاثره والعمل على مكافحته.

والصعوبةُ فى مكافحة الجراد أنه لا توجدُ له مناطق انفجار خاصة يمكن مراقبتها بسهولة والعمل على تدمير الحشد الهائل من الجراد قبل البدء بالهجرة والغزو.

فحيثما تهطل الأمطارُ الغزيرة أو السيولُ أو الفيضانات تنبت بعدها النباتات بكثرة وهنا تكون أنسب مناطق الانفجار للجراد.

ويعمل الخبراءُ فى معظم مناطق العالم على مكافحة الجراد أينما يكون وأينما يتكاثر، ويمكن للجراد الصحراوى أن يغزو قارة طولاً وعرضًا، كما حدث كثيرًا فى إفريقيا، وكما حدث فى آسيا، وتتعرض المناطق المنكوبة لغزو الجراد على موجات أو دفعات تستمر شهورًا، وقد تستمر سنوات كما حدث فى عام ١٩٤٩ فى إفريقيا. إن الجراد لا يترك الأرض التى غزاها إلا وقد صارت قاحلة لا زرع فيها؛ لذلك يعانى السكان الذين يعتمدون على الزراعة معاناة قاسية.

إن الجرادة تلتهم كل يوم ما يعادل ثلاثة أضعاف وزنها، والجراد الكبير يلتهم ضعف ذلك، وقدر المتخصصون فى مكافحة الجراد أن الجراد إذا غزا منطقة زراعية، فإنه يلتهم فى يوم واحد من الحبوب ما يكفى لإطعام نصف مليون إنسان لمدة عام كامل!

وتقوم منظمة الأغذية والزراعة الدولية (فاو) التابعة للأمم المتحدة - والتى تتخذ روما مقرًّا لها - بمراقبة مستمرة لانتشار الجراد فى شتى بقاع العالم، ويطير الجراد الصحراوى فى مجموعات كثيفة العدد مسافات طويلة جدًّا، ولكنه لا يتحمل حرارة الجو العالية التى تزيد على ٣٠ درجة مئوية، وسرعة طيران الجراد نحو ١٨ كيلو مترًا فى الساعة، وغالبًا ما تحمله الرياح فى اتجاهها، وهجرة الجراد من مكان إلى مكان لا تدل على البحث عن الغذاء فحسب، ولكن على دوافع غريزية لا تزال مجهولة لدى العلماء، كما تهاجر الطيور من مكان إلى مكان على سطح الكرة الأرضية.

وتضع الجرادة الأنثى بيضها فى خنادق تحفرها تحت الأرض، وتضع الجرادة الواحدة نحو سبعين بيضة مع مادة رغوية تحول بين البيض والجفاف ليظل حيًّا. وإذا هطلت الأمطار بغزارة أدت إلى نمو النباتات فى الصحراء، وهيأت بذلك البيئة الصالحة لتكاثر الجراد، فتكاثر الجراد بظهور الأجيال الجديدة من الجراد يحدث غالبًا بعد هطول الأمطار الغزيرة. والعدو الأكبر للجراد هو الجفاف وارتفاع درجة حرارة الجو؛ لذلك يتلقى خبراء مكافحة الجراد أخبار الجفاف بترحاب كبير.

وأهم طرق مكافحة الجراد رش مبيدات الجراد بطريقة أو بأخرى على نطاق واسع ومساحات واسعة من الأرض؛ لأن الجراد ينتشر أثناء غزوه فى مساحات شاسعة من الأرض من غرب إفريقيا مثلاً إلى شرقها، وكثيرًا ما يحدث أن ترتفع درجة الحرارة، فتهوى آلاف الملايين من الجراد على الأرض أو فى البحر وتموت، ويأتى إليها من يصطادها من البحر، وهى فى هذه الحالة من (صيد البحر)! ويحفظ ماء البحر المالح ذلك الجراد من التعفن لعدة أيام.

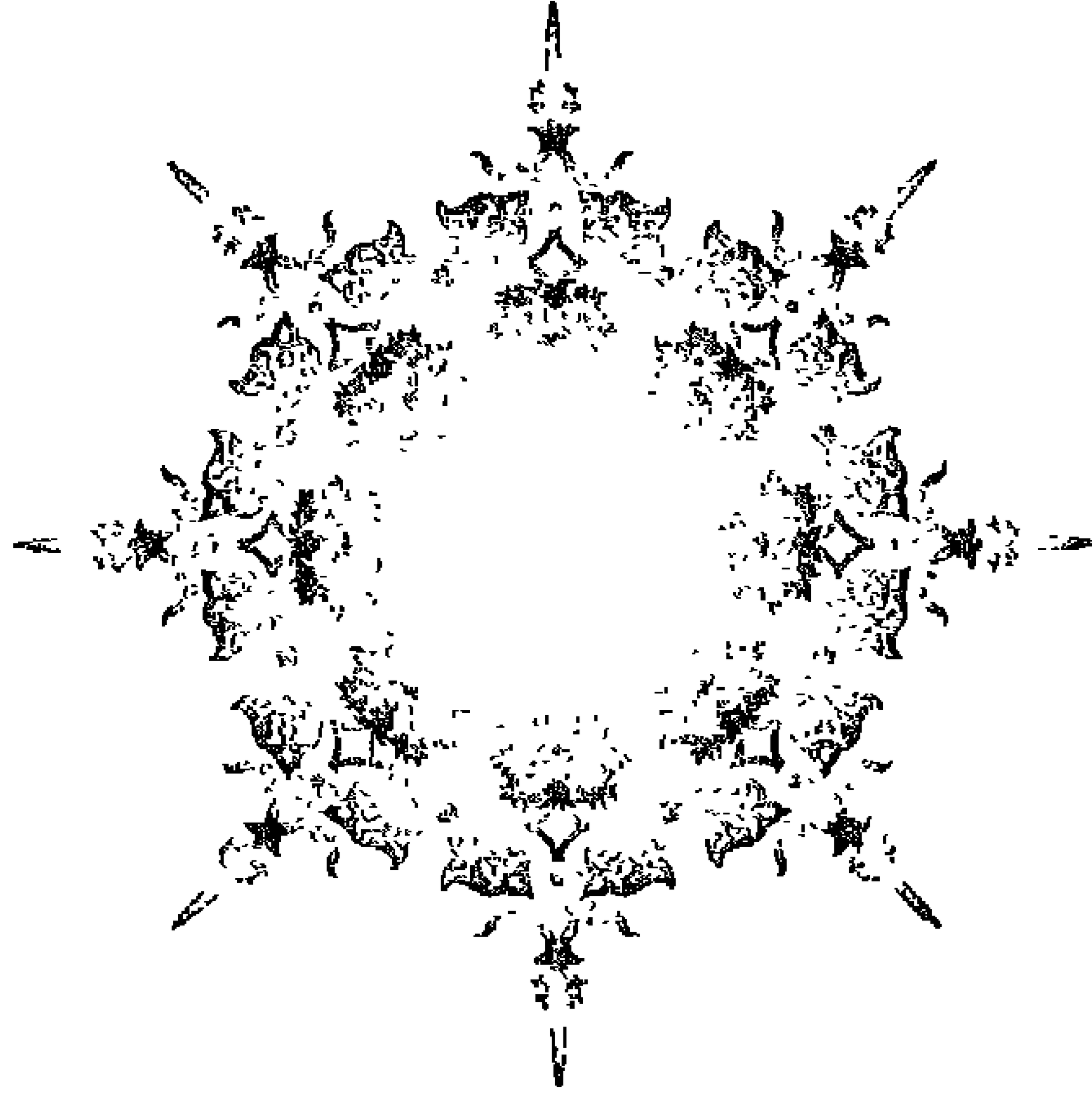
ويذكِّرنا ذلك بما حدث لأهل مصر القديمة فى عهد النبى موسى عليه السلام عندما ازداد فرعون وجنوده طغيانًا فى الأرض؛ فأرسل عليهم خمس كوارث بعضها وراء بعض، أرسلها فرادى عليهم فقد استكبروا على الله ورسوله وكانوا قومًا مجرمين.

فأرسل الله عليهم الطوفان، وقد يكون فيضانًا شديدًا لنهر النيل فى ذلك الزمان أغرق أرض مصر وأهلك زراعاتها، فطلبوا من موسى أن يدعو ربه ليكشف عنهم الطوفان، ولو فعل ذلك سيطيعونه، فدعا النبى موسى عليه السلام ربه فكشف الطوفان عنهم، ولكنهم نكثوا عهدهم معه، وعادوا إلى ما كانوا عليه من بغى وظلم لبنى إسرائيل: قوم النبى موسى، وكانوا قومًا مسلمين.

ولما لم يرتدع فرعون وجنوده وقومه سلط الله تعالى عليهم الجراد الصحراوى بعد الطوفان مباشرة، وكأن الطوفان كان سببًا فى إحداث ما يسمى بمنطقة الانفجار للجراد، فأتى على زروعهم ومحاصيلهم وأهلك الحرث والنسل.

الجراد آكل ومأكول:

الجراد آكل للمزروعات والمحاصيل، وبعض الحشرات الصغيرة كالبعوض والذباب، والجراد مأكول لغيره من المخلوقات مثل الثعالب، والقطط، والقنافذ؛ والعصافير. وذكر ذلك فى كتاب الحيوان للجاحظ تحت عنوان (أرزاق الحيوان)، وقال: إن الأفاعى تأكل الجراد أكلاً شديدًا.



٢ الســـــــــــوس

■ أخرج الإمام أبو داود عن محمد بن عمرو بن جبلة، عن مسلم بن قتيبة، عن همام، عن إسحق بن عبد الله بن طلحة، عن أنس بن مالك قال: أُتى النبى ﷺ بتمر عتيق فجعل يفتشه، يُخرج السوس منه.

■ أخرج الإمام ابن ماجه عن أبى بشر، عن بكر بن خلف، عن أبى قتيبة، عن همام، عن إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس بن مالك قال: رأيت رسول الله ﷺ أُتى بتمر عتيق، فجعل يفتشه.

- فى هذه الرواية لم يذكر السوس.

تنقسم الحشرات - حسب التقسيم العلمى - إلى رتب عديدة، منها رتبة الخنافس وتنقسم رتبة الخنافس إلى (تحت رتبتين):

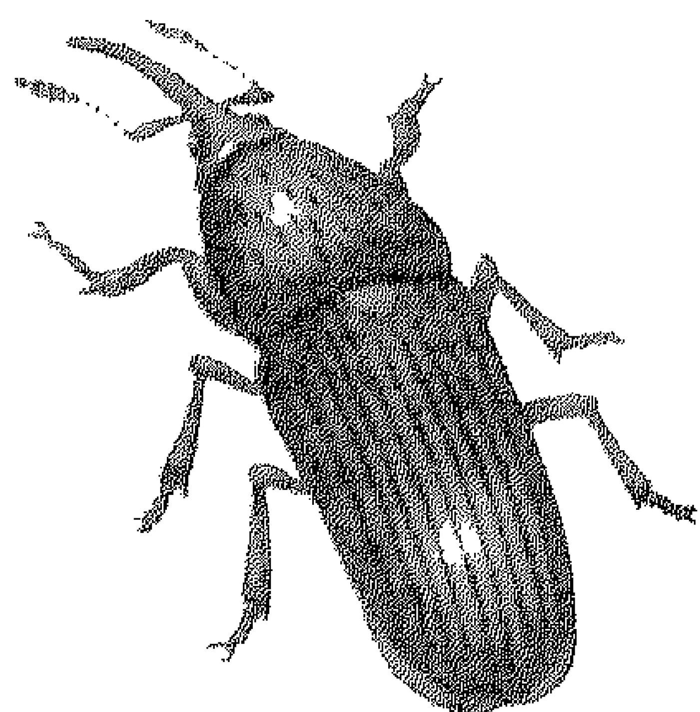
١- تحت رتبة الخنافس.

٢- تحت رتبة السوس.

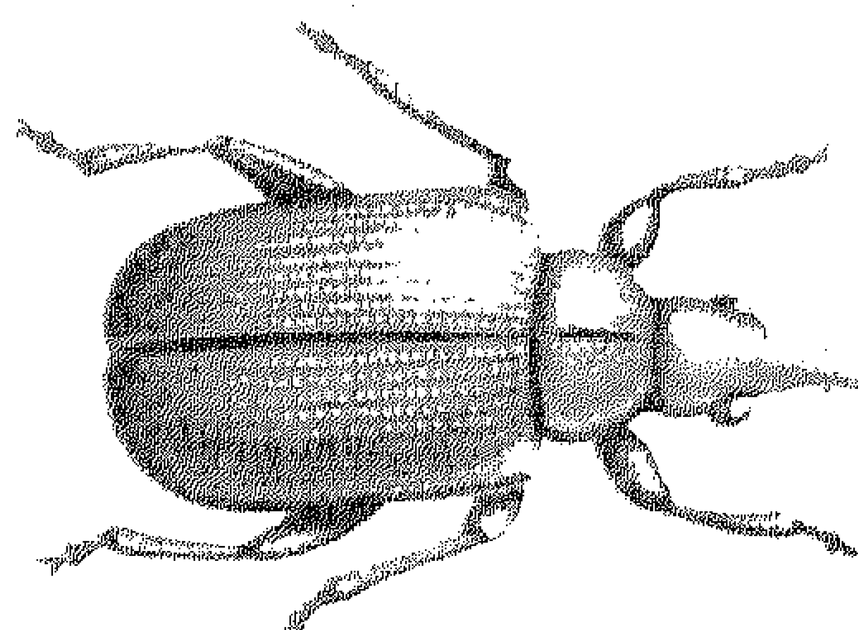
وحشرة السوس لها أنواع كثيرة جدًا. والكثير منها يتغذى على النباتات والثمرات والحبوب، مثل سوسة النخيل، وسوسة البندق، وسوسة الحبوب، وسوسة التمر.. إلخ.

ومما يميز حشرة السوسة عن غيرها من الحشرات، منقارها الطويل. أو الخرطوم الطويل.

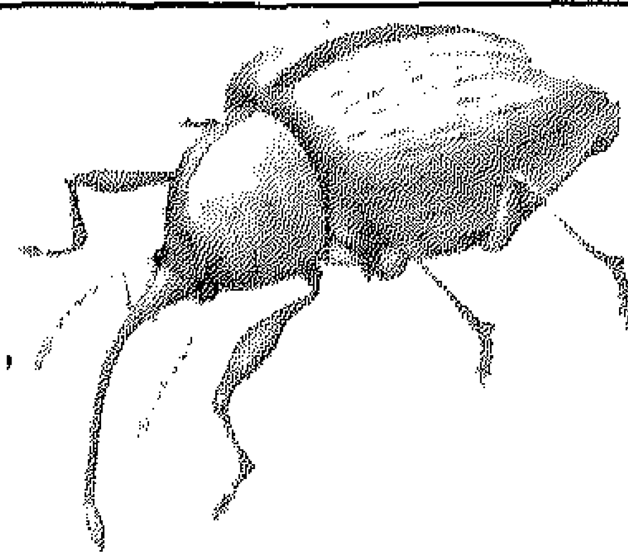
ومن أخطر أنواع حشرات السوس: سوسة النخيل الحمراء.



سوسة الحبوب **Grainweevi** (كالندرا جرانا ريا granaria Calendra . هذه السوسة وزميلتها سوسة الأرز وباء خطير للحبوب المخزونة. والتلف تقوم به اليرقات التى قد تصيب البسكويت وأنواع الطعام الأخرى المصنوعة من الدقيق، إذا تركت لمدة طويلة.



سوس الورق الملفوف **Leaf - roller Weevil**: (بيكتسكس بيتيولى Byctiscus betulae) من مميزات فصيلة السوس، المنقار أو الخرطوم الطويل (يوجد أيضًا فى سوس البندق). ويعيش هذا النوع على البندق، وتلف الأنثى أوراق الأشجار لحماية بيضها.



سوسة البندق Nutweevil: (بالنينس ناكم Balanius Nucum) تضع هذه السوسة بيضها فى البندق، مستخدمة منقارها الطويل فى ثقب غلاف البندق. ويرقتها هى الدودة الصغيرة البيضاء التى تجدها عند كسر بندقة تالفة. والمنقار Beak أو الخرطوم Rostrum هو المميز للسوس.

سوسة النخيل الحمراء:

تسمى فى التقسيم العلمى (تحت رتبة السوس).


سوسة النخيل الذكر والأنثى

ظهرت هذه السوسة حديثًا، فلم تكن معروفة فى المنطقة العربية إلا بعد ١٩٨٦م، وانتقلت من نخلة إلى أخرى مع نقل الفسائل المصابة بالسوسة أو إصابة نخلة لم تكن مصابة من قبل.

وهذه السوسة خطيرة جدًا لأنها تقضى على النخلة المصابة إذا لم تعالج فى أطوار الإصابة الأولى. وسوسة النخيل تهدد الاقتصاد القومى فى المناطق الغنية بالنخيل، لذلك أنشئت إدارات متخصصة لمكافحة هذه الحشرة.

ولا تدخل حشرة السوسة النخلة إلا من خلال جرح فى جذع النخلة، من أثر نزع الفسائل مثلاً أو تقليمها بشكل مبالغ فيه.

وإذا كانت المياه جارية حول جذع النخلة، يصير الجذع لينًا، وهذا يُسهّل على السوسة اختراق الجذع والوصول إلى داخله.

لذلك فأهم طرق مكافحة سوسة النخيل:

١ـ منع الرطوبة المائية حول جذع النخلة.

٢ـ تغطية الجروح على الجذع بعجينة مكونة من الجبس والمبيد الحشرى.

من أخطر الآفات الحشرية التى تصيب النخيل. والهند موطنها الأصلى. ومنه انتقل إلى بلدان الجزيرة العربية، والعراق، والشرق الأوسط، والسودان، والباكستان. وإندونيسيا والفلبين وبورما وسيلان، وإسبانيا وإيران، وبلدان شمال إفريقيا.

دورة حياتها (حشرة كاملة ـ بيض ـ يرقة ـ عذراء ـ حشرة كاملة). وتقضى الحشرة دورة حياتها كلها داخل جذع النخلة.


سوسة النخيل الحمراء

وتفضل الحشرة مهاجمة النخيل الصغير الأقل من عشرة أعوام، حين يكون جذع النخلة غضًا يسهل على الحشرة اختراقه. وتنتهى إصابة النخيل بموته إذا لم يُسْعف بالعلاج.

والسوسة البالغة لونها بنى محمر، عليها بقع سوداء على منطقة الصدر. وطول الحشرة من ٣,٥ ـ ٤سم وعرضها ٢سم. ولها خرطوم طويل، وهذا يميز السوسة عن الخنفساء وللحشرة عدة أجيال كل عام تقل إلى ستة أجيال.

تصيب النخل آفات أو حشرات من سوس وغيره، تمنع ظهور ثمره أو إتمام نضجه ونجد ذلك فى الحديث النبوى الشريف.

■ أخرج الإمام مسلم عن ابن أبى خلف، عن زكرياء بن عَدِىّ، عن عبيد الله، عن زيد بن أبى أنيسه، عن أبى الوليد المكى، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ نهى عن المُحاقلة، والمزابنة، والمخابرة، وأن تشترى نخلاً حتى تُشْقِهِ:

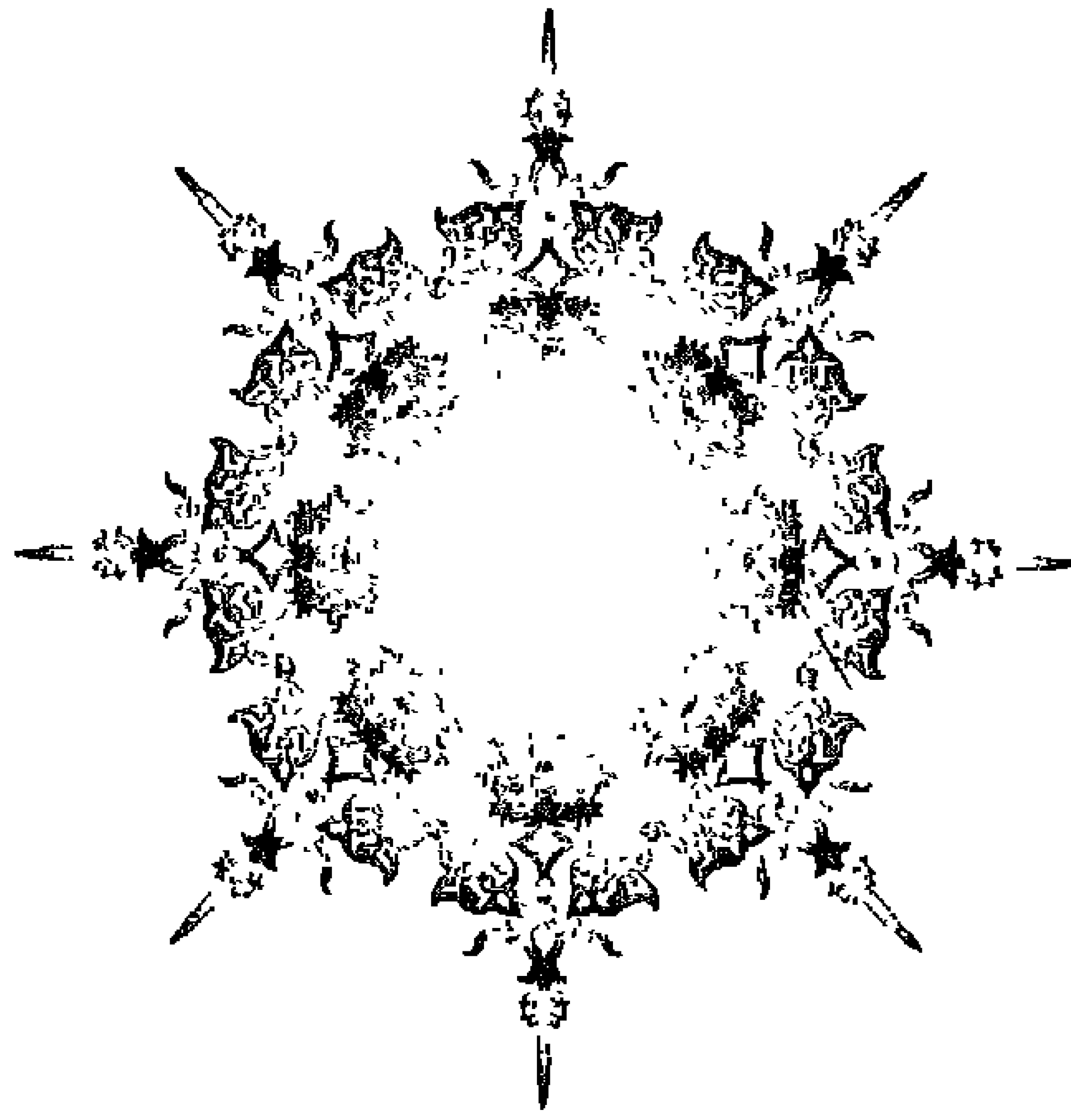
الإشقاء: أن يحمر أو يصفر أو يؤكل منه شيء.
المزابنة: أن يباع النخل بأوساق من التمر.
المخابرة: الثلث أو الربع، أو أشباه ذلك.

■ وأخرج الإمام البخارى عن على بن الهيثم، عن مُعَلى، عن هشيم، عن حميد، عن أنس بن مالك، أن النبى ﷺ نهى عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها، وعن بيع النخل حتى يزهو. قيل: وما يزهو؟ قال: يَحمْارٌ أو يَصْفَارٌ.

ـ وفى رواية أخرى: أن رسول الله ﷺ قال: «**أرأيت إن منع الله الثمرة، بم يأخذ أحدكم من مال أخيه**»؟

■ وأخرج الإمام مسلم عن طريق أبى الزبير، عن جابر، ما يقوى رواية الرفع فى حديث أنس. قال النبى ﷺ: «**لو بعت من أخيك ثمرًا فأصابته عاهة، فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئا. بم تأخذ مال أخيك بغير حق**»؟

واستدل بهذا على وضع الجوائح فى التمر، يشترى قبل ظهور صلاحه، ثم تصيبه جائحة (أى آفة تتلفه).



٣ الخنافس

■ أخرج الإمام الترمذى عن محمد بن يسار، عن أبى عامر العُقَدِىّ، عن هشام بن سعد، عن أبى سعيد المَقْبُرِىّ، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فَحْمُ جهنم، أو ليكونُنّ أهْوَنَ على الله من الجُعَلِ الذى يُدَهْدِهُ الخُرْءَ بأنفه، إن الله أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية، إنما هو مؤمن تقى، وفاجر شقى. الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب**».

(عبية الجاهلية): فخرها وكبرها. وأصلها من العيب.

(يُدَهْدِهُ الخُرْءَ): أى يدفع الخِراء أمامه ويكوره.

وفى تفسير الترمذى: أى يدحرج الخراء أو الروث أمامه، وهذه طبيعة الجُعل. وهو المسمى عند العامة (بالجعران) وهو نوع من الخنافس.

■ أخرج الإمام أبو داود عن ابن وهب، عن هشام بن سعد، عن سعيد بن أبى سعيد، عن أبيه، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقى، وفاجر شقى. أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، لَيَدَعَنَّ رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فَحمٌ من فَحْمِ جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجِعْلان التى تدفع بأنفها النَّتْنَ**».

(النَّتْن): كل شىء منتن فهو نَتْنٌ.

وفى رواية الإمام أحمد: «لما يُهَدهدهُ الجُعَل بمنخريه».

■ أخرج الإمام أحمد عن محمد بن عبد الله بن الزبير، عن هشام بن سعد، عن سعد بن أبى سعيد المقبرى، عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبيّة الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقى، وفاجر شقى، والناس بنو آدم. وآدم من تراب، لينتهين أقوام عن فخرهم برجال، أو ليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجِعْلان التى تدفع بأنفها النَّتْنَ**».

الخنافس حشرات تسبب الكثير من الأضرار. والتى لا تضر منها لا تفيد الإنسان. وإن كانت تفيد البيئة التى تعيش فيها.

ويوجد نحو ربع مليون نوع مختلف من الخنافس Beetles وتنتمى إلى رتبة عمدية الأجنحة ـ وهى أكثر رتب الحشرات عددًا ـ وتعيش فى كل مكان على ظهر الأرض فى البر والنهر والجو وعلى السهول وعلى الجبال. وتعيش فى خط الاستواء كما تعيش تحت الجليد!

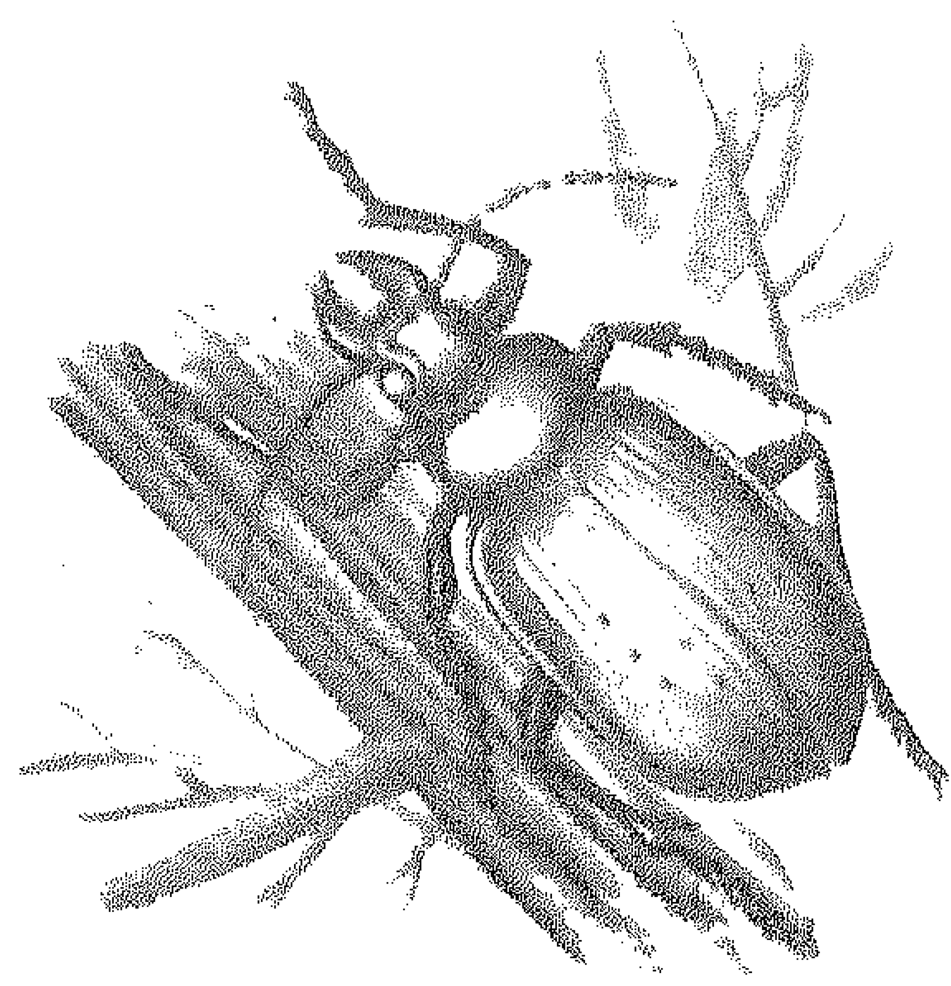
والخنافس الطائرة فى الجو صغيرة للغاية، فهى أقل من المليمتر فى الطول ولا ترى جيدًا إلا تحت الميكروسكوب. وتوجد خنافس ضخمة تصل إلى أكثر من عشرة سنتيمترات فى الطول!

والكثير من أنواع الخنافس مضر، لأنها تضر بغذاء الإنسان من الحبوب والمحاصيل المخزونة والمزروعة. وخنفساء كلورادو مثلاً تضر محصول البطاطس، فهى تأكل أوراق شجرة البطاطس، وتفسد الثمرة أيضًا.

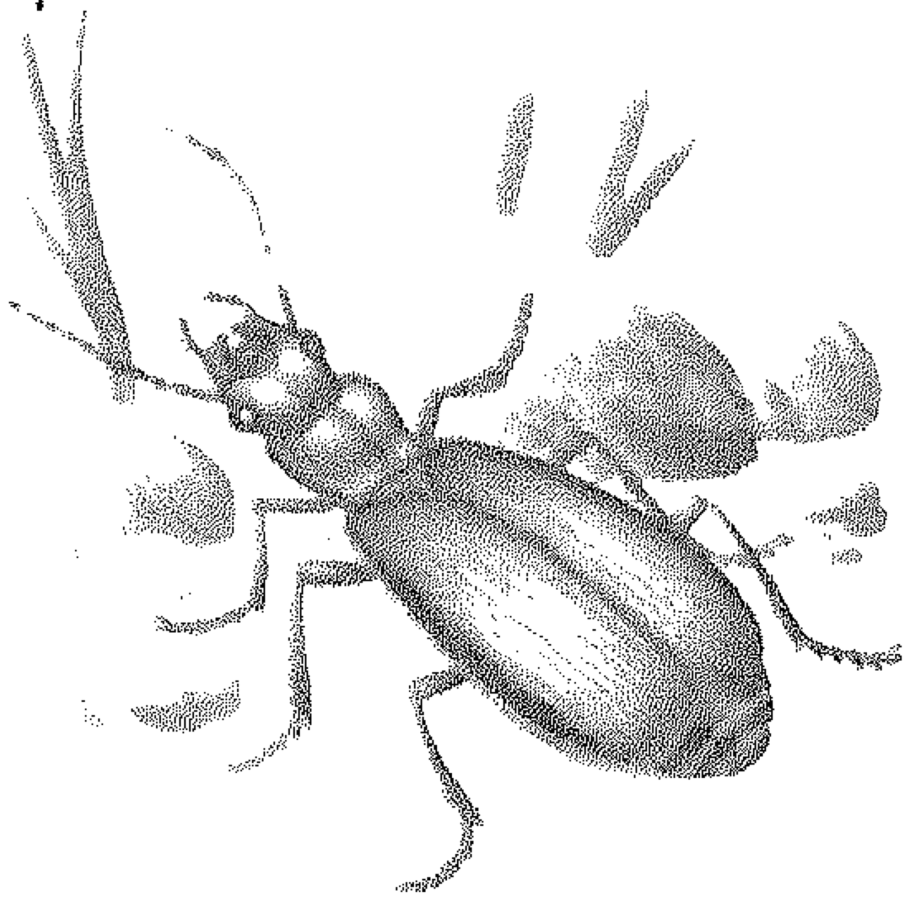
وتتغذى الحشرات بإحدى طريقتين: المضغ أو المص. وتتحرك فكوك فم الخنفساء من جنب إلى جنب كما يفعل الجمل!

والخنفساء بأربعة أطوار فى دورة حياتها: بيضة ـ يرقة ـ عذراء ـ حشرة.

وتقسم الخنافس إلى (تحت رتبتين) الأولى آكلة اللحوم والأخرى تعيش على أى نوع من الطعام.

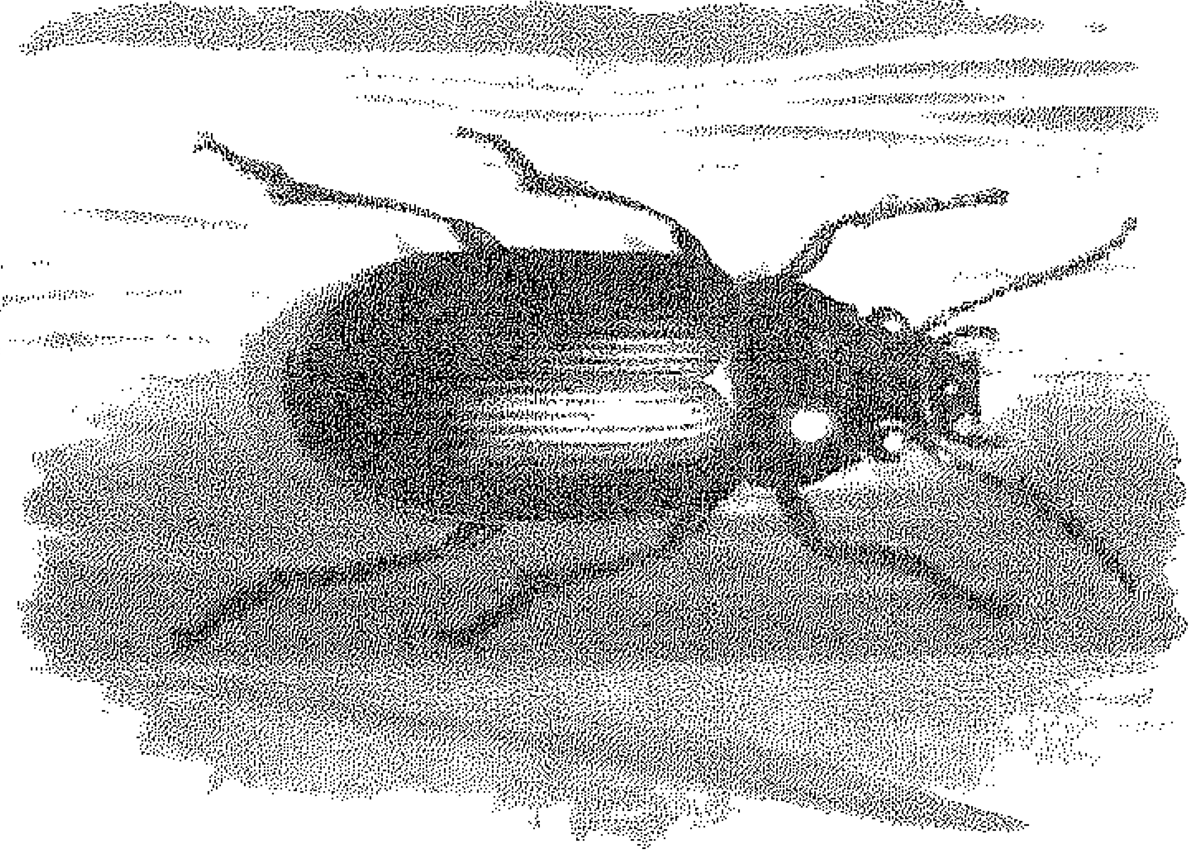


خنفساء خضراء تعيش فى أوروبا وتفترس يرقات الفراش وهى بذلك تؤدى مهمة جليلة لإنقاذ الأشجار من يرقات الفراش آكل أوراق الشجر.

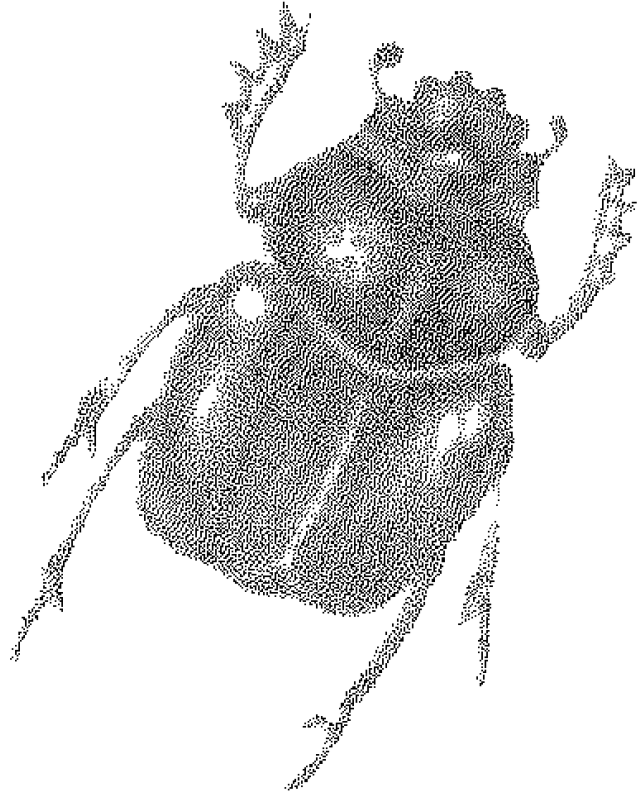


الخنفساء المفرقعة

طولها ربع بوصة. وتحمى نفسها بقذف سائل فى وجه عدوها من غدة فى بطنها ويسمع له فرقعة، وله مفعول الغاز المسيل للدموع.

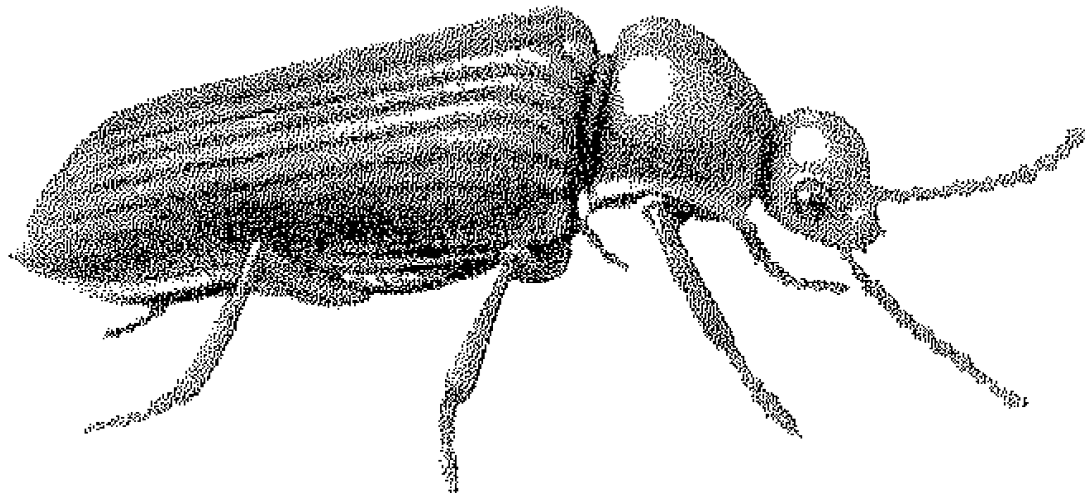


تتغذى على الحبوب وتفسدها

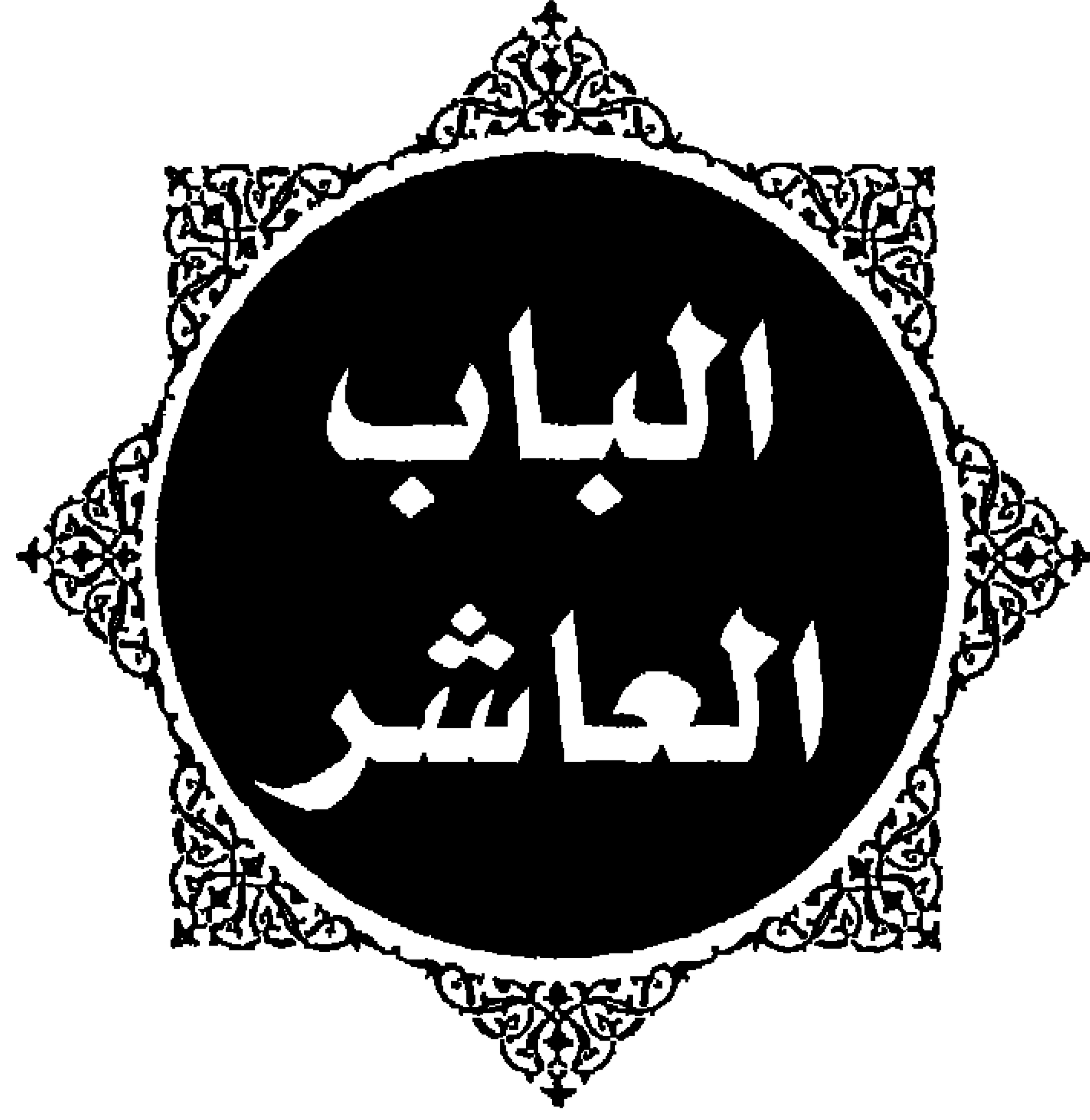


الجعران

كان المصريون القدماء يعتبرونه مقدسا. ويتغذى على روث الدواب وفضلات الإنسان، يصنع منها كرات كبيرة يدحرجها أمامه ويخزنها فى بيته تحت الأرض.



تدمر الدقيق والأطعمة والحبوب المخزونة، وأما يرقاتها فهى غذاء للطيور والأسماك.

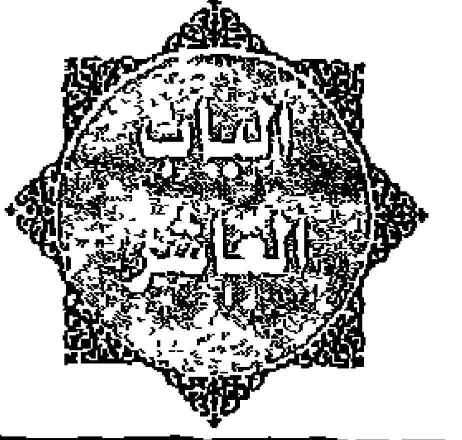


الميكروبات

١ ـ الإيدز (طاعون العصر).

٢ ـ انتشار الأوبئة.

٣ـ الميكروبات وأذى المحيض.



الميكروبات

١ الإيدز (طاعون العصر)

■ أخرج الإمام ابن ماجه عن أبى أيوب، عن ابن أبى مالك، عن أبيه، عن عطاء بن رباح، عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ فى حديث له: «**لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع، التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا...**».

ونجد مثلاً على ذلك فى عصرنا هذا: الإيدز، ويسمونه (طاعون هذا العصر).

■أخرج الأئمة مسلم وأحمد وأبو داود، عن واصل بن عُيينة، عن يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يَعْمر، عن أبى الأسود الدّيلى، عن أبى ذر أن ناسًا من أصحاب النبى ﷺ قالوا: يا رسول الله.. ذهب أهل الدثور[1] بالأجور، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال ﷺ: «**أوَ ليس قد جعل الله لكم ما تَصَّدَّقُون؟ إنّ بكل تسبيحة صدقة[2]، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهيٌ عن المنكر صدقة، وفى بُضْع أحدكم صدقة**» (أى الجماع). قالوا: يا رسول الله.. أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! قال: «**أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر**».

■ أخرج الأئمة مسلم وأحمد وأصحاب السنن، عن على بن مُسْهر، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة بن قيس عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**».

الباءة: نفقة الزواج. وجاء: حفظ وصيانة وحماية.

■ وأخرج الإمام البخارى، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله قال كنا مع النبى ﷺ شبابًا لا نجد شيئًا. فقال لنا رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**».

■ أخرج الإمام مالك، عن يحيى بن سعيد، عن عبد الله بن عباس أنه قال فى حديث له: (... ما فشا الزنا فى قوم قط إلا كثر فيهم الموت).

■ أخرج الإمامان أحمد وابن ماجه عن أبى سلمة، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس بن أبى حازم، عن أبى بكر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه**».

■ أخرج الأئمة البخارى ومسلم وأحمد، عن عروة، عن زينب بنت أم سلمة، عن السيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان، عن السيدة زينب بنت جحش قالت سألت رسول الله ﷺ: (أنهلك وفينا الصالحون)؟، قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»، أى الخبائث، وهو كل عمل خبيث مكروه ومفسد.

(١) (الدثور) جمع دثر وهو المال الكثير. (أهل الدثور) أى الأغنياء.
(٢) أى إن لها أجرًا كما أن للصدقة أجرًا، وسماها صدقة عن طريق المقابلة. وقيل معناها: صدقة على نفسه.

■ أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الرحمن، عن زهير، عن ابن أبى عمر، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال فى حديث له: «**ولعن الله من عَمِل عَمَل قوم لوط، ولعن الله من عَمِل عَمَل قوم لوط، ولعن الله من عَمِل عَمَل قوم لوط**».

الطاعون كل وباء يطعن صحة الإنسان، فالكوليرا والتيفوس، والحمى الصفراء والطاعون، كلها تطعن صحة الإنسان، وتهدد حياته، وتؤدى به إلى الهلاك، وكل وباء ينتشر بين الناس بسبب انتقال الجراثيم أو الفيروسات المسببة له.

وبعض الأمراض التى تندرج تحت اسم الطاعون، قد يكون سوء تصرف الإنسان السبب فيها مثل الإيدز الذى يسببه فيروس شديد الفتك بالإنسان، الذى يرتكب الفاحشة.. وسنتحدث حديثًا موجزًا عن الإيدز كمثل من أمثلة الأمراض التى تنتقل إلى الإنسان الذى يتبع خطوات الشيطان، ويرتكب الفحشاء.

الإيدز[1]:

فى سورة النور، يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

والفحشاء تطلق على الزنا لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾.

والفحش والفحشاء والفاحشة: هو القبيح من القول والعمل وكل شىء جاوز الحد فهو فاحش.

والمنكر: هو كل ما قبّحه الشرع وحرّمه.

وفى سورة الإسراء يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٣٢].

ولا تقربوا الزنا: أى لا تدنوا منه، ولا تسيروا فى طريق يؤدى إليه.

فالإنسان قد لا يملك نفسه عند مقاربة الزنا فيقع فيه، لذلك كان النهى عن مجرد الاقتراب من طريق يؤدى إليه.

وساء سبيلا: سبيلاً: نصبٌ على التمييز وتقديره: وساء سبيلُه سبيلاً.. وذلك يشير إلى ما يؤدى إليه الزنا من أضرار وأخطار وكوارث، ولم يحرم الإسلامِ الفاحشة إلا لمصلحة الفرد ولمصلحة الجماعة، وقد بيّن للأمة العلاج الصحيح، فالإسلام يحرِّمُ الخلوةَ بين أى رجلٍ وامرأة بغير زواج، وينهى عن التبرج والزينة، ويحض على الزواج لمن استطاع، والصوم لمن لا يستطيع، ولكنه يوقع العقاب على من يقترف الفاحشة، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾، تبين الآية الكريمة فيما تبين من حق أن بين الزنا وقتل النفس صلة، فالزنا ابتداءً: قتلٌ لمادة الحياة بوضعها فى غير موضعها، والزنا قد يسبب قتل الجنين فى بطن أمه، وإن ترك يولد للحياة فقد تُرِكَ لحياة مريرة أو لمصير مجهول. والزنا قتل للصلات الصحيحة فى المجتمع وضياع للإنسان فيه، وتفكك أسرى واجتماعى بعيد المدى، فضلاً عن أن الزنا قد يؤدى إلى قتل للزانى نفسه، قتل لنفسيته وقتل لبدنه أيضًا.

إن الكثير من الأمراض الجنسية التى تنتشر فى المجتمعات بسبب الزنا مثل الزهرى والسيلان وغيرهما من الأمراض، تسبب مشكلات صحية كثيرة؛ لأن العلاج مع توافره لم يؤد إلى الشفاء، ولم ينقذ البشرية من أخطار الزنا ومشكلاته وآلامه ومصائبه، ومضى الزمن ولم يرتدع كثير من الناس ولم يرجعوا إلى طاعة الله ورسوله، بل ازدادوا ضلالاً وازدادوا فجورًا، واستمروا فى ممارسة الزنا واللواط فى

(١) انظر الإعجاز العلمى فى المعارف الطبية (الطب الوقائى) للمؤلف.

جهالة وفجور، فكان أن سلط الله تعالى عليهم أمراضًا أخرى أشدَّ نكالاً منه وعذابًا، سلط عليهم جراثيم لم تكن تسبب أمراضًا للإنسان من قبل، أرسل عليهم طاعونَ هذا العصر، وهو نقص المناعة المكتسبة، وما تؤدى إليه من أمراضٍ كالإيدز مما لا علاج له اليوم.

إن اللــه تعالى خلق جسم الإنسان فى أحسن تقويم، فهو يعيش فى بيئة مليئة بالجراثيم والميكروبات؛ لذلك خلق الله تعالى فى جسم الإنسان أجهزة للدفاع عنه ضد الجراثيم وأجهزة للمناعة أيضًا، وكل ذلك فى غاية الإبداع، وقمة الإعجاز.. فما إن تدخل الميكروبات جسم الإنسان حتى يقضى عليها بأحد هذه الأجهزة، فهناك جهاز دفاعى فى الجلد، وجهاز ثانٍ فى الجهاز الليمفاوى وما به من قنوات وعقد ليمفاوية منتشرة فى الجسم كله، ما إن يصل الميكروب إليها حتى تهاجمه فى تلك العقد خلايا قاتلة تلتهمه التهامًا وتقضى عليه، فلا يصل إلى الدم. وإذا نجح الميكروب فى تخطى الجهاز الليمفاوى ووصل إلى الدم وتكاثر عددًا وازداد شراسة فسوف يوصله الدم إلى جهاز آخر فى الكبد والطحال يسمى Reticulo endothelial system الجهاز الشبكى البطانى، وهو جهاز فى القنوات الدموية فى الكبد والطحال وغيرهما من أعضاء الجسم. ما إن تمر الجراثيم فى مجرى الدم حتى تبتلعها الخلايا المبطنة لتلك القنوات وتقضى عليها، فهى خلايا حارسة للجسم ومدافعة عنه، وتعمل فى نظام متقن وبديع، وإذا وصلت أعداد هائلة من الجراثيم فوق طاقة كل خطوط الدفاع فى الجسم؛ هنالك يقوم جهاز آخر بالعمل ويُستنفر للدفاع عن الجسم والقضاء على الجراثيم. إنه جهاز المناعة الذى يعمل فى قمة الإحكام وكامل النظام وغاية الدقة والإبداع. ويعكفُ العلماء المتخصصون على دراسة ذلك الجهاز المناعى بالجسم طوال حياتهم، وما عرفوا من أسراره بعدُ إلا القليل.. إنه إعجاز من الإعجاز، ودليل على قدرة الله عز وجل فى خلقه ورحمته بعباده.

وعمل جهاز المناعة فى الجسم أدق كثيرًا من الرادار والكمبيوتر، ففيه الملايين من الخلايا، كل خلية مثل الرادار، إنها تلف وتدور فى الجسم حتى إذا أحست بميكروب غريب عملت بطرق متعددة على قتله، وبالتالى حماية الجسم منه. ولم يكن العلماء على علم بكل هذه الخلايا إلا بعد سنة (١٩٥٠)، وما بدت لهم أسرار الإعجاز فى خلق جهاز المناعة إلا منذ سنوات معدودات.

وجهاز المناعة يعتمد على نوعين من الخلايا الليمفية:

الأولى: تسمى الخلايا الليمفية التائية ومنها أنواع متعددة.

الثانية: تسمى الخلايا الليمفية البائية.

الخلايا التائية كالرادار، تتعرف على الميكروب وتهاجمه، ومن الخلايا التائية نوع يسمى الخلايا التائية المنشطة، فما إن يدخل الميكروب الدم حتى تسرع الخلايا التائية المنشطة إلى الخلايا الليمفية البائية وتبلغها بما حدث، فسرعان ما تستنفر الخلايا البائية وتشتغل مصانعها بأقصى طاقاتها، وتنتج مواد قاتلة للميكروبات تسمى (المواد المضادة للميكروبات) Antibodies، وتظل المصانع تنتج هذه المواد حتى تنتهى المعركة بقتل الميكروبات المهاجمة، حينئذ يقوم نوع آخر من الخلايا الليمفية التائية يسمى الخلايا المثبطة، وترسل إشارات إلى الخلايا البائية بالتوقف عن إنتاج المواد المضادة للميكروبات، فقد انتهت المعركة وحسمت الحرب.

فتتوقف مصانع الخلايا البائية عن الإنتاج.

ومن الطبيعى أن تتخلف عن المعركة ميكروبات ميتة لا حصر لها، هنالك تنشط خلايا أخرى تسمى «الخلايا الملتهمة» فتبتلع كل تلك الميكروبات الميتة التى سقطت فى ساحة المعركة.

إن فيروس الإيدز، لم يكن يضر الإنسان من قبل، وما كان يسبب له مرضًا، ولكن لأمر ما سلّطه الله تعالى على الإنسان، وجعله يدمر فى الجسم أهم جهاز فيه وهو جهاز المناعة، فما إن يدخل هذا الفيروس الجسم عن طريق الزنا أو اللواط حتى يغزو الخلايا التائية ويفجرها، وذلك يؤدى إلى نقص شديد فى نشاط الخلايا البائية، فلا تعود مصانعها تنتج شيئًا من المواد المضادة للميكروبات وبذلك تنهار المناعة المكتسبة بالجسم انهيارًا شديدًا، وما إن تدخل أى ميكروبات جسم الإنسان - وهى تدخل كل لحظة من اللحظات - حتى تجد جسم الإنسان لها ميدانًا مفتوحًا ومرتعًا خصيبًا.

الإيدز (طاعون العصر):

إن مشكلات تلك الأمراض التى تصيب الإنسان عن طريق الزنا مازالت مزعجة للإنسان بالرغم من توافر العلاج لها، ولمًا لم يرتدع الإنسان بما حدث له من أمراض، وظل على عصيانه لله تعالى سلط عليه مرضًا آخر أشد هلاكًا، إنه طاعون هذا العصر أو ما يسمى بالإيدز، والإيدز كلمة مكونة من الحروف الإنجليزية الأولى للمرض ويسمى علميًا «متلازمة نقص المناعة المكتسبة» Acquired immune defeciency syndrome متلازمة: أى مجموعة أعراض مرضية معينة تظهر معًا.

وسبب هذا المرض المهلك فيروس جديد لم يكن يسبب ضررًا للإنسان من قبل ولكنه الآن لسبب ما قدره الله تعالى صار معديًا للإنسان.

والفيروسات أصغر كثيرًا من البكتيريا.. ولا تُرى بالمجهر العادى، ولكنها تُرى بالمجهر الإلكترونى. وهى أمم كثيرة، وشعوب مختلفة، مثل أمم الميكروبات وشعوبها. وبعض الفيروسات ضار وبعضها مفيد، بل إن بعض الفيروسات ليس مفيدًا فحسب، ولكنه ضرورى لاستمرار الحياة على هذه الأرض لأنه لو تركت البكتيريا تتكاثر دون أن تهلك لمدة شهر واحد فقط لغطّت البكتيريا سطح الكرة الأرضية كله بعمق خمسة أمتار، أو أكثر، ولهلك كل من على الأرض من الأحياء، ولكن ذلك لم يحدث قط؛ لأن الله تعالى قيض للبكتيريا أنواعًا من الفيروسات تدعى باكتريوفاج تقتل الميكروبات بسرعة تتساوى مع سرعة تكاثرها، وبذلك تستمر الحياة على الأرض لكل الكائنات الحية جميعًا بما فيها الفيروسات والبكتيريا.

وما فائدة البكتيريا؟ إن بعضها مضر وبعضها مفيد، بل إن الحياة لا تستمر إلا بوجود بكتيريا، ففى أمعاء الإنسان بكتيريا مفيدة تصنع بعض الفيتامينات، وفى جذور النباتات بكتيريا تغذيها بالمواد العضوية، وللبكتيريا المفيدة مجالات نافعة أخرى.

وإذا كان بعض الفيروسات مفيدًا فالكثير منها يسبب الأمراض، منها ما يهاجم الإنسان ولا يضر الحيوان. ومنها ما يهاجم الحيوان ولا يضر الإنسان، ومنها ما يهاجم النبات ولا يضر غيره من الكائنات الحية.

وذكر بعض العلماء أن فيروس الإيدز كان فيروسًا فى القرود فى إفريقيا لا يسبب مرضًا للإنسان، إلا أنه لأمر ما - قدَّره الله تعالى، والله عز وجل لا يسأل عما يفعل - تغيرت طبيعة الفيروس، وصار للإنسان مهاجمًا، وصار معديًا، وليس هذا فحسب، بل إنه تحول إلى وحشٍ غاضب يفتك بأهم أعضاء الجسم وأكثرها ضرورة له، وهو جهاز المناعة. ولو هاجم جهازًا آخر فى الجسم ما كانت له هذه الخطورة، ولما سبب كل

هذه المتاعب، ولما هدد الجنس البشرى فى الصميم. ولم يصب هذا الفيروس الإنسان من قبل هذا العصر أبدًا، وما حدث إلا فى هذا العصر عندما ازداد الناس فى ضلالهم، وازدادوا كفرًا وعصيانًا، واندفعوا فى طغيانهم فى الزنا والشذوذ الجنسى، لا تردعهم أوامر الله تعالى ولا تمنعهم قيم أو أخلاق، وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد أن هذا الفيروس أرسله الله تعالى للناس عقابًا على كفرهم وتنكرهم لدين الله فى الأرض.

إن الفيروسات لا تعى ولا تعقل، فمن علمها ذلك؟ هل علمت نفسها؟ كلا، لم تعلم نفسها، فهل علمها إنسان؟ كلا، لم يعلمها إنسان، فالإنسان أضعف منها، إنها تعمل بعقل وحكمة وعلم وهدف محدد لا تحيد عنه أبدًا، والأعجب من كل ذلك أن هذه الفيروسات فى العالم كله شرقًا كان أم غربًا، لها نفس الصفات ونفس الطباع ونفس الهدف. فهل بينها تفاهم واتصال؟ كلا، ليس بينها تفاهم أو اتصال.

ومحال أن يكون ذلك مصادفة أو عشوائية، وما دامت الفيروسات لا تعقل ولا تعى وتقوم بعمل يتصف بالعلم والقدرة والحكمة، فلابد أن هناك قدرة عليا ليس كمثلها قدرة، وقوة ليس كمثلها قوة، هى التى تدبر كل هذه الأمور، إنها قدرة الله عز وجل وقوته ومشيئته وأمره.

وقلنا: إن الإيدز يحصد البشر حصدًا، حتى قيل: «**إن الإيدز طاعون هذا العصر**»، الذى لم يحدث قط للبشر من قبل، وهذا الوصف له يذكرنا بحديث نبوى شريف رواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا**».

والطاعون فى اللغة: الوباء الذى يفتك بالإنسان، ويطعنه طعنًا. فالطاعون فى اللغة اسم عام يطلق على أى وباء فتاك، وليس لمرض وبائى بعينه.

ذكر الحديث النبوى الشريف ما يحدث فى عصرنا هذا من انتشار الفاحشة فى أمم الأرض شرقًا وغربًا حتى عرفوا بها، ففشا فيهم الطاعون على شكل الأمراض الجنسية التى تفتك بهم، وأشرها الإيدز، وفشت فيهم الأوجاع، مما لم يكن أسلافهم يشكون منها أو يصابون بها.

أول تقرير رسمى عن الإيدز صدر عن مركز السيطرة على الأمراض فى أمريكا، وكان عن خمسة من الشبان، وكانوا جميعًا من المصابين بالشذوذ الجنسى، أصيبوا جميعًا بنوع نادر من سرطان الجلد يسمى «سرطان كابوسى» وماتوا جميعًا بسبب نوع نادر من الالتهاب الرئوى الذى استعصى شفاؤه على كل علاج يسمى (الالتهاب الرئوى المتكيس).. واكتشف العلماء أمرًا مدهشًا، وهو أن جهاز المناعة المكتسبة فى أجسامهم جميعًا قد دمر تمامًا، ولم يعرفوا سبب ذلك حينئذ.

وكان عدد المرضى بالإيدز فى أمريكا سنة ١٩٨١م مائتين واثنين وخمسين مريضًا، وفى سنة ١٩٨٣م صار العدد ألفين وستمائة وثلاثة وأربعين مات منهم ٦٠٪ خلال عام واحد. ومات الباقون خلال عامين.

وفى سنة ١٩٨٥م صار العدد فى أمريكا عشرة آلاف ماتوا جميعًا فى غضون ثلاث سنوات، وأكثر من نصفهم فى غضون عام واحد، أما الآن فعدد المصابين بالإيدز فى العالم يقدر بالملايين والعدد فى استمرار وازدياد مخيف.

وأكثر القارات المهدَّدة بخطر الإيدز قارة إفريقيا، ففيها مئات الآلاف من مرضى الإيدز، ولم يحصر عددهم، والعدد فى ازدياد رهيب حتى أنه ليخشى من انقراض الجنس البشرى تدريجيًّا فى قارة إفريقيا قبل انقراضه فى القارات الأخرى، إن الإيدز يهدد الجنس البشرى بالفناء، هذه حقيقة لا شك فيها. وهذا المرض الوبيل يشبه جبل الثلج لا يظهر منه إلا قدر قليل، والباقى لا يظهر، فانتشار الإيدز بين البشر أكثر

مما نتصور.. ولقد وجد العلماء فى أمريكا مريضًا بالإيدز مصابًا بالشذوذ الجنسى، وقد سبب هو وحده العدوى لألف شخص!، وكلما استمر الشباب فى تلك المجتمعات فى الزنا واللواط، انتشر فيها الإيدز، وفشا فيهم الموت، وقد ورد فى السنة ما رواه الإمام مالك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فيما تعلمه من رسول الله ﷺ: «**ما فشا الزنا فى قوم قط، إلا كثر فيهم الموت**».

إن الإيدز ينتشر بين الناس فى المجتمعات غير الإسلامية فى العالم الغربى ووسط إفريقيا وجنوب شرق أسيا، انتشارًا كبيرًا، وهو مرض يقتل المصاب به فى غضون سنوات قليلة، وعدد المصابين فى ازدياد كبير.

وما أعراض مرض الإيدز؟

تبدأ أعراض المرض بما يشبه نزلة البرد، إلا أنها لا تنتهى بعد أيام، بل تظل عدة أسابيع، تظهر بعدها أعراض أخرى من أهمها الآتى:

١ـ الشعور بالضعف العام، والوهن الشديد، بدون سبب معروف.

٢ـ تضخم بالعقد الليمفاوية بالجسم تظل عامين أو أكثر.

٣ـ نقص مستمر فى وزن الجسم.

٤ـ ارتفاع فى درجة حرارة الجسم دون سبب ظاهر.

٥ـ سعال جاف ونهجان لأقل مجهود.

٦ـ ظهور سرطان الجلد المعروف باسم (سرطان كابوسى).

٧ـ إسهال متكرر.

٨ـ اكتئاب نفسى مستمر.

٩ـ حدوث التهابات ميكروبية شديدة تسببها الميكروبات الانتهازية (أى التى تنتهز فرصة انهيار المناعة بالجسم وتهاجم الجسم حيث لا توجد مقاومة لها)، وغالبًا ما تكون هذه الالتهابات الميكروبية سبب موت المريض.

ولا يوجد علاج ناجع لهذا المرض حتى الآن، فأى مصاب بهذا المرض سيكون مصيره الموت حتمًا مهما تناول من علاج، وتنعقد المؤتمرات الطبية العديدة، وتظهر دراسات تبشر بعلاج ناجع للإيدز، وما إن تنفَّذ على المرضى حتى يظهر أنها بدون جدوى، ولا يوجد أى سبيل للوقاية المؤكدة من الإصابة بالمرض إلا بتجنب أى طريق يؤدى إلى الإصابة به. يوجد فيروس الإيدز فى دم المريض والسائل المنوى أو السائل المهبلى فتحدث العدوى بالطرق الآتية:

١ـ الزنا أو الشذوذ الجنسى.

٢ـ بواسطة حقن المخدرات بطريق الوريد، كما يفعل المدمنون الذين يشتركون مع بعضهم بعضًا فى ذلك الأسلوب من تعاطى المخدرات.

٣ـ بواسطة نقل الدم من متطوع حامل للفيروس إلى إنسان غير حامل له (فالغالبية العظمى من حاملى فيروس الإيدز لم تظهر عليهم علامات المرض بعد).

ولا تنتقل العدوى من المصاب إلى غير المصابين عن طريق الملامسة أو الرذاذ أو العطاس، أو مشاركة الطعام، ولا تسبب الحمامات ذات المستوى الجيد من النظافة والصيانة، العدوى بالمرض ولا تسبب عادة التقبيل انتقال العدوى، فالفيروس لا يوجد فى لعاب المريض.

ونقرأ عن ذلك فى سورة الأنعام فى قول الله عز وجل: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

ليس للإيدز علاج مفيد:

ذكرنا من قبل بعض الحقائق عن الأمراض الجنسية الميكروبية مثل السيلان والزهرى، وذكرنا أن عدد المصابين بها فى ازدياد. وأن مشكلاتها الصحية والاجتماعية فى تفاقم، كل ذلك مع توافر العلاج الناجع ضد أطوارها الأولى قبل حدوث مضاعفات تلك الأمراض، إلا أن العلاج لا يفيد شيئًا فى الأطوار المتأخرة التى تحدث فيها المضاعفات والتى تهدد صحة المريض، أما الإيدز فلا علاج له ألبتة حتى الآن، وحتى لو فرض أن العلماء مستقبلاً استطاعوا الوصول إلى علاج مفيد للإيدز، وهذا مجرد فرض، فإنه سيظل مشكلة صحية أبدية تهدد الجنس البشرى بالفناء، إذا استمر الناس فى ممارسة الفواحش. ومهما يظهر من دواء جديد فلن يتوقف الخطر، وستظهر أمراض جنسية أخرى أو فيروسات أخرى، ولقد حدث هذا فعلاً فى عصرنا الحالى، فلقد اكتشف الأطباء فى أوربا منذ شهور معدودات أن للإيدز فيروسات أخرى غير الفيروس الذى بدأ المرض به، وهى فيروسات تعدى عن طريق نفس طرق العدوى بالفيروس الأول، وهى فيروسات لا تستجيب لأى علاج قد يستجيب له الفيروس الأول الذى نعرفه الآن، من هذا نفهم أن عقاب الله تعالى للعصاة من عبيده الذين يرتكبون الفاحشة؛ لن يتوقف ما دام العصاة على عصيانهم لربهم، فالفحشاء والمنكر؛ سيكونان دائمًا وأبدًا السبب فى الأمراض والمشكلات الصحية والاجتماعية، إنه عذاب لهم فى الدنيا؛ ولعذاب الآخرة لهم أشد تنكيلاً. نقرأ قول الله عز وجل فى سورة النور:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]، الآية الكريمة تقرر أن العصاة سيعانون من عذاب أليم لهم فى الدنيا من جراء ارتكابهم للفاحشة، ولهم عذاب أليم فى الآخرة أيضًا.

وحديثًا جدًا أطلق الناس على الإيدز اسم «طاعون العصر»، لأنه وباء لا قِبَل للإنسان بمقاومته والشفاء منه، ويسبب كوارث صحية واجتماعية للجنس البشرى لم تحدث له منذ كوارث أوبئة الطاعون التى كانت تجتاح القارات طولاً وعرضًا، والتى كان الأطباء يفشلون فى كبح جماحها، وبعض الناس يطلقون على الإيدز اسم «طاعون الشواذ» وبعضهم الآخر يطلق عليه اسم «طاعون الرعب»، واتفقوا جميعًا على تسميته «بالطاعون»، طاعون العصر، ونتذكر هنا ما رواه الإمام ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها؛ إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا**»، وهكذا وصف الحديث النبوى الشريف الأمراض الجنسية، ومنها الإيدز «بالطاعون»، من قبل أن يصفه الناس فى عصرنا الحاضر بنفس الوصف.

ومفهوم الآية الكريمة والحديث الشريف أن الأمراض التى تحدث بسبب ارتكاب الناس للفاحشة، هى عقاب من الله تعالى لهم فى الدنيا، وينتظرهم عقاب أشد فى الآخرة.

وهم أيضًا ملعونون، فقد روى الإمام أحمد، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله من عَمِل عَمَل قوم لوط**» قالها ثلاثًا.

ولماذا يقع العقاب على من لم يذنب؟

يتساءل بعض الناس: إذا كان الإيدز عقوبة من الله تعالى للزناة والشواذ، فلماذا يقع هذا العقاب على من لم يذنب؛ مثل إنسان نُقل إليه دمٌ ملوث بالفيروس مثلاً فأصيب بالمرض القاتل؟ نجد الجواب على

ذلك فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف. ففى سورة الأنفال، يقول الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: أمر الله المؤمنين ألا يُقِروا المنكر بين ظَهرانِيهم، ولو أقروه لعمهم العذاب جميعًا. وروى مسلم عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم.. إذا كَثُر الخَبث**».

وقال المفسرون: إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده.. وقد يقال: وما مصير كل من الظالم وغير الظالم والعاصى وغير العاصى؟.. نجد الجواب فى الحديث النبوى الذى رواه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أنزل الله بقوم عذابًا، أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بُعثوا على أعمالهم**». هذا الحديث النبوى الشريف يدل على أن العذاب يعم الجميع: الظالمين والمؤمنين، ويكون نقمة للظالمين، وطُهرة للمؤمنين.

فإن قيل: ولكن الله تعالى يقول: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وهذا يوجب ألا يؤخذ أحد بذنب أحد، وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب دون غيره، نقول: إن الناس إن تظاهروا بالفحش والتفاحش فى مجتمع من المجتمعات، فمن الواجب على كل من رأى ذلك أن يغيره ما استطاع.. ولا يقف موقفًا سلبيًّا.. فإذا سكت عليه، فكلهم عاصٍ.. هذا بفعله، وهذا بسكوته عنه.. لذلك يشمل العذاب فى الدنيا الجميع. ونجد الدليل على ذلك فيما رواه الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظَهرانيْهم وهم قادرون على أن ينكروه، فلا ينكروه. فإن فعلوا ذلك عذّب الله الخاصة والعامة ثم يبعثهم الله تعالى على نياتهم**».

وعن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا ظهرت المعاصى فى أمتى، عمهم الله بعذاب من عنده**». قالت: أما فيهم أناسٌ صالحون؟ قال: «**بلى**». قالت: فكيف يصنع أولئك؟ قال: «**يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان**».

من كل ما سبق نفهم أن الإيدز وغيره من الأمراض الجنسية، هى عذاب من الله تعالى للعصاة.. أما من يصاب بأحد تلك الأمراض عَرَضًا بدون اقتراف معصية، كإنسان نُقل إليه دم ملوث بالفيروس، أو جنين فى بطن أم مصابة فنقلت العدوى إلى الجنين، فيولد من بطن أمه مصابًا بالمرض دون ذنب جناه.. أولئك الناس يقع عليهم العذاب إلا أن الله تعالى يجعله طهرة لهم عنده.

وبعد أن استعرضنا الحديث عن الأمراض التى تنتقل عن طريق الزنا والشذوذ الجنسى نتساءل: هل فَقَدَ العصاة الأمل تمامًا.. ولا مفر لهم من العذاب فى الدنيا والآخرة؟ نقول: إن باب النجاة لا يزال أمامهم مفتوحًا.. إنه باب التوبة والاستغفار.. ولو فعلوا لغفر الله تعالى لهم، وبدل سيئاتهم حسنات، ولفازوا فوزًا عظيمًا.. ونذكر قول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

وروى أصحاب السنن عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فيما رواه عن ربه: «**يابن آدم! إنك ما دعوتنى ورجوتنى، فإنى أغفر لك على ما كان منك ولا أبالى. ولو أتيتنى بقراب الأرض خطايا، أتيتك بقرابها مغفرة ما لم تشرك بى شيئًا، وإن أخطأت حتى تبلغ خطاياك عنان السماء، ثم استغفرتنى غفرت لك**».

٢ انتشار الأوبئة(*)

■ أخرج الإمام مسلم عن أبى النضر مولى عمر بن عبد الله، عن عامر بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه، عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطاعون رجز على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض، فلا تُقدموا عليه. وإذا وقع بأرض وأنتم فيها، فلا تخرجوا فرارًا منه**».

الرجز: هو العذاب.

■ وأخرج الإمام البخارى عن حفص بن عمر، عن شعبة، عن حبيب بن أبى ثابت، عن إبراهيم بن سعد، عن أسامة بن زيد، عن سعد بن أبى وقاص أن النبى ﷺ قال: «**إذا سمعتم بالطاعون فى أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها**».

■ وأخرج الإمام أحمد عن سويد بن عمر والكلبى، عن يحيى الحضرمى بن لاحق، عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان الطاعون بأرض فلا تهبطوا عليه، وإذا كان بأرض وأنتم بها فلا تفروا منه**».

■ أخرج الإمامان البخارى ومسلم عن مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن عبد الله بن عباس قال: إن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى الشام، حتى إذا كان بَسْرغ (قرية على مشارف الشام) لقيه أمراء الأجناد ـ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه. فأخبروه أن الوباء وقع بأرض الشام. فقال عمر: ادع لى المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع فى الشام، فاختلفوا: فقال بعضهم: قد خرجنا لأمر، ولا نرى أن نرجع عنه. وقال بعضهم: معك بقية من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء. فقال: ارتفعوا عنى. ثم قال: ادع لى الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم. فقال: ارتفعوا عنى. ثم قال: ادع لى من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح. فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، قالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء. فنادى عمر الناس: إنى مُصَبِّحٌ على ظهر، فأصبحوا عليه. فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارًا من قدر الله يا عمر؟ فقال عمر: لو قالها غيرك يا أبا عبيدة! نعم، نفر من قَدَر الله إلى قَدَر الله.

أرأيت إن كان لك إبل هبطت واديًا له عدوتان، إحداهما خصيبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟

فجاء عبد الرحمن بن عوف ـ وكان متغيّبًا فى بعض حاجته ـ فقال: إن عندى فى هذه علمًا، فلقد سمعت رسول الله ﷺ يقول عن الطاعون: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**». فقال عمر: الحمد لله. ثم انصرف عائدًا إلى المدينة.

(الأجناد): المراد منها فى الحديث الشريف، مدن الشام الخمس حينئذ وهى: فلسطين والأردن ودمشق وحمص، وقنّسرين.

(مشيخة قريش من مهاجرة الفتح): إنما رتبهم هكذا حسب فضائلهم.

قال القاضى: المراد بالمهاجرين الأولين من صلى للقبلتين. أما من أسلم بعد تحويل القبلة فلا يُعدُّ منهم. قال: وأما (مهاجرة الفتح) فهم الذين أسلموا قبل الفتح فحصل لهم فضل بالهجرة قبل الفتح؛ إذ لا

(*) كل وباء يسمى فى اللغة (طاعون) لأنه يطعن الإنسان ويفتك به فتكًا.

هجرة بعد الفتح. وكان رجوع عمر رضى الله عنه، لرجحان طرف الرجوع لكثرة القائلين به، وأنه الأحوط، ولم يكن مجرد تقليد لمسلمة الفتح، لأن بعض المهاجرين الأولين، وبعض الأنصار أشاروا بالرجوع، وأشار بعضهم بالقدوم على الوباء. وانضم إلى المشيرين بالرجوع رأى مشيخة قريش، فكثر القائلون به، مع ما لهم من السِّن والخبرة، وكثرة التجارب وسداد الرأى.

وحجة الفريقين واضحة، وهما مستمدان من أصلين فى الشرع؛ **أحدهما**: التوكل على الله والتسليم للقدر. **والثانى**: الاحتياط ومجانبة أسباب الإلقاء إلى التهلكة.

وقد أنهى حديث رسول الله ﷺ الجدل فى الموضوع.

(إنى مصبح): أى مسافر غدًا على ظهر راحلة، راجع إلى المدينة (فأصبحوا عليه) أى تأهبوا للسفر.

(لو قالها غيرك يا أبا عبيدة): أى لو قالها غيرك لم أتعجب منه، وإنما أتعجب من قولك أنت، مع ما أنت عليه من العلم والفضل.

(عُدوتان): العُدوة هى جانب الوادى.

■ وأخرج البخارى عن أبى عاصم، عن مالك، عن سُمَىٍّ، عن أبى صالح، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: « **المبطون شهيد، والمطعون شهيد** ».

ـ قال الخليل: الطاعون هو الوباء. وقال صاحب النهاية: الطاعون المرض الذى تفسد به الأبدان. وقال ابن الوليد: الطاعون مرض يعم الكثير من الناس فى جهة من الجهات، بخلاف المعتاد من أمراض الناس.

لم يكن الناس قبل اختراع الميكروسكوب العلمى فى القرن السابع عشر على علم بوجودالجراثيم. وكان ذلك بعد نزول الرسالة بنحو ألف عام. وأدرك الإنسان أن الميكروبات موجودة فى كل مكان. ومنها ما هو غير ضار كالتى تنمو فى الأمعاء الدقيقة، ومنها ما هو ضار ويسبب الأمراض والأوبئة.

الميكروبات سريعة التكاثر بشكل مذهل، حتى إنها لو تركت شهرين دون أن تموتَ لغطَّت سطح الأرض بعمق أمتار عديدة، وإذا حدث هذا، لانعدمت فرص الحياة لكل المخلوقات الحية على ظهر الأرض، ولصار كوكب الأرض كوكبًا لا حياة فيه إلا للميكروبات، ولذلك قيض الله تعالى للميكروبات فيروسًا قاتلاً لها هو البكتريوفاج الذى يقضى عليها بسرعة تماثل سرعة تكاثرها. وبذلك ظلت البكتريا موجودة على سطح الأرض بلا زيادة وبلا نقصان.

ولم يكن الناس يعرفون شيئًا عن الجراثيم المسببة للأمراض حتى القرن الثامن عشر، لذلك كانت الأوبئة تجتاح القارات طولاً وعرضًا، وتقتل الملايين، ولم يكن العلماء يعرفون لها علاجًا دوائيًّا، ولا علاجًا وقائيًّا. لذلك كانت الأوبئة تنتشر فى الأرض فى مناطق واسعة، ولا تتوقف إلا بعد أن تتكون مناعة مكتسبة ضد الجراثيم المسببة للوباء فيمن بقى من الناس.

وحدث انتشار للأوبئة مئات المرات فى العالم، وكان القدماء يطلقون اسم (طاعون) على كل مرض مهلك ينتشر موضعيًّا، أو على نطاق واسع، ويسميها العلماء الآن (الوباء) ولم يدخل الطاعون المدينة قط، مع أنه انتشر فى الجزيرة العربية سنة ١٩٢٦م. ونتذكر هنا الحديث النبوى الشريف الذى أخرجه الإمام البخارى أن رسول الله ﷺ قال: « **على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجّال** ». وأولئك الملائكة يحفظون الناس مما لم يُقدر عليهم.

وظهر أخطر وباء للطاعون فى أوروبا عام ١٣٤٨م، أصاب الناس بالذعر، فلاذوا بالفرار من كل مكان حل فيه الوباء إلى مكان آخر، وبذلك زادوا الوباء انتشارًا، وقتل نصف سكان أوروبا.

لماذا كان سبب انتشار الأوبئة قديمًا فى مناطق واسعة من العالم؟

كان السبب خوف الناس من الوباء، فما إن يحل الوباء فى مكان، حتى يصيب الناس الذعر فيفروا إلى مكان آخر لم يصله الوباء، وكان فرارهم هذا يسبب انتشار الوباء من مكان إلى مكان، ومن بلد إلى بلد. فقد كان الفارون من الوباء يحملون جرثومة المرض معهم أينما ذهبوا. وكان الكهنة يطلقون أدعيتهم على أمل طرد (الأرواح الشريرة) التى كانوا يعتقدون أنها كانت سبب الوباء، وما كان من الأطباء إلا أن أمروا الناس بالفرار من مكان الوباء! وبذلك كان الأطباء أنفسهم من أسباب انتشار الأوبئة!!

وفى القرن الرابع عشر، فى عام سنة ١٣١٨م، انتشر مرض التيفوس الوبائى فى قارة أوروبا، وفسر الأطباء سبب ذلك بالخوف من الزلازل، إلا أن أحد كبار الأطباء فى فرنسا رفض ذلك التفسير وسخر منه، وقال: إن انحراف كوكب زحل هو السبب الرئيسى فى انتشار الوباء. ونصح الأطباء الناس بالهروب من أى مكان يصل إليه الوباء إلى مكان آخر آمن لم يصل إليه. وبهذه النصيحة المؤسسة على الجهل التام زاد انتشار الوباء واجتاح أوروبا كلها.

حدث هذا بعد نحو سبعة قرون من عصر النبوة، بعد أن علّم رسول الله ﷺ الأمة الأسس الصحيحة فى الطب الوقائى فى انتشار الأوبئة! والتى لم يصل إليها إلا العلماء فى عصر العلم الحالى ـ بعد أربعة عشر قرنًا من عصر النبوة.

وخلال عام ١٨٩٤م ظهر وباء الطاعون، واجتاح آسيا وأوروبا وإفريقيا ووصل إلى أمريكا، وقتل الملايين من البشر، ولم يمنع انتشاره علاج دوائى مفيد، أو علاج وقائى صحيح. وخلال عام ١٩٠٤م حدث وباء فى الهند، وقيل: إنه الطاعون. وانتشر فى أنحاء الهند، للسبب نفسه وهو هروب الناس من مكان ظهور المرض إلى مكان لم يظهر فيه، وبذلك لم ينحصر الوباء فى مكان ظهوره، وعمل هروب الناس على انتشاره إلى كل مكان، ذلك أنهم كانوا حاملين لناقل المرض وهو البراغيث.

وفى النصف الأول من القرن العشرين، اكتشف العلماء طرق الوقاية من العدوى، وطرق حصر أى وباء فى مكان ظهوره، ومنع انتشاره، وذلك بعزل المصابين، وملاحظة المخالطين للمرضى، ومنع اتصالهم بالغير، أى فرض الحجر الصحى عليهم، ومنع خروج أى إنسان من مكان الوباء ومنع دخول الناس إليه، وبذلك انتهى عصر انتشار الأوبئة من مكان إلى مكان كما كان يحدث قديمًا.

وفى وسط جهل العلماء بالطب الوقائى، والحجر الصحى أشار الحديث النبوى إليه من قبل أن يعلم الناس عنه شيئًا صحيحًا بأربعة عشر قرنًا من الزمان!.. فقد أخرج الإمام البخارى والإمام مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب خرج إلى الشام فى ربيع الآخر سنة ثمانى عشرة من الهجرة، ليتفقد أحوال الرعية هناك، وعندما وصل إلى مشارف الشام أخبروه أن الطاعون بها، فاستشار القوم، وبدأ بالمهاجرين الأولين، فاختلفوا.. ثم دعا الأنصار فاستشارهم فأشاروا بما أشار به المهاجرون واختلفوا مثل اختلافهم.

ففكر عمر وعزم على عدم دخول الشام والعودة إلى المدينة، ونادى فى الناس (إنى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه) أى أنه سيرحل فى الصباح على ظهر دابة، فليصبح كل رجل منهم على ظهر دابته للعودة إلى المدينة، فقال أبو عبيدة: أفرارًا من قدر الله يا عمر؟!. فقال عمر: لو قالها غيرك يا أبا عبيدة. (أى ما كنت أنتظر منك هذا القول، وأنت من أعلم الناس وأفقههم)، نعم.. نفر من قدر الله إلى قدر الله.

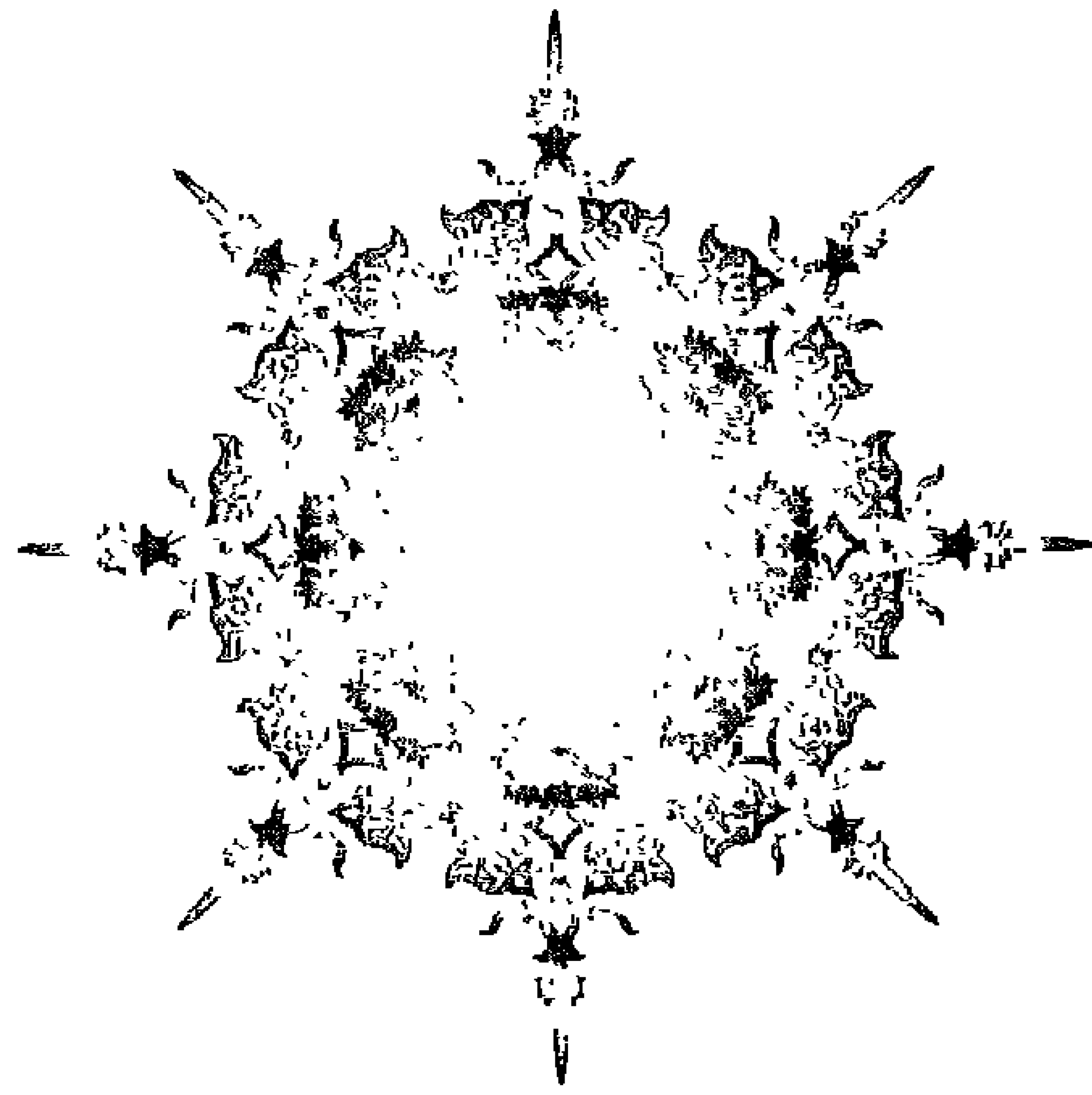
أرأيت إن كان لك إبل هبطت واديًا له عدوتان، إحداهما خصيبة، والأخرى جدبة، ألست إن رعيت الخصيبة، رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟

وجاء عبد الرحمن بن عوف ـ وكان متغيبًا فى بعض حاجته ـ فقال: إن عندى فى هذه علمًا؛ فلقد سمعت رسول الله ﷺ يقول عن الطاعون: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**»، فقال عمر: الحمد لله. ثم انصرف عائدًا إلى المدينة.

والطاعون فى اللغة: كل وباء عام تفسد به الأبدان، ويؤدى بالكثير من الناس إلى الموت، فكل وباء لأى مرض وبائى، يسمى طاعونًا.

هذا الحديث النبوى يعلم الناس فى أمر من أمور دنياهم ما لم يكونوا يعلمون، ومنه ندرك عدة حقائق منها: الإعجاز العلمى العظيم فى الحديث النبوى، وأن الله تعالى كان يوحى إلى رسوله بأمور الدنيا فضلاً عن أمور الدين، وأن ما قاله رسول الله ﷺ لا يعتبر اجتهادًا منه كبشر، ومن أين له أن يعلم حقائق علمية لم يصل إليها العلماء إلا بعد أربعة عشر قرنًا من الزمان؟!

ولو اتبع الناس فى أوروبا وغيرها من البلاد، هذا الحديث النبوى، لتجنبوا الكثير من الكوارث الصحية فى انتشار الأوبئة طولاً وعرضًا فى قارات العالم.



٣ الميكروبات وأذى المحيض

■ أخرج البخارى عن إسحاق بن إبراهيم، عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، عن السيدة عائشة رضى الله عنها، قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضًا أمرها رسول الله ﷺ فتأتزر بإزار ثم يباشرها. (أى تشد إزارًا تستر سرتها وما تحتها إلى الركب).

- وفى رواية أخرى عن ابن وهب، عن مخرمة، عن أبيه، عن كريب مولى ابن عباس قال: سمعت ميمونة زوج النبى ﷺ قالت: (كان رسول الله ﷺ يضطجع معى وأنا حائض وبينى وبينه ثوب).

- لم يكن لبيت النبى ﷺ، ولا لأفراد بيته من أزواج وبنين وبنات، أسرار خاصة، فقد كانت أسرارهم جميعًا معلنة ومعروفة للجميع. فإذا حاضت السيدة عائشة مثلاً، علم الجميع فى المدينة، وراحوا يسألون: ماذا فعلت؟ وكيف تطهرت؟ وهل اعتزلها النبى أثناء حيضها، وهل حرم لمسها؟ وهل أمرها أن تبيت فى مكان بعيد عنه؟ وهل كان يقبلها؟ وهل كان يباشرها؟ وكيف؟.. وأسئلة كثيرة أخرى، وكان النبى ﷺ نبى الله إلى الأمة، أرسله الله تعالى يعلمها ويهديها سواء السبيل؛ لذلك كان بيت النبى ﷺ من أعجب البيوت.. بيتًا مفتوحًا، كل أسراره وأسرار أفراده معلنة!!.. ولم يحدث ذلك فى بيت من البيوت أبدًا على مدى التاريخ الإنسانى كله.

وكان ذلك مقصودًا قصدًا؛ لأن الرسول ﷺ مكلف من ربه عز وجل أن يعلم الأمة كل شيء، حتى فى أمر من أمور حياتهم الدنيا، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون.

ومن هذه الأحاديث نفهم أن الحائض ما كانت تعتزل زوجها، وكان يباشرها ولكن لا يجامعها. وكان يلمسها ويقبلها، وهكذا ألغى النبى ﷺ المعتقدات الخاطئة التى كانت سائدة فى تلك العصور عن المرأة الحائض، وصححها، وجعلها تتوافق مع الأعراف الإنسانية الراقية فى كل عصر من العصور وإلى يوم القيامة.

وكان العرب فى المدينة وما حولها، قد قلدوا اليهود فى تجنب مجالسة المرأة الحائض، وتجنب ملامستها ومؤاكلتها، ومساكنتها أيضًا، وكان المجوس يفعلون ذلك أيضًا.

وقد كانت الأمم السابقة على الأمة الإسلامية يفعلون ذلك، ولعل ما كان يفعله اليهود، تشبهًا منهم بما كان يفعله السابقون فى مصر القديمة. فكانت تلك الأمم السابقة تعتقد أن قوى شريرة تتلبس جسد المرأة أثناء حيضها، كما يتشبع جسدها بالسموم، لذلك كانوا يجتنبون المرأة الحائض ولا يلمسونها، ولقد أخذ الإغريق عن المصريين القدماء تلك العادات والمعتقدات، وكانوا لا يفرقون بين الحيض والاستحاضة.

وذُكر فى تراجم التوراة فى سفر اللاويِّين أن الحائض نجسة، ويجب تجنب مجالستها ومؤاكلتها، والنوم معها فى دار واحدة وملامستها من قبل زوجها إلا بعد اغتسالها من الحيض، ومرور سبعة أيام بعد ذلك، فصحح النبى ﷺ تلك المعتقدات الخاطئة، حتى إنه كان يتكئ على حجر عائشة وهى حائض ويقرأ القرآن!

■ وأخرج الإمام مسلم عن عمرو بن الحارث، عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن عروة بن الزبير عن السيدة عائشة زوج النبى ﷺ قالت: (كان رسول الله ﷺ يُخرج رأسه من المسجد، وهو مجاور، فأغسله وأنا حائض).

ـ وفى رواية أخرى بنفس الإسناد. قالت السيدة عائشة رضى الله عنها: (كان رسول الله ﷺ يدنى إلىّ رأسه، وأنا فى حجرتى، فأُرجّل رأسه وأنا حائض).

■ أخرج الإمام مسلم عن يحيى بن سعيد، عن زهير عن يحيى، عن يزيد بن كيسان، عن أبى حازم، عن أبى هريرة قال: بينا رسول الله ﷺ فى المسجد قال: «**يا عائشة ناولينى الثوب**». فقالت: إنى حائض. فقال: «**إن حيضتك ليست فى يدك**» فناولته.

ـ كان الحديث تشريعًا للأمة، لأن ما حدث كان فى المسجد والناس مجتمعون ويستمعون.

■ أخرج الإمام مسلم عن داود بن عبد الرحمن المكى، عن منصور، عن أمه، عن السيدة عائشة قالت: (كان رسول الله ﷺ يتكئ فى حجرى وأنا حائض، فيقرأ القرآن).

المعتقدات الخاطئة عن الحائض موجودة ومتبعة فى غير الأمة الإسلامية حتى فى عصرنا هذا.. وفى عام ١٩٠٠م زعم بعض العلماء مثل جواتييه أن أملاح الزرنيخ السامة تختلط بدم الحائض ولعابها! وهذا زعم غير صحيح، وفى عام ١٩٤٠م حقن جورج سميث بعض حيوانات التجارب بدم حيض فماتت، فاستنتج من ذلك أن بدم الحيض سمًّا قاتلاً.

وفى سنة ١٩٥٣م صحح العالم برنارد زونديك ذلك الاعتقاد، وقال: إن موت تلك الحيوانات كان بسبب وجود ميكروبات ضارة فى دم الحيض.

إلا أن اليهود مازالوا على اعتقادهم الخاطئ القديم، إلى أن صححها لهم التقدم العلمى فى العصر الحالى، وكان العرب قبل نزول الرسالة يفعلون ما كان اليهود يفعلون. وذكر القرآن الكريم اعتزال المرأة أثناء الحيض بمعنى تجنب مجامعتها، وأباح رسول الله ﷺ مباشرتها وملامستها ومؤاكلتها ومساكنتها.

■ أخرج الإمام مسلم عن زهير بن حرب، عن عبد الرحمن بن مهدى، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: كان اليهود إذا حاضت المرأة فيهم امتنعوا عن مؤاكلتها ومجامعتها ومساكنتها. فسأل أصحاب النبىِّ ﷺ النبىَّ فنزل قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وفسّر رسول الله ﷺ الآية قال: «**اصنعوا كل شىء إلا النكاح (الجماع)**».

فبلغ ذلك اليهود. فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه!

■ أخرج الأئمة البخارى وأحمد وابن ماجه، عن ابن عيينة، عن منصور بن صفية، عن أمه، عن السيدة عائشة قالت: إن امرأة سألت النبى ﷺ عن غسلها من المحيض (أى: الدم أو زمن الحيض). فأمرها أن تغتسل. فقال النبى ﷺ: «**خذى فِرْصَةً من مَسْك** (أى قطعة من قماش من صوف أو قطعة قُطن) **فتطهرى بها**».

قالت: كيف أتطهر؟ قال: «**تطهرى بها**». قالت: كيف؟ قال ﷺ: «**سبحان الله تطهرى بها**». فاجتذبتها إلىّ فقلت لها: تَتَبَّعِى أثر الدم.

لم يكتشف العلماء ما جاء به هذا الحديث الشريف من علم عظيم إلا حديثًا جدًّا. أما قبل ذلك فكانوا فى جهل كبير، حتى سنة ١٩٦٧م كان العلماء فى جهل تام، فلقد نشر د. جيفكوت كتابًا بعنوان

(أسس أمراض النساء) وأنكر فيه وجوب الغسل المهبلى بالماء بعد الانتهاء من الحيض، وقال إن ذلك خطأ، لأن الغسل المهبلى بعد الحيض ـ أو فى أى وقت آخر ـ يضر بصحة المرأة، لأنه يزيل ما يوجد بالمهبل من أسباب الوقاية الطبيعية من الميكروبات.

وقال: لا ضرر من الجماع أثناء الحيض، وأثبت العلم بعد ذلك أن د. جيفكوت كان مخطئًا، وأن الجماع أثناء الحيض مضر بالمرأة، ويجب الامتناع عن ذلك أثناء الحيض.

وقد أمرنا الحديث النبوى الشريف بتجنب الاتصال الجنسى المباشر بالمرأة الحائض، وذكر القرآن الكريم السبب فى ذلك فقال إنه ﴿أذى﴾ (لكل من الرجل والمرأة) واشترط شرطين لاستئناف الاتصال الجنسى:

الشرط الأول: الطُهر: وهو انقطاع الدم.

الشرط الثانى: التَّطهر: وهو الاغتسال بالماء.

وقال الإمام أبو حنيفة: أقل مدة للحيض ثلاثة أيام، وأكثره عشرة، وما بعد ذلك يكون (استحاضة).

ما الأذى الذى تسببه المباشرة الزوجية أثناء الحيض؟

اكتشف العلماء حديثًا جدًا أن هناك دورتين متكررتين كل شهر: دورة الجراثيم الضارة، ودورة لميكروبات مفيدة بمهبل المرأة، وهاتان الدورتان تعتمدان على دورتى هرمونى الإستروجين والبروجيسترون.

ومن الميكروبات المفيدة ما تسمى بعصويات دودرلين، وهى تعمل كخط دفاع موضعى فى المهبل تقتل الجراثيم الضارة، ذلك أنها تسبب وسطًا حامضيًا قاتلاً للجراثيم الضارة.

عصويات دودرلين تتغذى على السكر المختزن فى خلايا جدار المهبل، وتحوله إلى حامض اللاكتيك الذى هو السبب فى الوسط الحامضى القاتل للجراثيم الضارة بالمهبل. وتزداد نسبة السكر فى خلايا المهبل فى منتصف الدورة الشهرية، وتقل كثيرًا قبل الحيض، وتختفى تمامًا أثناء أيام الحيض، لذلك فإن عصويات دودرلين المفيدة تصل إلى قمة نشاطها فى منتصف الدورة الشهرية، ثم تقل فى العدد والنشاط قبل الحيض مباشرة، وبالتالى يقل الوسط الحامضى فى المهبل، وتختفى أثناء أيام الحيض، وبذلك يتغير الوسط فى المهبل إلى الوسط القلوى، الذى يساعد على تكاثر الجراثيم الضارة فى المهبل، وأكثر تكاثرها فى الجزء الأمامى منه.

وبذلك يتضح للعلماء أن مهبل المرأة أثناء أيام الحيض، يكون مأوًى لمئات الملايين من الجراثيم الضارة، وبدون خط دفاع ضدها، كما يتكاثر أثناء تلك الأيام طفيل وحيد الخلية، ويسمى (ترايكوموناس)، وهذا الطفيل يسبب التهابات سطحية فى المهبل.

وتحاول مئات الملايين من الجراثيم الضارة اقتحام جدار المهبل، إلا أن تيار دم الحيض يجرفها إلى الخارج، ولا يوجد خط دفاع آخر فى المهبل أثناء فترة الحيض، لذلك إذا حدث جماع بين الحائض وزوجها فى تلك الفترة، حدث أذى لكل منهما، أقله زيادة الالتهابات فى الجهاز التناسلى للمرأة، كما أن طفيل الترايكوموناس يسبب التهابات فى الجهاز البولى والتناسلى للرجل.

ونصت الآية الكريمة (البقرة: ٢٢٢) على الطُهر والتّطهر. والتّطهر بالماء هو اقتفاء أثر الدم، كما أخبرنا الحديث النبوى، فيُنْزل الماء الجراثيم الضارة الموجودة فى الوقت الذى انقطع فيه جريان تيار دم الحيض، وتوقف بالتالى دفع تلك الجراثيم إلى الخارج، فوجب إزالتها بالماء والتطهر به، وذلك يهيئ الفرصة من جديد لتكاثر عصويات دودرلين (الجراثيم المفيدة).

ويتضح بذلك الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى فى اشتراط الطهر ثم التطّهر بعد انتهاء الحيض، لاستئناف الاتصال الجنسى المباشر بين المرأة وزوجها، كما يتضح أيضًا الإعجاز العلمى فى تحريم الاتصال الجنسى المباشر أثناء فترة الحيض، ونفهم لماذا لم ينه الإسلام عن مؤاكلة النساء ومساكنتهن وملاطفتهن للتخفيف مما يعانينه من اضطرابات نفسية وبدنية.

والرسول ﷺ لم يعتزل زوجاته فى المحيض. فلماذا قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾.

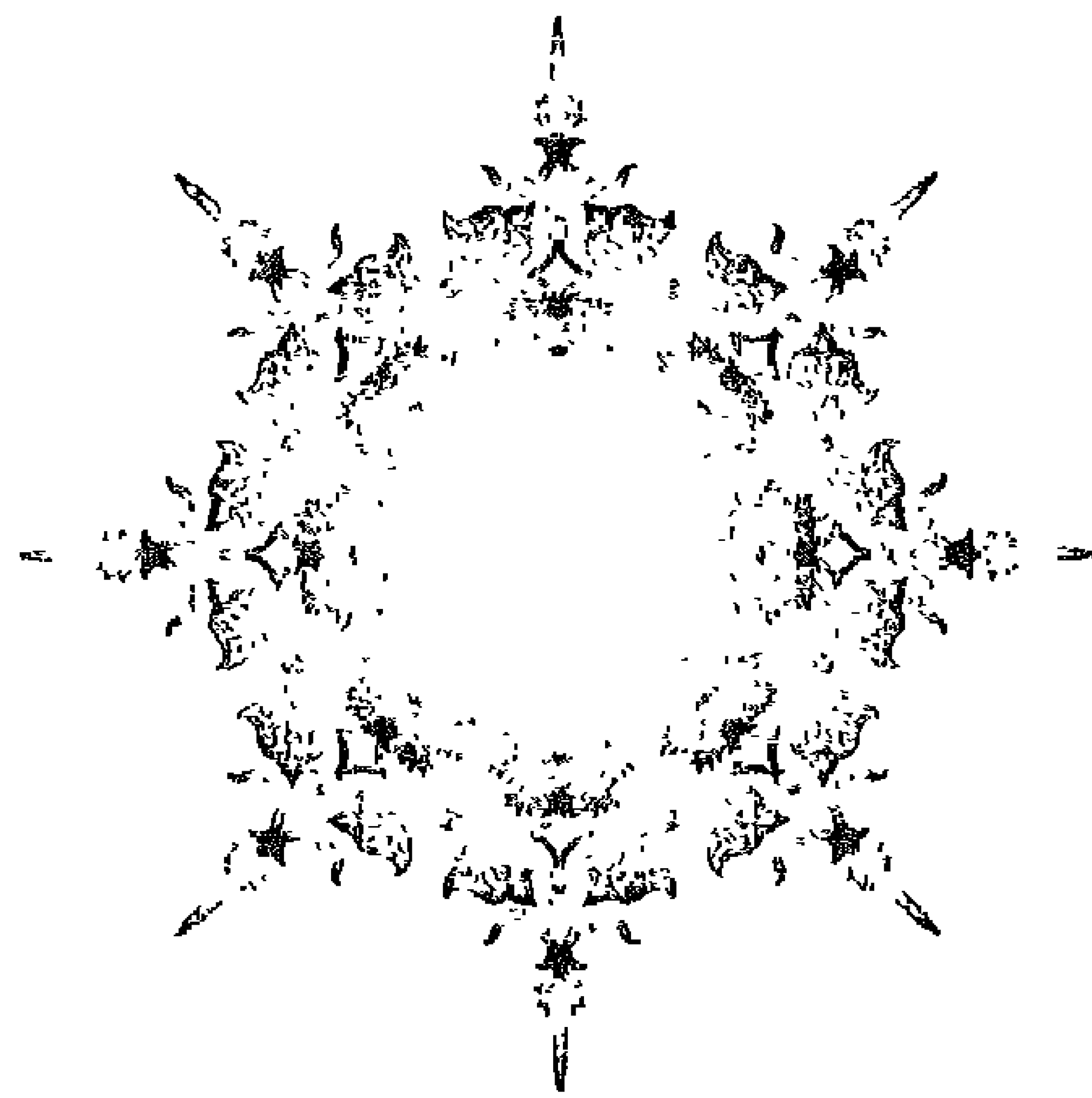
فسره الحديث النبوى والسنة المشرفة بأنه اعتزال مباشرة جنسية، وليس اعتزال طعام وشراب وفراش ومسكن.

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ﴾: أى لا تجاوروهن حتى لا تقوموا بأفعال تؤدى إلى المباشرة الجنسية، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ أى لا تقوموا بأفعال تؤدى إلى الزنا.

﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾: أى حتى ينقطع الحيض.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾: أى إذا اغتسلن بالماء و(إذا) هى للشرط فعلّق فعل المباشرة على التطهر بكلمة (إذا). فوجب ألا يتصل الرجل بامرأته إلا بعد الطهر والتطهر قال: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾.

ولم يكتشف المغزى العلمى فى الآية الكريمة، والأحاديث النبوية المشرفة إلا حديثًا جدًا، مما يدل على إعجاز علمى عظيم.



محتويات الكتاب

■■ البـــــاب الخامس: الطفيليات من الحشرات:

■■ البـــــاب السادس: الطفيليات من الديدان:

■■ البـــــاب السابع: العنكبوتيات:

■■ البـــــاب الثامن: الفراش ودودة الحرير:

■■ البـــــاب التاسع: الحشرات الضارة بالاقتصاد:

■■ البـــــاب العاشر: الميكروبات:

أحدث إصدارات

الأستاذ الدكتور

أحمد شوقى إبراهيم أحمد

- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء الأول: «النبى ﷺ».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء الثانى: «خلق الإنسان».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء الثالث: «الزمن».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء الرابع: «الطبيعة وما وراء الطبيعة».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء الخامس: «النبات».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء السادس: «الحشرات ـ الطفيليات ـ العنكبوتيات ـ الميكروبات».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء السابع: «الدواب فى البر والبحر».
- تسبيح الكون.
- الإنسان وعالم الجن.
- الأحداث الثلاثة العظمى فى الدعوة الإسلامية (البعثة ـ الإسراء والمعراج ـ الهجرة).
- الروح والنفس والعقل والقرين.
- أسرار النوم.. رحلة فى عالم الموت الأصغر.
- الجبال ورسالات الأنبياء.
- الإنسان وعالم الملائكة.


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع



أ.د. أحمد شوقى إبراهيم

زميل كلية الأطباء الملكية بلندن

رئيس المجمع العلمى لبحوث القرآن والسنة ج.م.ع

عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى

جاء ذكر العديد من الحشرات والعنكبوتيات والهوام فى القرآن الكريم، وضرب الله تعالى بها الأمثال، كما فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (البقرة:٢٦).

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (الحج:٧٣).

وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ● إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ● وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤١-٤٣).

ولم يكن الناس قديمًا يدركون أهمية تلك المخلوقات ضئيلة الحجم، عظيمة الخطر، لذلك قال المشركون: ما بال محمد يضرب الأمثال بالحشرات والهوام، ولا يضربها بشىء مهم؟! فرد الله تعالى عليهم بالقول: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٣).

وفسر الحديث النبوى الشريف ما ذكره القرآن الكريم، وذكر الحديث النبوى الشريف الكثير فى هذا الموضوع مما سكت القرآن عن ذكره وتركه للسنة المشرفة مثل الشفاء بالعسل، وتسبيح النمل، وحديث الذبابة، والأمراض التى ينقلها البعوض، والطفيليات الضارة، والسوس والخنافس، والأوبئة التى تسببها الفيروسات والميكروبات. ومن المؤكد أن الناس فى العصور السابقة لم يدركوا أهمية هذه الأحاديث النبوية المشرفة، ولا مقدار الإعجاز العلمى فيها، وما أدركوا ذلك إلا فى عصر العلم الحالى.

إن الحشرات وما شابهها من الكائنات الحية الضئيلة هى أكثر المخلوقات الحية عددا، وأنواعا، وأعجبها خلقًا، وأهمها تأثيرا. ومن المؤكد أن هذه المخلوقات تحقق التوازن الحيوى فى كل البيئات الحيوية، ولولا وجودها ما استمرت الحياة على سطح الأرض، وقد ثبت علميًا أنها جزء ها[...] منظومة الحياة على سطح الأرض. ولا نجد شيئًا من الذرة إلى المجرة، ومن الميكروب إلى الإن[...] ومن الحشرة إلى أكبر الدواب إلا ولها فى القرآن العظيم ذكر، ولها فى الحديث النبوى الش[...] أساس، كما قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس لا تغتروا بالله (أى لا تنصرف عقولكم عن الله[...] الله لو كان مُغْفِلاً شيئًا؛ لأغفل البعوضةَ والذرَّة».

الناشـ





